

دخائر المغرب العربي

محمد بن صيمون الجزائري

التحفة المرضية في الدولة البكديّة
في
بلاد الجزائر المحمّية

تقديم وتحقيق

الدكتور محمد بن عبد الكريم



التحفة المرضية في الدولة البكداشية

وفناء المغرب العربي

التحفة المرضية في الدولة البكيدانية في بلاد الجزائر الحميمية

تأليف
محمد بن ميمون الجزائري

تحقيق وتقديم
الدكتور محمد بن عبد الكريم

الطبعة الثانية

الشركة الوطنية للنشر والتوزيع
الجزائر

رقم النشر 1011/81

© الشركة الوطنية للنشر والتوزيع

الجزائر: 1981

شكر وتقدير

أودّ أن أتوجه بخالص الشكر وأجل التقدير إلى أعضاء اللجنة الذين قد شرفهم جامعة الجزائر بمناقشة هذه الرسالة التي نال صاحبها شهادة الدراسات العليا في التاريخ الحديث بدرجة « جيد » ، وأخص بالذكر المشرف النصوح السيد الأستاذ مولاي بلحميسي الذي لم يبخل عليّ بما منحه الله من علم غزير ، ورأي سديد ، وكل ذلك قد تبلور في توجيهاته المفيدة ونصائحه المثمرة .

بسم الله الرحمن الرحيم

وصلّى الله على سيدنا محمد وآله وصحبه

- أ -

توطئة

لا ارتباب في أن كل متخصص في أيّ فن من الفنون العلمية والأدبية - سواء منها النظرية أو الحسية - يحتاج إلى وثائق ضرورية يعتمد عليها في استخراج النتائج المطلوبة منه عند القيام بعمل البحث والتنقيب، أو التحرير والترتيب . والمؤرخ أشد احتياجاً إلى هذه الوثائق من غيره على الإطلاق . لأن بناء صرحه يتوقف على توفير لبنات تلك الوثائق وجمعها من مظانها . والوثائق التاريخية لها أهمية كبرى ودور فعال ، بالنسبة إلى استخراج الحقائق النظرية المستنبطة من النتائج المنطقية والمتمخضة عن تقصي الحوادث المتسلسلة حسب الزمان والمكان .

ولا جدال في أن كل شعب لم يتخط المراحل الأولى من نهضته ، لزمه - أولاً - أن يجمع المواد الأساسية والوثائق الأمانة لبحثه . قبل أن يشرى تحبير الأفكار ويسترسل في التعليل والتحليل . ليكون على بينة من حقائق بلاده وعلى بصيرة مما لها وما عليها .

وإذا كنا - نحن الجزائريين - لم نتجاوز هذه المرحلة، فينبغي لنا - إذن - أن نعمل على جمع تلك المواد والوثائق قبل أية محاولة أخرى، لتكون عوناً لنا وللمؤرخين بعدنا. ومن تلك المواد الأساسية والوثائق الضرورية، كتاب «التحفة المرضية...» لمؤلفه محمد بن ميمون الجزائري .

وهذا الكتاب، يعد وثيقة أمينة من حيث الأخبار، ثمينة من حيث الاعتبار^(١)، فقد احتوى على ثلاثة عناصر هامة من تاريخ الجزائر الاقليمي على عهد الأتراك، وهي ضرورية لمن يريد أن يؤرخ للجزائر أن يستقي منها، ولا يستغني عنها في بحثه المتعلق بحوادث هذا القطر المجهول لدى بعض المؤرخين، وتلك العناصر هي: أولاً - سيرة الداوي محمد بكداش فاتح مدينة وهران عنوة .

ثانياً - وصف دقيق للمعارك التي دارت رحاها بين الاسبانيين وبين الجزائريين من أجل هذا الفتح المبين .

ثالثاً - جلب عدة قصائد استصراخية، قد أنشدتها منشدوها اثناء المعارك. ومنها ما أنشد قبلها وبعدها أيضاً .

وهذا ما دفع بنا إلى الاشتغال بتحقيق هذا المخطوط الذي سيكون - إن شاء الله ! - لبنة راسخة في بناء صرح تاريخ الجزائر المحبوبة، وابرار حقائقه المخبأة للعبان، كي يتناوله المؤرخون والعلماء النقاد، من حيث ما له وما عليه .

ولسنا بمجددين في تحقيقنا لهذا المخطوط، ولا بمقلدين تقليداً أعمى، قد يفضي بصاحبه إلى ترك التدبر ونبد التفكير فيما كان وسيكون. وإنما سلكنا طريقاً وسطاً في عملنا. و «خير الأمور أوسطها» .

وقد أوجب علينا عمل التحقيق أن نصدر هذا المخطوط بـ «مدخل» يحتوي

١ انظر ص ٩٢، ٩٣، ٩٤، ٩٥ من «المدخل» .

على نسب المؤلف، وثقافته، وعصريه: السياسي، والثقافي، حتى يتبين لنا تأثير المؤلف في العصرين، أو تأثيره بهما، ثم دراسات تحليلية لنفس المخطوط، من حيث مؤلفه وعنوانه، وموضوعه، وهدفه، ومنهاج التأليف فيه، وأسلوب نصوصه، وقيمتاه: التاريخية والأدبية، وتلخيص محتواه تلخيصاً قد يغني المستعجل عن مطالعة المخطوط كله. ثم ذكرنا مزايا الكتاب، والباعث على تحقيقه، وبيننا منهاجنا في هذا التحقيق، ثم ختمنا هذه الدراسات بوصف النسخ المعتمدة في تحقيق هذا المخطوط ..

وبعد: فإن أصبنا المحز، فذلك ما كنا نبغي، وإن كانت الأخرى، فنحن نازلون عند رغبة من يرشدنا إلى الترتيب المنطقية، ويأخذ بأيدينا صوب المقاييس العلمية والنظم الجامعية «وما لا يدرك كله لا يترك جله» .

«والله في عون العبد ما كان العبد في عون أخيه» .

محمد بن عبد الكريم

الجزائر العاصمة : الخميس ١١ شعبان ١٣٨٩ هـ

الموافق لـ ٢٣ أكتوبر ١٩٦٩ م

- ب - مقدمة

المؤلف

أ - نسبه : هو أبو عبد الله محمد بن ميمون، الزواوي النّجار، الجزائري الدار^(١) وقد صرح أبو زيد عبد الرحمن الجامعي^(٢) : بأنه حفيد أبي العباس أحمد بن عبد الله الزواوي، ثم الجزائري^(٣). ونحن نعتبر الجامعي ثقة فيما يرويه لنا، لأنه كان رفيق ابن ميمون في الزمان والمكان، وزميلاً له في المهنة والاتجاه. ولم نعثّر - بعد البحث الدقيق - على أزيد مما ذكرناه، وقد أهملت جميع المظان والمصادر ترجمة هذه الشخصية كما سكتت عن تحديد زمان الولادة والوفاة، وضبط مكانهما^(٤). وما

١ ولعله كان جزائرياً. من حيث المولد والنشأة والوفاة

٢ شرح أرجوزة الحلقاوي في فتح مدينة وهران. ص: ٢٧. مخطوط خاص.

٣ هو صاحب منظومة التوحيد. المسماة بـ «الجزائرية»، وهي تربو أبياتها على أربعمئة بيت. كلها في

العقائد. وقد شرحها الإمام محمد بن يوسف السنوسي بطلب من ناظمها. توفي أحمد بن عبد الله سنة

٨٨٤ هـ - ١٤٧٩ م (الحفناوي (محمد). تعريف الخلف برجال السلف. الجزائر: مطبعة فونتانا.

ج: ١ ص: ٣٣).

٤ ولم نشك في أنه لم يمض حتى بلغ سن الشيخوخة من عمره، بدليل قوله - في معرض اطرائه للداي محمد

بكداش - : «... لا أعلم أنني لقيت - من سن الطفولة إلى ما فوق زمان الكهولة - أبرع منه في هذه

الطريقة...» (التحفة المرضية...، المقامة السابعة)

أكثر سكوتها وأهمالها لكثير من الشخصيات الجزائرية التي تستوجب من المؤرخين التعريف بها والتنويه بنتائجها، فكان جزاؤها أن غابت في خبر كان وأصبحت نسيا منسيا. ولعل ذلك يعود إلى الاضطرابات السياسية في البلاد مثلما يعود - أيضاً - إلى الحزازات الدينية والمذهبية التي أخذت بتلابيب بعض فقهاء العصر ورمت بهم في لهب الحسد الفتاك. وقد صرح ابن ميمون: بأنه كان محسوداً لدى معاصريه «على أن أبناء العصر ابتلوا بالحسد. ويطلقون ألسنتهم بالفحشاء في كل مرصد. ومن كانت له ملكة فليصنف. والا فليصنف. ولكن كما قال المجنون :

وَكُلُّ يَدْعِي وَصْلاً بِلَيْلى وَلَيْلى لا تُقِرُّ لَهُمْ بِذَلِكَ^(١)

ومهما يكن من أمر فإن شخصية ابن ميمون قد كانت معاصرة للداي «محمد بكداش» وصهره «أوزن حسن». ونحن نعلم بأن هذين الرجلين قد أمد الله في حياتهما حتى سنة ١١٢٢ هـ - ١٧١٠ م حيث قُتلا على يد الداوي دالي إبراهيم^(٢). كما أننا نعلم - أيضاً - أن هذه الشخصية قد كانت تعاصرها زمرة من أدباء العصر والقطر وفقهائهما وقد ذكر ابن ميمون نفسه بعضاً من هذه الزمرة التي منها شيخه أبو عبد الله محمد الثغيري الجزائري ولم نعثر على جُلِّ تراجم تلك الزمرة. بعدما أمعنا النظر في مظان تراجم الشخصيات الجزائرية على قلتها في هذه الفترة. ولعل الله يلهمنا - في المستقبل - إلى مصادر قد أستوفت التعريف بها واستكملت

١ ابن ميمون (محمد). التحفة المرضية. في الدولة البكداشية. في بلاد الجزائر الهضبة (المقدمة).

٢ وقد جاء دور قتل دالي إبراهيم أيضاً. فقتل في ١٤ أوت سنة ١٧١٠ م (١٨ جمادى الثانية ١١٢٢).

تراجمها، فبذلك ينكشف الغطاء عن مخبآت القدر، ويتبين الخيط الأبيض من الخيط الأسود، ويعود الماء إلى مجاريه .

ب - ثقافته : يبدو لنا - من خلال كتابه « التحفة المرضية ... » - أنه كان مشاركاً في جميع فنون عصره، بيد أنه يغلب عليه التصوف الداعي إلى التسليم بما كان وسيكون، وأنه كان من الفقهاء المقلدين مثلما كان عليه فقهاء العصر، وجميع منصوفة الوقت .

ونحن لا نرتاب في ميل ابن ميمون إلى رواق السياسة، بدليل أنه كان يمدح حاكماً ويذم آخر. فنجدته يصف الداوي مصطفى « أهجي » بالظلم والطغيان، والعتو والتجبر، والبغي والعدوان، وينعته بسوء المعاملة، ونهبه لأموال الرعية وإهماله لشؤون الدولة^(١). وفي نفس الوقت يطري الداوي حسين خوجة الشريف، الذي جاء بعد الداوي مصطفى، فيصفه بأنه حليف الصواب، ملازم الطهارة، معجز ببيانه، موجز في كلامه^(٢). وأكبر دليل على أنه ميال لرواق السياسة كتابه « التحفة المرضية ... » الذي نحن بصدد التقديم له، فقد تناول فيه رجل دولة وظروفاً سياسية .

أما أدبه فيظهر عليه مسحة حفظ الأشعار والاسجاع، كيفما كانت قيمتها من حيث المبنى والمعنى. ولعله يرى كون الأدب يتمثل في « صادق الخبر وصحيحه ... من ألفاظ لغوية، وأنواع بدعية، وأخبار مستلمحة، وكتابة مستلمحة^(٣) » .

١ التحفة المرضية (المقدمة) .

٢ المصدر السابق. (المقامة السادسة) .

٣ المصدر السابق. (المقامة الثانية) .

ويمتاز أسلوبه بصدق العاطفة. وأمانة الشعور. وحقيقة الاحساس. وتقصي الأخبار. ونوادر الروايات والتزويج إلى تزويق الألفاظ وتكرار العبارات وسنزيد ذلك توضيحاً عند تحليلنا لنصوص الكتاب.

عصره السياسي

كانت حركة سياسة الجزائر يديرها الأتراك. الذين بدأت دولتهم - هناك - سنة ٩٢١ هـ - ١٥١٥ م واستمرت حتى سنة ١٢٤٦ هـ - ١٨٣٠ م وقد قسم بعض المؤرخين الأوروبيين فترة هذا العصر الرئيسي إلى أربعة عصور فرعية. منذ بداية التنظيم الإداري التركي في الجزائر. أولاً: عصر باي لارباي (باي البايات) ٩٤٠ - ٩٩٣ هـ (١٥٨٥ - ١٥٣٤ م).

ثانيها: عصر الباشوات (ذوي ثلاث سنوات) ٩٩٣ - ١٠٦٩ هـ (١٦٥٩ - ١٥٨٥ م).

ثالثها: عصر الآغوات ١٠٦٩ - ١٠٨٢ هـ (١٦٧١ - ١٦٥٩ م).

رابعها: عصر الدايات ١٠٨٢ - ١٢٤٦ هـ (١٨٣٠ - ١٦٧١ م)^(١).

وعلى ضوء هذا التقسيم يتضح لنا أن المترجم له قد كان في قيد الحياة أثناء أواخر العصر الثالث حتى أواسط العصر الرابع من فترة حكم الأتراك للجزائر، وقد استتجنا ذلك من خلال نصوص كتابه «التخفة

المرضية ...»، الذي نحن بصددده .

وقد كان القطر الجزائري - في هذين العصرين بموج باضطراب مزعج، وقلق كبير، وبلبلة عديمة النظير. فبينما نرى حكومتي تونس والمغرب تتمتعان باطمئنان تام في الداخل، وحكم رزين من حيث النظام المتين، فاننا نرى في نفس الوقت الحكومة الجزائرية التركية تموج في بحور من دماء الثورات الداخلية، التي اندلع أوارها في أعراش القبائل، وانفجر بركانها في أحضان البدو، وربما امتدت ألسنة لهيبها إلى عواصم المدن^(١). ولعل السبب في ذلك سوء معاملة الحكام للرعية واغفالهم لشؤونهم الضرورية واشتغالهم بالركض وراء السلطة وحب الانفراد بالرئاسة . واهتمامهم بالكراسي والعروش. وقد أدى ذلك بهم لقتل جلهم في مناصبهم، شنقاً مرةً، وخنقاً تارة وذبحاً تارة أخرى. ولعل السبب في قتل هؤلاء الباشوات والدايات يعود إلى سخط الرعية المظلومة، وانتقام الجنود المرتزقة، (الانكشارية)، أما سبب قتل البايات فيرجع إلى استحواذ الغيرة المقيتة على عقول أولئك الدايات، واستيلاء الحسد الفئاك على قلوبهم، مخافة امتداد قوة البايات المعنوية، وسريان نفوذهم في صفوف الرعية، فلم يجد أولئك الدايات بداً من التنكيل بعمالهم البايات، فراحوا يجازونهم بالسجن والتعذيب، والقتل، والتمثيل بهم، ثم يصادرون أموالهم، مدعين أنها أموال مختلسة جمعت بطريقة لا تمت إلى الشرع بأدنى صلة .

G. FAURE-BIGUET, Histoire de l'Afrique septentrionale (Paris: ١ Imprimerie militaire) P. 405-445.

وها هو ذا التاريخ الصريح يعطينا أسوأ صورة على ذلك، تقشعرها القلوب وتشمئزها النفوس. تلك هي صورة قتل صالح باي^(١) (باي قسنطينة). وقد ترك هذا القتل الشنيع في نفوس الرعية الجزائرية بأجمعها صدمة رهيبة. تمخض مفعولها في النفوس الحساسة عن أنشودة شعبية. محزنة النغمة ما زالت عالقة باللسنة الفنانين الجزائريين إلى يومنا هذا !

هجومان فرنسيان على الجزائر : أما الحروب الخارجية فقد كانت متوالية على الجزائر سنة تلو السنة. طيلة حكم الأتراك بالجزائر. وسنقتصر على ذكر بعضها خلال الفترة التي تتعلق بدراستنا .

ففي سنة ١٠٧٤ هـ - ١٦٦٤ م قرر ملك فرنسا « لويس الرابع عشر » Louis XIV أن يغزو الجزائر بأسطوله ليمركز بأحد شطوطها فيكون عن كثب من تحركات أجفان الجزائريين ضد مراكب التجار الفرنسيين. وكان متردداً بين احتلال إحدى المدينتين: جيجل أو بجاية. ثم قرر - نهائياً - أن يحتل مدينة جيجل، فجهز لغزوها أسطولاً مؤلفاً من ثلاث وثمانين سفينة حربية تحمل خمسة آلاف ومئتي محارب . تحت

١ صالح باي: هو صالح باي ابن مصطفى. ولد سنة ١١٣٨ هـ - ١٧٢٥ م بمدينة « الزمير » وجاء من هناك إلى الجزائر بعد ست عشرة سنة من عمره. فأنخرط في سلك « الانكشارية » وبقي هناك يرتقي حتى وصل إلى درجة « باي » سنة ١١٨٥ هـ - ١٧٧١ م واشتهر بالشجاعة والكرم والحلم والاخلاص، وبعد أن دأب صيته. وشهدت له أعماله الخيرة أمر الداوي حسن باشا بقتله شفا بقصة قسنطينة في أوائل سنة ١٢٠٧ هـ - ١٧٩٢ م بعد اعتناقه لمنصب « باي » اثنين وعشرين سنة - رحمه الله ! وفقى نراه ! (المبارك. أحمد. تاريخ حاضرة قسنطينة. بتحقيق نور الدين عبد القادر. الجزائر: المطبعة الرحمية ١٩٥٢ م. ص: ٢٦) .

قيادة القائد « بوفورت » (Beaufort) وتوجه بها صوب جيجل وفي ٢٣ من شهر جويلية سنة ١٦٦٤ م (٢ ذي الحجة ١٠٧٤ هـ) نزلت الجنود الفرنسية بشواطئ المدينة ومكثت بجيجل حوالي شهرين. ثم أجبرها حاكم الجزائر (شعبان آغا)^(١) على مغادرة المدينة بعد قتال عنيف دار بينها وبين جنود الأتراك والجزائريين. وقد ترك انتصار الجزائريين في هذه المعركة الفشل في جنود الفرنسيين فيما بعد من المعارك، كما ترك نشاطاً في صفوف جنود الجزائريين^(٢).

وفي الرابع والعشرين من شهر جوان سنة ١٦٦٥ م (٢١ محرم ١٠٧٦ هـ) حاصر « بوفورت » (Beaufort) أجفان الأتراك بمضيق La Goulette بقرب تونس، فاستحوذ على ثلاثة وأضرم النار فيها تبقى منها. ثم عقد صلح بين الجزائر وفرنسا سنة ١٠٧٧ هـ - ١٦٦٦ م أيام الحاج علي آغا حاكم الجزائر^(٣).

اضطرابات داخلية وهجومان انجليزيان على الجزائر وبجاية

وفي سنة ١٠٧٨ هـ - ١٦٦٨ م قام البدو المقيمون في ضواحي الجزائر مع القبائل بثورة ضد الأتراك. واستغل الانجليز هذه الثورة الداخلية، وحاول اسطولهم أن يهجم على الجزائر سنة ١٠٧٩ هـ - ١٦٦٩ م، فتصدت

١ شعبان آغا: نيل سنة ١٠٧١ هـ - ١٦٦١ م وقتل سنة ١٠٧٥ هـ - ١٦٦٥ م.

٢ Léon galibert, l'Algerie ancienne et moderne (Paris: librairie furne jouvet et C^o, Editeurs 1884) P. 226.

٣ نيل سنة ١٠٧٥ هـ - ١٦٦٥ م. وقتل سنة ١٠٨٢ هـ - ١٦٧١ م.

له مدفعية الأتراك وردته على أعقابها. وفي سنة ١٠٨٢ هـ - ١٦٧١ م فاجأ هذا الاسطول ميناء بجاية وأضرم النار في اثني عشر مركباً كانت راسية هناك وفي نفس السنة أعاد الكرة على ميناء الجزائر وأحرق ثلاثة مراكب فيها، وفي نفس السنة قتل الحاج علي آغا. وبقتله انقرض عصر الآغوات الأربعة الذين قتلوا في مناصبهم^(١). وجاء عصر الدايات الذي بدأ بالحاج محمد داي سنة ١٠٨٢ هـ - ١٦٧١ م، وكان هذا الداوي كبير السن، أشرك في حكمه صهره بابا حسن وفي عهده بدأت عدة دول من الافرنج في المفاوضات مع الدولة التركية الجزائرية، من أجل إبرام عقد صلح طويل المدى. بيد أنه لم يحصل أي اتفاق بين المفاوضين^(٢). وفي شهر جوان من سنة ١٦٧٥ م (١٠٨٦ هـ) هاجم الاسبان تلمسان على غرة. ودخلها بجيوشه بيد أنه لم يملك بها إلا أياماً قلائل. ثم أخرج منها قهراً وعاد إلى وهران.

وبعد عشرة أعوام من حكم الحاج محمد داي، أحسن بمكيده قد دبّرت لاغتياله. فهرب إلى طرابلس الغرب حيث بقي إلى أن توفي هناك.

١ أول هؤلاء الآغوات الأربعة خليل آغا. تولى سنة ١٠٦٩ هـ - ١٦٥٩ م وقتل سنة ١٠٧٠ هـ - ١٦٦٠ م. وثانيهم رمضان آغا. تولى سنة ١٠٧٠ هـ - ١٦٦٠ م وقتل سنة ١٠٧١ هـ - ١٦٦١ م. وثالثهم شعان آغا. تولى سنة ١٠٧١ هـ - ١٦٦١ م وقتل سنة ١٠٧٥ هـ - ١٦٦٥ م. ورابعهم الحاج علي آغا. تولى سنة ١٠٧٥ هـ - ١٦٦٥ م وقتل سنة ١٠٨٢ هـ - ١٦٧١ م.

(l'Encyclopédie Turque, T: 10, P: 324).

Léon Galibert, l'Algerie ancienne et moderne, P: 227.

وكان قد استخلفه صهره بابا حسن داي سنة ١٠٩٢ هـ - ١٦٨١ م^(١) .

هجومان فرنسيان على الجزائر : ثم تعكر الجو بين فرنسا والجزائر سنة ١٠٩٣ هـ - ١٦٨٢ م وثارت ثائرة الديوان الجزائري وقرر اعلان الحرب ضد فرنسا . فاستولى الرياس الجزائريون على ٢٩ سفينة فرنسية بما فيها وأسروا ثلاثمائة نسمة . وقد انتهز الانجليز فرصة قيام الحرب بين فرنسا وبين الجزائر ، فأبرموا معاهدة مع الجزائر ، كادت تكون كلها في مصالح الجزائريين . وقد وصف « لوير لوفاشي^(٢) » Le Père le Vacher هذا الصلح بأنه معرة للانجليز^(٣) .

وعلى أثر هذه المعاهدة أمر ملك فرنسا « لويس الرابع عشر » وزير البحرية الفرنسية بغزو الجزائر ، فاستعد « دو كاسن » Duquesne وجهاز أسطولاً ضخماً وتوجه به صوب الجزائر وفي أواخر أوت من نفس السنة وصل إلى الشواطئ الجزائرية . ثم اقترب من المدينة وشرع في قبلتها بدون انقطاع ، وبقي هناك راسياً حوالي شهر وفي ١٢ سبتمبر من نفس السنة أقبل الاسطول عائداً إلى ميناء « طولون » (Toulon) بعد ما خلف وراءه أضراراً طفيفة في ميناء الجزائر وبنيان المدينة . وقد كلفت هذه الغزوة الفرنسيين ميزانية ضخمة دون أن يحوزوا على أية نتيجة وهذا ما دفع بـ « لويس الرابع عشر » (Louis XIV) أن يأمر بغزو الجزائر مرة أخرى

١ مات قبلا سنة ١٠٩٤ هـ - ١٦٨٣ م .

٢ فصل فرنسا بالجزائر - آنذاك - . وقد قتله أتراك الجزائر شر قتله سنة ١٠٩٤ هـ - ١٦٨٣ م ابان ولاية الحاج حسين باشا (ميرردو مورتو) . إذ لقموا به مدافعهم مع عشرين آخرين من أبناء ملته .

٣ المصدر السابق . الصفحة نفسها .

ليمحو عار الفشل، ويغسل لطحخة الخسران. ففي أواخر جوان من سنة ١٦٨٣ م (رجب ١٠٩٥ هـ) فارق الأسطول الفرنسي «طولون» (Toulon) صوب ميناء الجزائر، وفي طريقة - على مقربة من ميناء الجزائر - انضمت إليه خمسة مراكب حربية تحت قيادة «لو ماركيز دامفريفيل» (Le marquis d'Amfreville) وفي ٢٨ جوان (١٥ رجب) من نفس السنة وصل الاسطول إلى شواطئ الجزائر. ثم ما عثم أن شرع في قنبلة الميناء والمدينة، فأحدث بها أضراراً جسيمة. وكاد الداوي بابا حسن يقبل جميع شروط القائد «دوكاسن» (Duquesne) في مقابلة الكف عن قنبلة المدينة، لولا أن قتله قائد البحرية الجزائرية (الحاج حسين مورزو مورتو) وتولى مكانه، وأعلنها حرباً شعواء على الاسطول الفرنسي، فرجع الاسطول إلى ميناء «طولون» (Toulon) بعد ما خلف وراءه خسائر جسيمة في ميناء الجزائر وبنيان المدينة وقد قتل أربعمئة نسمة جزائرية أثناء هذا الهجوم.

وفي ١٠٩٥ هـ - ١٦٨٤ م توسلت فرنسا بالسلطان العثماني^(١) أن يتدخل بينها وبين الجزائر من أجل إبرام صلح، فتدخل السلطان، وأجرى صلح بين الطرفين لمدة مائة سنة.

معاربة بين الجزائر وتونس : ولم تكن الجزائر - في هذه المدة - تواجه هجومات فرنسا فحسب، بل تصدت لبعض التهويشات والقلاقل الداخلية. ولما علم الداوي أن مصدرها من إبحاء باي تونس وأن له يداً في

١ هو السلطان محمد الرابع ابن إبراهيم، تولى سنة ١٠٥٨ هـ - ١٦٤٨ م وخلع سنة ١٠٩٨ هـ - ١٦٨٧ م.

ترويحها، وجه إليه جيشاً تحت قيادة إبراهيم خوجة مصحوباً بأخوين للباي التونسي قد كانا ينازعانه العرش. وفي أواخر سنة ١٠٩٩ هـ - ١٦٨٧ م وجه الداوي قائد جيشه: إبراهيم خوجة إلى وهران، ليحاصرها بجيشه ومدافعه. ولما أخذ في حصارها وصله خبر الاسطول الفرنسي الذي يريد غزو الجزائر تحت قيادة المشير «ديستري» (d'Estrées) فكف عن الحصار وعاد إلى الجزائر بجيشه.

غزو الجزائريين لمدينة وهران: وبعد حصار طويل استولى إبراهيم خوجة على تونس وفي سنة ١٠٩٨ هـ - ١٦٨٦ م جهز الباي شعبان الزناقي ثلاثة آلاف فارس وألف راجل يريد بهم الهجوم على مدينة وهران التي ظلت في أيد الأسبان منذ سنة ٩١٥ هـ - ١٥٠٩ م. وخرج الأسبان للقاءه بمثل هذا العدد والتقى الجمعان خارج وهران بمكان يقال له «كدية الخيار» ودارت رحى المعركة بين الفريقين وانتصر المسلمون على الأسبان وقتلوا منهم مائة وألف رجل، كما غنموا غنائم ثمينة، واستمرت المعركة، ورجع الأسبان القهقري، والمسلمون خلفهم، إلى أن وصلوا إلى قبة «برج العيون» فاقتتلوا هناك قتالاً شديداً، وكاد المسلمون ينتصرون، لولا استشهاد قائدهم الباي شعبان^(١) في هذه المعركة الحامية الوطيس، وباستشهاده فشل

١ قال المزري: «ولما قتل بقيت جثته بأيديهم على وجه التراب، فحزوا رأسه وعلقوه بالباب، وقد أخذ المسلمون الجثة وتركوا الرأس لما لم بقدروا على الرجوع إليه، فرأى بعض النصارى بالليل النور يسطع عليه، فأخبر بطريقهم. وحينئذ بعثه للمسلمين، فجعلوه مع جسده في الحين، ودفنوه خارج وهران. وقبره للآن يعرف بقبر سيدي شعبان. وكان على ضريحه قبة عالية. ولا سكن بجواره بعض النصارى - الآن - وملك تلك الأرض هدمها لما صارت بالبيع إليه». (المزري، اسماعيل. طلوع سعد السعود، في أخبار وهران ومخزنها الأسود. ص: ١٦٧ - ١٦٨. مخطوط خاص).

المسلمون. وتشجع الاسبان^(١) وتحصنوا بابراجهم. وعاد المسلمون إلى أمكنتهم التي نزحوا منها .

هجوم فرنسي على الجزائر : وفي نفس هذه السنة بدأت عرى الصلح تنحل بين فرنسا وبين الجزائر وأخذ كل منهما في مناوشة صاحبه عبر البحر الأبيض المتوسط. وقد خصّص وزير البحرية الفرنسية جوائز ثمينة لكل بحار فرنسي يأتي بأحد القراصنة من الجزائريين. وفي اليوم التاسع والعشرين من شهر جوان سنة ١٦٨٨ م (٢ رمضان ١٠٩٩ هـ) فوجئت الجزائر بأسطول فرنسي بقيادة المشير «ديستري» d'Estrees ، وبقي بميناء الجزائر خمسة عشر يوماً أطلق أثناءها عشرة آلاف قنبلة على المدينة. فأحدثت خسائر جسيمة في البنيان والأرواح. وأصيب الداوي نفسه بأحدى الشظايا في أم رأسه، كما أغرقت خمسة مراكب حربية جزائرية. ولما أبى المشير أن يكف عن هذا العدوان المبين، أراد الجزائريون أن ينتقموا من جماعة الفرنسيين الذين كانوا تحت سلطتهم. فوضعوا حوالي أربعين شخصاً منهم في أفواه مدافعهم ورموا بهم الاسطول الفرنسي، ومن بين هؤلاء الأربعين القنصل الفرنسي «بيول» (Piolle) ، وقد فعل المشير الفرنسي مثلما فعل الداوي، بل أشد منه قساوة، وذلك أنه ذبح سبعة عشر تركيا كانوا أسارى عنده. ووضع جثثهم على ظهر شقف ودفع بهم إلى ميناء الجزائر، ثم عاد بأسطوله إلى ميناء «طولون» (Toulon) .

١ - محمد أبو راس، عجائب الاسفار، ولطائف الاخبار، ص: ٩٩ .

- المزري، أبو اسماعيل ابن عودة، طلوع سعد السعود، ص: ١٦٨ .

معاربة بين الجزائريين وبين المغاربة

ثم وقع صلح بين فرنسا والجزائر سنة ١١٠٠ هـ - ١٦٨٩ م وبعد انعقاد هذا الصلح، أحسن الحاج حسين داي بعدم القدرة على القيام بمهام الحكم، لأنه بلغ سن العجز، فاختفى من ولاية الجزائر، واستخلفه الحاج شعبان داي في شهر جانفي سنة ١٦٨٩ م (١١٠٠ هـ) وبمجرد جلوسه على الحكم أعلن لفرنسا أنه موافق على ما اتفقت عليه الجزائر وفرنسا عند انعقاد الصلح السابق وفي هذه الفترة وقعت اضطرابات بأوروبا فأرادت فرنسا أن تقف الدولة الجزائرية إلى جانبها، فطلبت من الداي أن يعلن الحرب ضد «انجلترا» و «هولاندا» بيد أن دهاء القنصل الانجليزي وقف حجر عثرة في طلب فرنسا، فاستطاع أن يؤثر في الداي حتى يرفض ذلك الطلب. ويكتفي بقطع علاقات الجزائر مع «هولاندا» وبينما الداي مشغول مع ملوك الافرنج، إذ يجيوش سلطان المغرب الأقصى تغير المرة بعد الأخرى على الحدود الجزائرية فما كان من الداي شعبان إلا أن يعلنها حرباً ضد السلطان مولاي اسماعيل فجهز عشرة آلاف من الجنود المشاة وثلاثة آلاف من الفرسان ثم نزع بهم صوب المغرب الأقصى وبعد ما قطع شوطاً في أرض المغرب وجد السلطان في انتظاره مستعداً لمحاربته بأربعة عشر ألفاً من الجنود المشاة وثمانية آلاف من الفرسان، فدارت رحى الحرب بين الفريقين، وانتصر الجزائريون رغم قتلهم وقتلوا خمسة آلاف من جنود

المغاربة، بينما هم لم يقتل منهم سوى مائة جندي فقط^(١). ثم تقدم الداوي شعبان بجنوده إلى فاس التي كانت محمية بأربعة وعشرين ألفاً من الجنود المشاة، وبعشرين ألفاً من الفرسان، ومع هذه القوة الهائلة فإن السلطان وجنوده قد أوجسوا خيفة، وراح السلطان مولاي اسماعيل يلتمس من الداوي شعبان ابرام صلح بينهما، فقبل الداوي هذا الالتماس. ثم نصبت خيمة في مكان متوسط بين الجيش المغربي وبين الجيش الجزائري، فاجتمع فيها السلطان والداوي وأمضيا عقد الصلح هناك. ويقول «ليون غاليبيرت» (Léon Galibert)

«ان السلطان مولاي اسماعيل، عندما كان ذاهباً إلى الخيمة التي نصبت من أجل ابرام عقد الصلح، كانت يده مكثوفتين. وذلك إشعار باستسلامه وخضوعه، وعندما وصل أمام الخيمة قبل الأرض ثلاث مرات. ثم دعا الله أن يستره وأردف قائلاً للداوي: أنت خنجر وأنا لحم فإن شئت قطع، فلم ينله مكروه من الداوي، بيد أنه شرط عليه شروطاً عجز عن تطبيقها فيما بعد...^(٢)».

استيلاء الجزائر على تونس

وبعدها اضطرابات داخلية

وبعد ابرام هذا الصلح توجه الداوي شعبان بجيوشه إلى تونس سنة

Léon GALIBERT, l'Algerie ancienne et moderne. P: 234. ١

Général G. FAURE-BIGUET, Histoire de l'Afrique septentrionale P: 352.

Léon GALIBERT, L'Algerie ancienne et moderne, P: 234. ٢

١١٠٥ هـ - ١٦٩٤ م فاستولى عليها. ثم عاد إلى الجزائر بغنائم كثيرة بعدما ألزم رعيته بدفع ضريبة سنوية، وترك أحمد بن الشقير بابا هناك. وبمجرد خروج الداوي شعبان من تونس خلعت الرعية الباي أحمد بن الشقير، كما ان الانكشارية اتفقت أن تمنع هذا الباي من الدخول إلى الجزائر، وهددت الداوي، إذا عاد إلى محاربة تونس، بيد أن الداوي شعبان - رغم هذا التهديد - صمّم على محاربة تونس والانتقام من المتمردين هناك وفي أثناء هذه القلاقل تمرت فرق الجنود التي كانت تحرس الحدود الشرقية الجزائرية ونزحت من هناك بقصد الهجوم على الجزائر، فبعث الداوي بجماعة يثق بهم منهم القاضي والمفتي الحنفيان، لعلهم يعظونهم فيرجعون عمّا عزموا عليه قبل وصولهم إلى أبواب المدينة. ولكن الجماعة لم يستطعوا أن يردوا هذه الفرق المتمردة أو يقفوا في طريقهم كحجر عثرة على الأقل، فعندئذ فما بقي على الداوي إلا أن يفتح خزينة القصبه ويوزع جلها على الانكشارية ليساعده على محاربة الثائرين عليه، ولكن ذلك لم يجد الداوي نفعاً، فقد قبض عليه وزج به في السجن، وشنق بعد مرور ثلاثة أيام، وبعد ما قاسى من العذاب ألوانا. وكان ذلك سنة ١١٠٦ هـ - ١٦٩٥ م. ثم انتخبت الانكشارية رجلاً مسناً ومريضاً اسمه أحمد أعجي وكان يرقع الأحذية، ليكون بابا مؤقتاً وأنه يمضي فقط. أما الكلمة العليا في الحكم فهي للانكشارية وكان هذا الداوي لين الطبع، ولهذا أعيدت إليه بعض السلطة التي انتزعت من قبضة الدايات الذين كانوا قبله. ثم توفي أواخر سنة ١٦٩٨ م (١١١٠ هـ)^(٧) واستخلفه الحاج حسن شاوش

وكان ذكياً نشيطاً، فأقنع الديوان بأن من فائدة الحكومة الجزائرية أن تحسن علاقتها مع الدولة الفرنسية، وبالفعل أعاد علاقة الصلح مع فرنسا التي أبرمت سنة ١١٠٠ هـ - ١٦٨٩ م ، كما جدد الصلح مع إنجلترا أيضاً. ثم ان الباي مراد التونسي فاجأ قسنطينة بهجوم غير متظر فذبح حراس الحصون وحاصر المدينة. وبهذا الخبر اضطربت الانكشارية في الجزائر ، وخاف الداوي على نفسه فانتقل بعائلته إلى القصبة وأعلن للانكشارية بأنه سيسلم في منصبه، فانتخب الديوان بابا الحاج مصطفى أهجي في أوائل سنة ١٧٠٠ م (١١١١ هـ)، أما الداوي السابق فقد طلب أن يذهب بعائلته إلى طرابلس الغرب فخصص له الداوي الجديد مركباً وحياء بطلقات مدفعية عند مغادرته للجزائر .

معاربة بين الجزائريين وبين التونسيين والمغاربة :

ثم جمع الداوي مصطفى الانكشارية ونزح بهم من الجزائر صوب الشرق القسنطيني لمحاربة الجيش التونسي الذي يقوده الباي مراد^(١) ، وبعد معركة دارت بين الفريقين انتصرت الانكشارية الجزائرية على الجيش التونسي فذبحت منهم ألفين وشتت شمل الباقين وعادت إلى الجزائر رافعة الرأس يتقدمها الداوي مصطفى. ثم توجه الجميع إلى المغرب الأقصى لمحاربة سلطانها الذي امتنع أن يدفع الضريبة التي تعاهد بدفعها سنة ١١٠٥ هـ -

١ الباي مراد : قتله التونسيون بعد قتله في المعركة التي دارت رحاها بين الداوي الحاج مصطفى واسنخلفه الماي ابراهيم الشريف .

١٦٩٤ م وكان هذا السلطان قد اتفق مع مراد باي السابق على مهاجمة الجزائر .

وكان جيش مصطفى داي يتألف من ستة آلاف من الجنود المشاة وألف فارس أما جيش السلطان مولاي اسماعيل فانه يضم خمسين ألفاً أكثرهم فرسان ورغم هذه القوات الهائلة من الجيوش المغربية، انتصر الجزائريون انتصاراً باهراً في مدة أربع ساعات، فقطعوا ثلاثة آلاف من رؤوس المغاربة وغنموا خمسة آلاف حصان، منها حصان مولاي اسماعيل، الذي أهدي - فيما بعد - إلى ملك فرنسا «لويس الرابع عشر» وكانت خسارة الجزائريين عشرة جنود فحسب^(١)، ولكن فرحة الانتصار لم تدم طويلاً، بل أصيب القطر الجزائري بداء الطاعون وذهب بخمسة وأربعين ألفاً من النسمات .

ابرام صلح بين الجزائر وانجلترا

وتونس

وفي سنة ١١١٤ هـ - ١٧٠٢ م وقع صلح بين الحاج مصطفى داي الجزائر وابراهيم الشريف باي تونس. ثم بدا للداي أن يخرج الاسبان من وهران، واستشار قنصل فرنسا في ذلك، فغير رأيه بقوله: ان من مصلحة الجزائر أن تبقى وهران بيد الاسبان، ولو أخرجتموه لخسرتم الأموال الكثيرة التي تقبضونها منه سنوياً^(٢) وفي سنة ١١١٥ هـ - ١٧٠٣ م بعث ملكة

١ Léon GALIBERT, l'Algerie ancienne et moderne. P: 235.

٢ «لبيوي قالبيرت». المصدر السابق. الصفحة نفسها .

«انجلترا» «آن» Anne القائد البحري «بينك» Binc) بهدايا ثمينة إلى داي الجزائر من أجل إبرام معاهدة خاصة تضمن لها تحسين العلاقات التجارية بين «انجلترا» وبين الجزائر، مثل تحسينها مع فرنسا والجزائر -آنذاك- فوافق الديوان على هذا الطلب، بسبب الهدايا الثمينة التي وزعت على أفرادها. وفي هذه الظروف بدأت خزانة الجزائر تنفد، بسبب انقطاع الامدادات التي كانت تدرّ عليها من الداخل والخارج .

اضطرابات داخلية وتجدد الحرب مع

تونس

ولما امتنعت تونس من أداء الضريبة التي في ذمتها، أعلن الداى مصطفى الحرب ضدها، وتوجه بجيشه صوب الحدود الشرقية فالتقى بالجيش التونسي بقيادة الباى ابراهيم الشريف قبل مرحلة من مدينة الكاف، ودارت رحى المعركة بينهما فانتصر الداى وقبض على الباى وسجنه، فطلبت الرعية التونسية من الداى أن يكف عن الحرب في مقابل مائة وخمسين «بياسترا» تدفعها له نقداً، ولكن الداى امتنع وأبى وقرر أن يدخل تونس ليغنم غنائم أكثر، فتقدم إلى الأمام وشرع في حصار البلاد، فصمّ التونسيون على الدفاع حتى آخر رمق، ودام الحصار أربعين يوماً خسر - أثناءها - التونسيون خلقاً كثيراً، وقد ضاع من الجزائريين ٧٠٠ من الجنود. ثم أحسّ الداى بديب الفشل في صفوفه، فطلب الهدنة من التونسيين فطلبوا منه أن يعرضهم من خسارة الحرب. وفي النهاية قرر الداى أن يرفع الحصار عن البلاد. ثم غادرها عائداً إلى الجزائر بعدما ترك قسماً

كبيراً من عتاده الحربي، وفي أثناء عودته تعرض جيشه لمناوشة الاعراب زيادة على ما نال منه من الجوع والتعب. ولما وصل الجيش إلى مقربة من الجزائر حول الداوي طريقه واتجه إلى منزل له بضواحي المدينة ليختبئ فيه ولكن رجال الديوان لم يخف عليهم شيء من أمر الداوي وجيشه، فقد تسرعوا إلى انتخاب حسين خوجة الشريف دايا للجزائر، بعدما خنقوا الداوي مصطفى في منزله الريفي، وحجزوا أمواله وأملاكه. ثم أخرجوا باي تونس ابراهيم الشريف من السجن، بعدما أعطاهم عهداً بأن يبعث إليهم بمائة وخمسين «ياسترا» بمجرد وصوله إلى تونس وترك عائلته مرهونة في هذا المقدار. ولما وصل إلى تونس ثارت عليه الرعية التونسية فقبضت عليه وقتلته.

وأما الداوي حسين خوجة الشريف فقد كان يعاني اضطراباً وقلقاً في صفوف الانكشارية من جراء تعطيل أجورهم، وذلك لأن ميزانية الدولة ينقصها الدخل الكافي، فأخذ يعزل من رجال الوجاق كل من يخالف رأيه، ويسعى في سياسة ضده ونفي من كانت له الكلمة العليا في صفوف الجند والرعية، ومن بين أولئك المنفيين محمد بكداش، الذي ألف له محمد بن ميمون كتابه: «التحفة المرضية...»، وفي أوائل سنة ١١١٨ هـ - ١٧٠٧ م رجع محمد بكداش مع جماعة من المنفي، ودخلوا مدينة الجزائر ليلاً تحت ستار الظلام وبدخلهم عزل الداوي حسين خوجة الشريف من منصبه، وانتخب محمد بكداش مكانه.

فتح مدينة وهران عنوة

وأول شيء بادر به هذا الداى الميمون ارسال جيش بقيادة صهره «أوزن حسن»، لفتح مدينة وهران التي بقيت تحت سلطة الاسبان مدة خمس ومائتي سنة وهكذا استرسل محمد بكداش يعزز الجيش الأول بامدادات ضخمة، من حيث العدة والعتاد والجند والسواد، حتى استفتحها عنوة على يدي صهره اوزن حسن والباي مصطفى أبي الشلاغم صبيحة يوم الجمعة، السادس والعشرين من شهر شوال سنة ١١١٩ هـ (٢٠ جانفي ١٧٠٨ م). ثم انتقل الباي مصطفى أبو الشلاغم من معسكر إلى مدينة وهران حيث جعلها مقراً لحكمه^(١). وعاد أوزن حسن إلى الجزائر محملاً بالغنائم الثمينة، والنصر المبين.

وبعد هذا الفتح بادر محمد بكداش بارسال هدية ثمينة إلى الباب العالي، منها ثلاثة مفاتيح ذهبية المعدن، وطلب من السلطان أن يتكرم عليه بقفطان يلبسه صهره أوزن حسن كشعار لترقيته إلى رتبة باشا ولكن السلطان رفض هذا الطلب ولم يبعث بالقفطان.

١ كان مقر الباي للابالة الغربية - ابان احتلال الاسبان لمدينة وهران - ينتقل من مستغانم. إلى ملزونة، إلى قلعة بني راشد، ثم معسكر. ولما فتحت وهران - للمرة الأولى وغادرها الاسبان - انتقل إليها مقر الباي مصطفى أبي الشلاغم، ولما استرجعها الاسبان - بعدما مكث فيها المسلمون ٢٤ سنة - انتقل مقر الباي إلى مدينة مستغانم. ثم فتحها الباي محمد الكبير ونقل إليها مقر الابالة نهائياً سنة ١٢٠٦ هـ -

ثم إن ادخال الضرائب المعتادة قد تأخر دخولها إلى خزانة الدولة، فصعب على الداى التعجيل بتأدية أجور الانكشارية، التي لم تطق صبراً على تأخير أجورها، - لا سيما حينما بلغها الخبر بأن باي الناحية الشرقية قد جمع الضرائب وهرب بها - فاستشاطت غضباً وثارَت على الداى واغتالته في شهر مارس سنة ١١٢٢ هـ - ١٧١٠ م. ثم جعلت مكانه رجلاً من أسرته اسمه دالى ابراهيم وألبسته قفطان الداى السابق محمد بكداش، وكان القفطان ملطخاً دماً. ولم يهدأ للداى الجديد بال حتى ثنى بقتل الصهر أوزن حسن أثر قتل محمد بكداش^(١)، وعند الله تجتمع الخصوم.

١ أ - محمد أبو راس، عجائب الاسفار ... (مخطوط خاص).

ب - نقايد لبعض المؤرخين، مجهولة المؤلف (مخطوط خاص).

Léon GALIBERT l'Algerie ancienne et moderne, P: 237.

Général G. FAURE-BIGUET, Histoire de l'Afrique septentrionale, P: 381.

التنظيم الاداري في الجزائر على عهد الأتراك

ينبغي لنا - قبل أن نضع نقطة النهاية للحالة السياسية - أن نكشف الستار عن بعض التنظيم الاداري في الجزائر أبان عهد الأتراك، لكي يتوصل القراء إلى العناصر التي نبعت منها الثورات الداخلية، والاعتداء الخارجي على القطر الجزائري وقد أحيينا أن نختزل هذا التنظيم في خمسة أسس رئيسية :

الأساس الأول : الادارة المركزية .

الأساس الثاني : تقسيم الادارة .

الأساس الثالث : نظام الجيش .

الأساس الرابع : ميزانية الدولة، ومواردها .

الأساس الخامس : طائفة الرياس .

الادارة المركزية : كان على رأس تلك الادارة - باديء عهد الأتراك - بابا عروج^(١). ثم خير الدين^(٢) أخوه بعد موته وهو الذي كان

١ قتل على يد الاسبان سنة ٩٢٤ هـ / ١٥١٨ م .

٢ توفي سنة ٩٥٣ هـ / ١٥٤٦ م .

يقوم مقامه عند غيابه زمان حياته. ثم حسن آغا، الذي عين مباشرة بأمر من خير الدين. وبعد وفاة حسن آغا^(١). أصبحت الدولة العثمانية هي التي تعين حكام الجزائر، وذوي المراتب العالية بها. ومن ذلك الحين إلى سنة ١٠٧٠ هـ / ١٦٥٩ م، كانت الجزائر تحت حكام من الأتراك يحملون لقب: باي لا رباي: (باي البايات). وهم بمثابة نواب السلطان العثماني، وبقاؤهم في مناصبهم لم يحدد بزمان. ثم استبدل هذا اللقب بلقب آخر متواضع، وهو لقب الباشا: (ولي اقليم). وقد عين أصحاب هذا اللقب لمدة ثلاث سنوات فقط. ولهذا يسميهم بعض المؤرخين^(٢) بـ «باشوات، ذوي الثلاث سنوات» وكان هؤلاء الحكام يديرون شؤون القطر بمعاونة لجنة استشارية، مؤلفة من أربعة أعضاء، يطلق عليهم: (أنصار العرش): وهم :

(١) وكيل الحرج، وهو المكلف بالأسلحة الداخلة والخارجة، وصناعتها والمتصرف في شؤون الدولة العسكرية برا وبحرا. وهو - أيضاً - المقتصد للحامية أو الفرقة، أو الكتيبة ...

(٢) الخزانجي، وهو المكلف بأموال الدولة، الداخلة والخارجة ويعرف اليوم بوزير المالية .

(٣) خوجة الخيل، وهو المكلف بمراقبة الحراس، وإدارة أملاك الدولة .

١ توفي سنة ١٠٩١ هـ / ١٥٤٤ م .

٢ L. Péchot, Histoire de l'Afrique du Nord avant 1830, (Imprimerie Alger 1914) V.3, P. 96.

(العاصمة)، البليدة، القليعة، شرشال، ودلس. وكانت هذه الولاية تعرف بـ «دار السلطان» وهي تحت تصرف الباشا أو الداى مباشرة .

(٢) ولاية الجنوب، وهي تيطري. أسست سنة ٩٤٧ هـ / ١٥٤٠ م. وعاصمتها المدينة. وهي أصغر ولاية في القطر الجزائري، وأولى ولاية بعد ولاية الجزائر العاصمة .

(٣) ولاية الغرب، أسست سنة ٩٧٠ هـ / ١٥٦٣ م. وعاصمتها أولا مازونة ثم معسكر، وأخيراً وهران .

(٤) ولاية الشرق، أسست سنة ٩٧٤ هـ / ١٥٦٧ م. وعاصمتها قسنطينة. وهذه الولايات الثلاث تحت تصرف البايات مباشرة، وهم تحت تصرف الباشا بالجزائر. وتقسم هذه الولايات يرجع اختراعه إلى حسن باشا ابن خير الدين، ٩٥٠ هـ - ٩٥٩ هـ / (١٥٥٢ - ١٥٤٤ م)^(١) .

نظام الجيش: يتكون الجيش التركي في الجزائر من العناصر الآتية:
(١) مشاة الاتراك: (الانكشارية، أو الوجاق)، وتقسم إلى كتائب، وفرق، ووحدات، وفصائل .

(٢) الفرسان: (الخيالة) تتكون من الكراغلة، وقبائل العرب .

(٣) البحارة: وهم نخبة من الغراب: «الزبنطوط» يتكونون - غالباً -

١ - المرزقي (بن عودة)، طلوع سعد السعود ... ص: ٤٠٢ . مخطوط خاص .

Louis Rinn. Le Royaume d'Alger. Alger: Typographie Adolphe Jourdon. 1900. P. 14-20.

من ألف رجل فما فوق وأغلبهم من المسيحيين المعتنقين لدين الإسلام .

(٤) المدفعيون: وهم الذين يقومون بتلقيم المدافع. وإطلاق النار على العدو. ولم تكن لدى أتراك الجزائر مدافع البرابان حكم الباي لا رباي. وفي نهاية القرن السابع عشر، وأول الثامن عشر للميلاد بلغت قوة جيش الأتراك خمسة عشر ألف مقاتل وقيل ثمانمائة وستة آلاف مقاتل. وإلى هذا القول الثاني ذهب « بيشوت » (Pechot)^(١).

خدمة الجيش: كانت خدمة الجيش مرتبة على ثلاث مراحل سنويا:

إعام الأول، لحماية بلدان المدينة، وهي (النوبة) .

إعام الثاني، لخدمة المعسكرات .

إعام الثالث، للراحة في الجزائر (العاصمة) .

وكانت الحاميات موزعة على عدة مراسي وبلدان: منها حامية بمرسى الذبان، (على مقربة من «بوانت بسكاد» (Pointe pescade) وحامية في تيزي وزو، وحامية في بوقني، وحامية في الحمرة، (برج بوية)، وحامية في سور الغزلان، (أمال)، وحامية في القل، وحامية في زمورة (قرب مجانة)، وحامية في قسنطينة، وحامية في عنابة، وحامية في تبسة، وحامية في بسكرة، وحامية في بجاية، وحامية في وهران، وحامية في مستغانم، وحامية في معسكر، وحامية في تلمسان. وفي ربيع كل سنة تغادر الحامية مكان الحراسة، وتخلفها حامية أخرى وهكذا دواليك. وتختص الجنود القدامى

بالمراتب والألقاب الآتية :

- أ (« أني يولداش » : الجندي البسيط الصغير .
- ب (« أصكي يولداش » : الجندي القديم ، الذي عمل ثلاث سنوات .
- ج (« باش يولداش » : رئيس فرقة متكونة من عشرين جندياً إلى خمسة وعشرين .
- د (« وكيل الحرج » : المكلف بالأسلحة الداخلة والخارجة وصناعتها ، والمتصرف في شؤون الدولة العسكرية برأ وبحراً . وهو - أيضاً - المقتصد للحامية ، أو الفرقة ، أو الكتيبة ...
- هـ (« أداباشي » : قطان السرية .
- و (« بولا كباشي » : رئيس فرقة ، أو كتيبة ، أو فيلق ...
- ويسوغ القانون لأصحاب لقب « البولا كباشي » أن يكونوا - منهم - قسماً من أفراد الديوان .
- ز (« آغا » : وهو لقب تشريف يأتي بعد لقب « بولا كباشي » .

وبعد خدمات طويلة في الجيش يحال الآغوات على التقاعد ويبقون يتقاضون مرتباتهم^(١) كما هي بالتمام ، وقد يكون من الآغوات رجال للقضاء في المحاكم ، ويرأسهم ذوو الوظائف العليا ، الذين يحملون الألقاب التالية :

- أ (« كاهية » : ملازم أول للباشا في الجزائر .
- ب (« قائد الدار » : ويعرف في قسنطينة بـ « قائد القصر » .

١ كانت المرتبات سنوية ، إلا أنها بتقاضاها صاحبها منجمة على ثلاث دفعات في السنة : أي في كل أربعة أشهر بتقاضى جزءاً منها .

(ج) « شيخ البلد » : ويعرف في وهران بـ « شيخ الحدود » .

ويجب على القضاة أن يكونوا مطلعين على القوانين الاجرامية والأحكام الشرعية في الإسلام، لينفذوا حكمهم عندما يحدث حادث في البلاد، أو في النواحي التي تحت تصرفهم .

وقد تحتاج الدولة إلى تعزيز جيشها النظامي برجال آخرين ينتمون إلى قبائل المخزن، أو الزمالة. وقبائل المخزن لهم امتيازات لدى الدولة التركية، منها: أنهم معفون من الضرائب: (اللزمة)، التي يلزم بها غيرهم، بيد أنهم يخدمون الدولة ببعض الخدمات العسكرية، من حيث تلبيتهم عند الاستنجد بهم، كما أنهم يخدمونها ببعض الخدمات الادارية، من حيث جمع الضرائب التي تفرض على غيرهم من القبائل الخاضعين لحكم الأتراك وادخالها في خزانة الدولة .

أما الزمالة، فهم أناس مشردون من أوطانهم إلى الحدود الجزائرية، فسمح لهم الباشا بالمكوث هناك شريطة أن يمدّوه بمشاة الجنود، وفرسان الخيول، ان اقتضت الحاجة إلى ذلك. وهو بحميهم ممن يتقضى أثرهم كذلك. وكان بولاية وهران عدد وافر من الزمالة المتكونين من الزوج الفارين من أوطانهم. وقد عرفوا - عند سواد الناس - بـ « العبيد » .

ميزانية الدولة ومواردها: كانت ميزانية الدولة التركية الجزائرية تتغذى وتنمو بالموارد الآتية :

(١) باعانة الباب العالي، الذي تكفل بنصف مرتبات الجيش .

- (٢) بالضرائب المفعولة على القبائل، وهي :
- أ - الاعشار والزكوات : (قدر معين من لدن الشرع، يؤخذ من نتاج الأرض، أو الحيوان) .
- ب - اللزمة : (ضريبة شخصية، وهي تؤخذ - غالباً - من القبائل الرحل) .
- ج - ضريبة العقار : بما فيه أشجار النخيل التي يؤدي مالكوها ثمنها معيناً للدولة على كل نخلة بانفراد .
- (٣) بدخل كراء أراضي الدولة .
- (٤) بالهدايا التي يأتي بها البايات على رأس كل ثلاث سنوات، وتسمى : «الدنوش الكبير»^(١) .
- (٥) بقدر معين يدفعه الأجانب في مقابلة السماح لارساء مراكبهم بمراسي القطر الجزائري .
- (٦) بالهدايا، التي تتقرب بها القناصل الأجانب، المقيمة في القطر الجزائري، حسب المناسبات، كهدايا الأعياد والمواسم مثلاً ...
- (٧) بالقدر الذي تدفعه الدول الأجانب، حسب اتفاقات تقع بينهم وبين الدولة الجزائرية والباب العالي، من أجل السماح لهم بالتجارة في عرض البحر الأبيض المتوسط .
- (٨) بالغنائم البحرية التي كانت تعتبر من الرصيد الهام في خزانة الدولة الجزائرية .

١ أما الدنوش الصغير، فهو ما يأتي به خليفة الباي إلى الجزائر مرتين في كل سنة .

كيفية جمع الضرائب: كان - في العهد الأول لحكم الأتراك بالجزائر - نظام خاص لجمع الضرائب. وذلك أن الدولة تأمر ثلاثة أجنحة عسكرية بالتزوح من الجزائر لتتفرق على الولايات الثلاث من أجل قبض الضرائب، وفي نفس الوقت تدعم أركان الدولة بتفقد آراء القبائل، واتجاهاتهم السياسية حيال الدولة التركية بالجزائر.

وتلك الأجنحة هي :

(١) الجناح الشرقي، يوجه إلى ولاية قسنطينة.

(٢) الجناح الجنوبي، يوجه إلى ولاية تبطري.

(٣) الجناح الغربي، يوجه إلى ولاية وهران.

وكان في كل ولاية من هذه الولايات، كتيبة مكونة من أتراك، وكراغلة، ورجال المخزن، تقف بجانب الباي لتلقي بالجناح النازح من الجزائر. ثم يطوف الجميع بالولاية لجمع الضرائب اللازمة. وكان غالب الضرائب يدفع عروضاً، لا نقوداً. وقد حدثنا المؤرخون^(١) بأن باي قسنطينة كان - كل سنة - يبعث إلى داي الجزائر بمائة ريال «بوجو» أي: حوالي مائة وثمانين ألفاً من الفرنكات بالصرف الفرنسي - آنذاك - وهذا زيادة على عدد وافر من العبيد رجالاً ونساءً. وكمية كبيرة من البرانس والاعطية الصوفية، والجلود المدبوغة: (الفلاية)، والخيول المسومة، والحمير والبغال الطيبة، وهلم جرا ...

١ أ - أحمد توفيق المدني. محمد عثمان باشا، (الجزائر: المكتبة المصرية ١٣٥٦ هـ) ص: ١٨٤. ب

L. Péchot, Histoire de l'Afrique du Nord avant 1830, V.3, P: 34.

طائفة الرياس: لم تكن هذه الطائفة خاضعة خضوعاً تاماً للنظام الاداري، بل كان لها حكم خاص. فهي بمثابة النقابة لربابينة البحر. وكانت هذه الطائفة تتمتع بمحبة تامة، واحترام كبير لدى جمهور الشعب، لأنها كانت تحمي البلاد من غزوات العدو البحرية، كما أنها كانت غنية جداً بسبب الغنائم التي تأخذها من العدو في عرض البحر. وكانت تجند رجالاً من شتى طبقات الشعب، فيصبحون بحارة ماهرين. وكانت فلسفة هذه الطائفة في كسب مودة الشعب، وجمع المال الكثير ولهذا نجد رجال الديوان - بما فيهم الباشا - مرغمين على تلبية رغباتها. وكانت كلمتها مسموعة، وأمرها مطاعاً في صفوف الجيش. وقد كونت هذه الطائفة جمعية، تدعى بـ «نقابة الرياس». وعلى ضوء ما تقدم في هذا الملخص يبدو لنا أن نظام الحكومة التركية بالقطر الجزائري كان عسكرياً في غالب الأحوال. ونلاحظ - أيضاً - أن أقحاح الأتراك قد كانوا عدداً قليلاً موزعاً على أنحاء القطر الجزائري. وقد حدد الأستاذ أحمد توفيق المدني مجموع عدد الجنود التركية - الموجودة في كامل القطر الجزائري - بأحد وستين وثمانمائة وثلاثة آلاف جندي (٣٨٦١ ج) (١).

حكام اترك الجزائر إبان عصر المؤلف

الآغوات :

- (١) شعبان آغا، تولى سنة ١٠٧١ هـ - ١٦٦١ م ومات مغتالا سنة ١٠٧٥ هـ - ١٦٦٥ م .
- (٢) الحاج علي آغا، تولى سنة ١٠٧٥ هـ - ١٦٦٥ م ومات مغتالا سنة ١٠٨٢ هـ - ١٦٧١ م .

الدايات :

- (١) الحاج محمد داي، تولى سنة ١٠٨٢ هـ - ١٦٧١ م وفرّ إلى اطرابلس الغرب سنة ١٠٩٢ هـ - ١٦٨١ م .
- (٢) بابا حسن داي، تولى سنة ١٠٩٢ هـ - ١٦٨١ م ومات قتيلا سنة ١٠٩٤ هـ - ١٦٨٣ م .
- (٣) الحاج حسين داي، (مورزو مورتو)، تولى سنة ١٠٩٤ هـ - ١٦٨٣ م واختفى سنة ١١٠٠ هـ - ١٦٨٩ م .
- (٤) الحاج شعبان داي، تولى سنة ١١٠٠ هـ - ١٦٨٩ م ومات قتيلا سنة ١١٠٦ هـ - ١٦٩٥ م .

- (٥) الحاج أحمد داي. تولى سنة ١١٠٦ هـ - ١٦٩٥ م وتوفي سنة ١١١٠ هـ - ١٦٩٨ م، بعدما سلم في الحكم .
- (٦) الحاج حسن شاوش داي. تولى سنة ١١١٠ هـ - ١٦٩٨ م وتخلّى عن الحكم سنة ١١١٢ هـ - ١٧٠٠ م، ثم ذهب إلى اطرابلس .
- (٧) بابا الحاج مصطفى داي، تولى سنة ١١١٢ هـ - ١٧٠٠ م ، ومات قتيلا سنة ١١١٧ هـ - ١٧٠٥ م .
- (٨) حسين خوجة الشريف داي، تولى سنة ١١١٧ هـ - ١٧٠٥ م ، وخلع سنة ١١١٨ هـ - ١٧٠٧ م .
- (٩) محمد بكداش داي تولى سنة ١١١٨ هـ - ١٧٠٧ م ومات قتيلا سنة ١١٢٢ هـ - ١٧١٠ م .
- وهنا نضع نقطة النهاية لهذه النظرة الخاطفة الملقاة على العصر السياسي إبان حياة مؤلف كتاب «التحفة المرضية، في الدولة البكداشية، في بلاد الجزائر المحمية» .

عصره الثقافي

يقول ابن خلدون: «ان العلوم إنما تكثر حيث العمران، وتعظم الحضارة، والسبب في ذلك أن تعليم العلم - كما قدمناه - من جملة الصنائع، وقد كنا قدمنا أن الصنائع إنما تكثر في الأمصار. وعلى نسبة عمرانها في الكثرة والقلّة، والحضارة والترّف، تكون نسبة الصنائع في الجودة والكثرة، لأنه أمر زائد على المعاش فتى فضلت أعمال أهل العمران عن معاشهم انصرفت إلى ما وراء المعاش من التصرف في خاصية الإنسان، وهي العلوم والصنائع...»^(١)

فاذا اعتبرنا نظرية ابن خلدون صحيحة، وأخذنا بمقتضى رأيه الصيّب، وجدنا الثقافة في الجزائر - على عهد الأتراك - رهن فراش الاحتضار تلفظ نفسها الأخير، وان بدورها قد استأصلتها الجائحة في أوكار الزبانيين، ثم اختفت في طي النسيان إلى يوم غير معلوم.

والسبب في ذلك ضعف الحضارة والعمران، واشتغال الجزائريين بأمر معاشهم وبحثهم عن قوت يومهم، وعدم استقرارهم من أجل الحروب الخارجية والثورات الداخلية، كما قدمنا ذلك عندما تناولنا الكلام عن العصر السياسي.

١ ابن خلدون (عبد الرحمن) المقدمة بتحقيق علي عبد الواحد وافي (القاهرة = مطبعة لجنة البيان العربي

ولعنا لم نرم شيئاً نكراً، إذا - ما - فهنا بأن الأتراك لم يكونوا - يوماً ما - دعاة ثقافة وإنما كانوا رجال حرب، وانهم أتوا إلى الجزائر كمحاربين للفرنجة والمسيحيين كافة ومدافعين عن حياض الدين ببلاد المسلمين، فليسوا بمثقفين ثقافة عربية النزعة تدفع بهم أن يشوها في مجتمع طالما أحب العربية حباً جماً، وبذل من أجلها النفس والنفيس والغالي والرخيص.

فغير ممكن أن نجكم على شعب بأنه مثقف ثقافة متينة الرصيد، ذائعة الصيت ذات مكانة وتأثير، وملوكة خلو منها. وقد يما قيل: «الناس على دين ملوكهم»، و «فاقد الشيء لا يعطيه» ولكن «ما لا يدرك كله لا يترك جله».

مدلول الثقافة

لا نود أن نتناول الثقافة من حيث مفهومها العام، الذي يرمي إلى «جميع ما يتناوله الفكر البشري في كل عصر وفي كل جيل»، وإنما نخصص حديثنا في هذه العجالة لنوعين من أنواع الثقافة: الحركة العلمية، والحركة الأدبية بإيجاز غير مخل، إبان حكم الأتراك بالجزائر ولم نقصد بالحركة العلمية مفهومها في العصر الحاضر من حيث اختراع الأشياء التي لم تكن لغير مخترعها في الحسبان: كاختراع طاقة الذرة والصاروخ - مثلاً - وإنما نقصد بالحركة العلمية شيئاً آخر أبعد من ذلك: هو العلم المنقول، أو الحركة الدينية - إن صح هذا التعبير - وذلك لأن مفهوم العلم - في ذلك العصر - قد كان اتقانا لفهم أي الذكر الحكيم،

وحفظاً لمرويات الحديث الشريف، ومعرفة لأصول العقائد والفقهيات وتعمقاً في فن الأصول. أما فن المنطق فقد جرى فيه خلاف بين العلماء، لأنه يمت إلى الفلسفة التي حرم الخوض فيها بعض الفقهاء، وحذروا منها تلامذتهم ومنعوهم أن يتعلموها، لا سيما الذين لم ينالوا قسطاً وافراً من عقائد أهل السنة، خوفاً عليهم من أن يتيهوا في دروب الكفر ومزالق الالحاد.

وقد أشار عبد الرحمن الاخضري^(١) - في مصنفه «السلم المروتنق» - إلى الخلاف الجاري بين علماء الإسلام في تعلم المنطق اليوناني :

فَابْنُ الصَّلَاحِ^(٢) وَالنَّوَوِي^(٣) حَرَّمَ
وَقَالَ قَوْمٌ يَنْبَغِي أَنْ يُعْلَمَ
وَالْقَوْلَةُ الشَّهُورَةُ الصَّحِيحَةُ جَوَازُهُ لِكَامِلِ الْقَرِيحَةِ

وكان رجال الدين - في نظر الأمة الإسلامية - هم العلماء بحق فكل فقيه أو محدث أو مفسر أو أصولي أو عقائدي يعد في نظر الناس عالماً، ويلقبونه بسيدي «فلان». أما إن جمع بين فنون شتى، فانه يعتبر - عندهم - عالماً نحريراً، وبحراً غزيراً. وقد كانت الحركة العلمية - آنذاك - دينية تمت إلى العلم الظاهر وصوفية في آن واحد، بيد أنهما

١ توفي - رحمه الله - سنة ٩٥٣ هـ - ١٥٤٦ م، ودفن بقرية (بنطبوس) بسكرة، وقبره ما زال يزار إلى اليوم.

٢ هو أبو عمرو عثمان بن عبد الرحمن بن الصلاح، صاحب كتاب «علوم الحديث». كان من أشهر رجال الحديث والفقهاء، لا سيما أنه تخرج في الفقه عن أبيه، توفي - رحمه الله - سنة ٦٤٢ هـ - ١٢٤٤ م.

٣ هو زكرياء يحيى بن مري بن حسن بن محمد بن جمعة بن حزام النووي، الملقب بمحيي الدين. ولد في محرم سنة ٦٣١ هـ - ١٢٣٤ م بنوى من أعمال دمشق، وتوفي ليلة الاربعاء في الرابع والعشرين من رجب سنة ٦٧٦ هـ - ١٢٧٨ م. وله عدة تواليف مفيدة منها «شرح مسلم» و«رياض الصالحين»..

ضئيلتان. فالدين الظاهر قد أصبح تقليداً أعمى، معتمده الحفظ الجاف لنصوص الحديث واجترار الأراجيز الفقهية والاذكار الصوفية، وضبط ست وستين عقيدة ليخرج المكلف من رتبة التقليد :

إِذْ كُلُّ مَنْ قَلَّدَ فِي التَّوْحِيدِ إِيْمَانُهُ لَمْ يَخْلُ مِنْ تَرْدِيدٍ^(١)

وقد كان جل علماء ذلك العصر لا يحكمون العقل، بل ينحون نحو التسليم إلى سبقهم من رجال التقليد، ويرون في الأخذ بالمنقول أصوب منهج لمن اتبع سنة الله ورسوله. حتى أنشد بعض علماء العصر^(٢) :

خَبْرًا عَنِّي الْمُرِيدَ بَأَنِّي كَافِرٌ بِالَّذِي قَضَتُهُ الْعُقُولُ
مَا قَضَتُهُ الْعُقُولُ لَيْسَ مِنَ الدِّينِ بَلِ الدِّينُ مَا حَوَّثَتُهُ النُّقُولُ

أما التصوف فقد تحول إلى دروشة، تتبلور في التوسلات بالاضرحة والقبور، والتسلي ببسط الأكف عند المزارات في الحل والترحال، والركون إلى الخرافات الخيالية، وكل من يتصفح مؤلفات ذلك العصر الخامل ومصنفاته الباكية يجد نفسه يعيش في عالم الأموات، فهذا يرقب خروج

١ هذا البيت الحادي عشر من «جوهرة التوحيد» لأبراهيم بن محمد بن هرون اللقاني. المتوفى سنة ١٠٤١ هـ

- ١٦٣١ م .

٢ منشد هذيل البتين هو عبد القادر الراشدي . كان من أشهر علماء القطر الجزائري في عصره وقد تولى منصب القضاء ونصدي للافتاء في قسنطينة . وله عدة مؤلفات منها: كتاب في «مباحث الاجتهاد» و «حاشية على شرح السيد للمواقف العنصرية» ورسالة في «تحريم شرب الدخان» . وغير ذلك، توفي

سنة ١١٩٤ هـ - ١٧٨٠ م .

الدجال من المشرق. وذلك ينتظر ظهور الدابة، وذلك يتوقع انقضاء الدنيا وفناء المادة. والنفخة الأولى في الصور، ومن ظفر بكتاب ابن سيرين لتأويل رؤياه، فقد فاز بكل ما يتمناه. وكانت الحركة الثقافية - بنوعيتها: العلمي والأدبي - موزعة على بعض مدن القطر، وفي القليل من القرى والمداشر توزيعاً لا يفي بحاجيات أهل القطر لدينهم الضروري وأدبهم المكتسب. وربما قطع سكان بعض القرى والمداشر مرحلة أو أكثر، ليستفتوا في مسألة دينية أو أدبية قد تعرض لهم، ولم يكن بين ظهرائهم عالم يحل مشكلتها، أو أديب يفك عويصها، وأغلب هذه الظاهرة كان موجوداً في المساكن النائية عن السواحل، لا سيما في المناطق الصحراوية.

ولعل أصدق دليل على ما نقول وأدعم حجة لرأينا فيما ذهبنا إليه، هو ما يحدثنا به أبو سالم العياشي، والشيخ الحسين الورثلافي. قال العياشي: «.. وكان دخولنا لمدينة (ورقلا)^(١) عشية الخميس، وأقمنا يوم الجمعة، وصلينا بجامع المالكية، وخطب الخطيب بخطبة أكثر فيها اللحن والخطأ والتعريف والتقديم والتأخير مع ادغام أكثر حروفها، حتى كأنها مهمة، فكنت أتخوف أن لا تصح لنا معه الجمعة - إن كانت صلاته كخطبته -، فنجى الله فأحسن في قراءة الفاتحة، فما ظننا أن صلاتنا معه مجزئة، ودعا في خطبته للإمام المهدي ثم للسلطان الأعظم الخاقان الأفخم: محمد ابن إبراهيم بن مراد ..

١ ورقلا: اسمها الأصلي (بني وارجلان) هاجمها صالح رابيس التركي سنة ٩٥٩ هـ - ١٥٥٢ م وأدخلها ضمن المملكة الجزائرية. واستمرت خاضعة لحكم الأتراك حتى ذهب الله بهم وجاء بالفرنسيين. ثم ذهب بهم - أيضاً - وعاد الماء إلى مجاريه.

فلما فرغ من الصلاة بعثت بعض أصحابنا ليسأله عن المهدي المدعو له في الخطبة، أهو المنتظر؟ أم أحد المنتحلين ذلك لمن مضى؟ فسأله عن ذلك، فاذا هو لا يفقه شيئاً من ذلك، وقال: أظنه النبي ﷺ فعلت أنه وجد الخطبة مكتوبة في صحيفة عنده وحفظها كما وجدها، إلا أنه لم يحرر حفظها ونقلها، ولعلها من خطب بعض من كان أيام المهدي بن تومرت، زاد فيها هو الدعاء للامامين اللذين في عصره ..»^(١).

هذه شهادة سجلها لنا عابر سبيل، ووثيقة أمينة أفادنا بها عالم من علماء المغرب الأقصى، عاش في القرن الحادي عشر للهجرة النبوية، فقد كشف لنا عن مدى توغل الجهل بالدين أبان ذلك العصر الحالك، كما أعطانا صورة صادقة عن عدم الاكتراث بالقواعد العربية - آنذاك - فالإمام يلحن لحنًا فاحشًا في خطبته، ويخطيء خطأً غير مغتفر في عبارته دون انتباه منه، أو ملاحظة من المستمعين له على الأقل مع أن مدينة (ورقلا) قد كانت محطاً للعلماء الأجانب، ومعبراً لقوافل حجيج بيت الله الحرام. وقال الورثلاني:

«ولما دخلت مسجدها»^(٢) لم أجد قارئاً ولا مدرساً، سوى رجل واحد متى يقرأ لوحه - وهو ملقى أمامه - يقرؤه على غير أدب ولا استقامة. وأخبرني بعض أصحابنا أنه وجد رجلاً واحداً يسرد البخاري وحده، ووقف عنده وقال له: رح يا حاج، ووجد آخر كذلك. ولعمري أن هذا أدل

١ العياشي عبد الله. ماء الموائد (الرحلة العباسية) فاس - مطبعة حجرية. ج ١ ص: ٤٦.

٢ الضمير يعود على مدينة (بسكرة).

دليل على الخراب وأقرب الأسباب له، بدليل ما روى عن النبي ﷺ أنه قال إذا أراد الله عمارة قوم بدأ بما له فيهم، وإذا أراد خرابهم بدأ بما له فيهم، أو كما قال ﷺ . ولقد بدأ الله هذه البلدة بخراب بيته، فهو أقوى الدلائل على خراب البلد وموته. ولقد مرضت من ذلك الاحشاء، والله تعالى يفعل في ملكه ما يشاء .. ويعذب من يشاء ويرحم من يشاء .

ولقد وددنا عمارتها بالعلم، والعمل، ورفع الحرج عنها برفع ذوي الزيف والزلل، .. وتدريس العلم، وذكر الله آناء الليل وأطراف النهار في ذلك المسجد المشيد، فان لأهل هذه المدينة تأهلا لهذا كله، ولكن الله يفعل ما يريد. وفي مثل ما وقع لنا من التحزن والتحسر والتألم والتضجر، من قلة العلم وأهله في مواطن حسنة من محله يصدق قول العلامة الإمام المهام أبي علي اليوسي من أجل أصحاب الوالد، ومن ظهرت بركاته عليه في المصادر والموارد :

وَأَوْدُ لَوْ كَانَتْ مَجَالِسُ بَيْنَهُمْ يَضْحَكِينَ فِي سَبْلِ الْهِدَايَةِ مَعْلَمًا
وَشَجَا الْحَشَا أَنْ لَمْ أَجِدْ مِنْ عَالِمٍ يَهْدِي الْوَرَى بِهَا وَلَا مُتَعَلِّمًا^(١)،

فهذه وثيقة ثانية قد جاء بها فقيه من أبناء تربتنا، وصوفي من متصوفة القرن الثاني عشر. وهو أحق بأن نصدق فيه فيما يقول، لأنه أقرب مودة لأبناء وطنه، وأكثر غيرة على بلاده. ومع ذلك، فقد وصف مدينة (بسكرة) بما هي عليه من الخراب المتبلور في فقدان التعلم والتعليم، وإذا كانت

١ الحسين الورثاني. نزهة الأنظار في فضل علم التاريخ والأخبار (الرحلة الورثانية) بتحقيق محمد بن

مظاهر الثقافة نادرة في المناطق الصحراوية الجزائرية، فان وسط القطر، كان يحظى بما قدر له أن يحظى به من ثقافة العصر، لا سيما المدن الرئيسية التي بقيت محافظة على شيء من التراث العلمي والأدبي. ولعل أصدق دليل على ذلك هو ما أثبتته بعض المؤرخين من الافرنج وجماعة من أبناء ملتنا .

يقول «بول قافاريل» (Paul Gaffarel) = : كانت قسنطينة على عهد الأتراك ... عاصمة دينية، وكانت العلماء تتمتع فيها بالسيادة المطلقة والنفوذ التام، كما أنها كانت غاصة بعدد كبير من الطلبة يغترفون من خمس وعشرين مدرسة للعلوم الدنيوية والأخروية، ثم يتفرقون في أنحاء القطر لينشروا ما اغترفوه من العلوم. ان قسنطينة كانت - حقاً - مبعث نور الجزائر، كما كانت تشرف العلماء وتقدرهم حق قدرهم»^(١) .

ويقول أبو عبد الله محمد بن قاسم بن زاكور الفاسي، يصف علماء الجزائر (العاصمة) الذين أخذ عنهم وأجازوه سنة ١٠٩٤ هـ (١٦٨٢ - ١٦٨٣ م): «غور أعلام، ينجلي بهم الاظلام وشموس أئمة، تنفرج بهم كل غمة، وتفتخر بهم أحبار هذه الأمة، من رجال، كالجبال، وأحبار كالأقمار، طلوعوا في بروج سعودها بدوراً ألبسوها رواء ونوراً، فاهتدبت بأنوارهم السنية، إلى قطف ما راق من أنوارهم الحنية، ورتعت في رياض أدابهم فتمتعت، ونهلت من حياض علومهم حتى تضلعت، وكرعت في أنهار بلاغتهم حتى رويت، وهصرت من أفنان براعتهم ما

هويت ، ونسيت ببشرهم وتأنيسهم ، وما اقتسبته من المعارف في تدريسهم ،
ما عانيته من رهج القفار ، وقاسيته في لجج البحار .

وَلَوْ لَمْ يَزِدْ إِحْسَانُهُمْ وَجَمِيلُهُمْ عَلَى الْبَرِّ مِنْ أَهْلِ حَسَبَتِهِمْ أَهْلِي
فلم أزل بين اقتباس أنوار ، واقتطاف أنوار ، إلى أن أشعر كبدي
بالانصداع ، داعي الوداع وأصابني من الوجد شبه الجنة ، عندما عزمت
على الخروج من تلك الجنة ، ولما أذف الرحيل ، واستعمل عزمي في أسبابه
العنق والذميل ، التمسيت ممن اصطفيته من أولئك الأخيار ، ان يكتب
لي من اجازته ما أطاول به الاحبار ، فسوغ لي من اعتمرت بمطافه ، ما
ترشفته من نطافه ، وأجاز لي من اهتديت بمناره ، ما أقبسي من أنواره ،
وقد أردت أن أذكر من حلاهم في هذه الأوراق ، ما تحسده الجواهر
في الأطواق ، وانقل أثر ذلك اجازة من أجاز ، وأباح لي الرواية عنه في
الحقيقة والمجاز^(١) . ونستفيد من الاجازات - التي أجاز فيها علماء
الجزائر لابن زاكور - معرفة بعض الفنون والكتب التي كانت تدرس
هناك ، وأنداك ، مثل « جمع الجوامع » للامام السبكي ، وشرحه للمحلي ،
وحواش مع بعض شرح « مختصر ابن الحاجب » و « تلخيص المفتاح »
في علم البيان و « الجمل » للخونجي في علم المنطق و « السلم المروتنق في
علم المنطق » أيضاً و « ألفية العراقي » في مصطلح الحديث و « جملة من
كتب السير » وكتاب « الشفاء » للقاضي عياض و « البردة » بشروحها

١ نشر أزهري البستاني ، فيمن اجازني بالجزائر وتطوان . الجزائر : مطبعة فونتانا ١٣١٩ هـ - ١٩٠٢ م .

للإمام البوصيري و « السنية » و « عقائد السنوسي ». وكتب أخرى في فن التصوف، والنحو، والصرف، والتفسير، والعروض، والحساب، والفرائض، وهلم جرا^(١) ...

ويقول عبد الرحمن الجامعي - في رحلته المسماة بـ « التاج المشرق الجامع لبواقيت المغرب والمشرق » - : « لما دخلت بونة (عنازة) أممت دار الشيخ الرباني، العلم العرفاني، الذي بنيت هذه الرحلة المباركة، على قواعد بركته، أبي العباس أحمد بن قاسم، فوجدته طلق المحيا، وأنزلي بمنزل لاكرام أضيافه مهيا، فأقمت عنده يتزمني في كل يوم في رياض تأليفه الحديثية وغيرها، وينثر علي كل ساعة من فرائد فوائده ما تبخل به على الغائصين قعور بحرهما. وكنت أحضر تلك المدة مجلس روايته الصحيحين بين يديه، مع مشائخ بلده وولديه، ومما رويت عنه - فسح الله في أجله وأسهب - ان تأليفه بلغت ما ينيف عن المائة ما بين مختصر ومسهب، ولما وقفت في علم الحديث على البحر العباب، والعجب العجائب، سأله الاجازة^(٢) ... » .

ويقول الجامعي - في موضع آخر من رحلته - : « ... وأما مدينة الجزائر، فأول بلد لقيت بها مثل من فارقت من أدباء بلدي، وبها تذكرت بعض ما كان نسيه خلدي، لاجتماعي بها بالأديب الماهر، الدال وجوده

١ المصدر السابق. ص: ٨ - ٣٣ .

٢ المهدي البوعبدلي: الثقافة والتوجيه بالجزائر في العهد التركي (محاضرة ألقى أمام ملتقى التعريف بالفكر

الإسلامي المنعقد بمدرسة ترشيح المعلمين بمدينة الجزائر من ٢٦/١٢/٦٩ إلى ٢٠/١/٧٠) ص: ١٨

على صحة القول بوجود الجوهر الفرد في سائر الجواهر ، أديب العلماء وعالم الأدباء ، محيي طريقة لسان الدين ابن الخطيب الإمام الخطيب ابن الإمام الخطيب ، ذي القدر العلي ، ابن عبد الله محمد بن محمد المعروف بـ « ابن علي » ... رأيت أول ما لقيت وأنا لا أعرف مسماه ، فرأيت صورة تدل على حقيقة الأدب ومعناه ...^(١)

ثم يقول الجامعي - أيضاً - : في مدينة الجزائر : « فهي - والحمد لله ! - إلى الآن دار الجوهر الفرد في الأدب ، وعلم العقل والنقل ، وتنبت العلماء ، والصالحين كما تنبت السماء البقل ... وهذه المدينة لا تخلو من قراء نجباء ، وعلماء أدباء ، وأعلام خطباء ، مساجدهم بالتدريس معمورة ، ومكاتب أطفالهم بالقراءة مشحونة ومشهورة . وقد ذكرت ما فيه غنية من علمائها الأخيار . وكلهم متحلون بأحسن الصفات ، متضلعون بعلم النحو والفقه والحديث وأحياء ليلة المولد النبوي مثل ما في القديم والحديث ... »^(٢) .

وعلى ضوء هذه النصوص ، يتبين لنا أن الثقافة في القطر الجزائري ، قد كانت جهوية اقليمية أكثر منها قطرية عمومية ، وإنها كانت محصورة في أشخاص معينين . وأماكن محدودة . وإذا كانت كذلك فهي عاجزة

١ أحمد بن عمار . نعلت اللبيب ، بأخبار الرحلة إلى الحبيب . الجزائر : مطبعة فونتانا (١٣٢٢ هـ - ١٩٠٥ م) ص : ٨١ - ٨٢ .

٢ عبد القادر ، نور الدين . صفحات في تاريخ مدينة الجزائر . قسنطينة مطبعة : البعث ١٩٦٥ م - ص : ١٩٨ - ١٩٩ .

عن التأثير الذي هو شرط أساسي لثقافة الشعوب أينما كانوا وحيثما بانوا وكانت الحركة الأدبية أقل انتشاراً من الحركة الدينية، ولعل ذلك راجع إلى سببين اثنين :

أولهما :

إن الدولة التركية الجزائرية. قد كانت عجمية اللسان، لا تفقه شيئاً مما ينشده الشعراء، أو يتفصح به الخطباء، فهي لا تهتم إلا برجال الحرب الذين يحسنون ضرب السيف، ويصيبون الهدف ويقرعون الزناد، لأن العصر عصر اضطراب وانتقام، وجميع دول الافرنج والمسيحيين واقفون لها بالمرصاد، وبالإضافة إلى ذلك فإن الثورات الداخلية في البلاد قد كانت تشتعل من حين إلى آخر فليس من الممكن أن تجد الدولة لديها من الوقت الذهبي لتصرفه في سماعها لقصائد الشعراء، ثم تجيزهم بما يحفزهم إلى المضي في التنزه والتجول في حدائق ألوان الأدب ورياض فنونه .

اللهم لا، ان أترك الجزائر لم تطأ أقدامهم أرض القطر الجزائري .
إلا لمحاربة الافرنج المسيحيين الذين اغتصبوا البلاد واستعبدوا العباد. فالأتراك مسلمون والإسلام - عندهم - عدو للكفر حيث كان، وأنى بان، وكفى .

فما لهم وللأدب الذي خرب بيوتاً عامرة وهدم قصوراً شامخة وذهب بدول الأندلس، فأمتت عبرة محزنة لمن جاء بعدهم، وغدت مضرب الأمثال عبر الأجيال .

ان الأدب نافلة تتنفل به الشعوب التي انتهت من أداء واجبها فمن أين تفاجيء فكرة الأدب شعباً مثل شعب الجزائر، قد كان مشغلاً بقوت يومه وكسب عياله. فكيف يهدأ له بال، ويسمح له ضميره أن يركن إلى الأدب؟ بينما هو يقاسي - في مسقط رأسه - الأمرين من حيث تتابع الثورات الداخلية وتوالي الهجومات الخارجية، فقد تحطمت معنوياته، وتكبلت مواهبه، فأصبح رهن القلق والاضطراب اللذين قد تولد عنهما القنوط واليأس والشقاء واليأس .

ثانيهما :

ان التوجيه التعليمي كان دينياً أكثر منه أدبياً، لا سيما الزوايا التي لم تؤسس إلا لتكون مرتعاً للعلوم الدينية، والفنون الإسلامية .

ومهما كان من أمر، فغير ممكن أن نحكم بثقافة أي شعب كان، في أي قطر كان، وفي أي عصر كان، دون أن نستند إلى براهين قطعية، ودلائل محسوسة، توحى بثبوت تلك الثقافة .

وقد أحببنا أن نعبر عن تلك البراهين والدلائل بكلمة «المظاهر»، لأنها أقرب دلالة وأنسب لفظة للموضوع. وتلك المظاهر هي ثلاثة - في رأينا - :

أولهما : مراكز الثقافة .

ثانيها : النتاج الثقافي .

ثالثها : رجال الثقافة .

مراكز الثقافة في الجزائر

كانت الثقافة - لذلك العهد - موزعة على سبعة مراكز ، كل منها يقوم بوظيفته ، التي أسندت إليه أحسن قيام ، حسبما تتطلبه ظروف العصر . وتقتضيه قوانين إقليم القطر ، وعوائد سكانه .

المركز الأول :

كتاتيب القرآن ، وقد خصصت لاستظهار كتاب الله العزيز ، وهي أول محل يتلقى فيه الطفل الحروف الهجائية ، بواسطة اللوح المصلصل ، والقلم القصبي ، وتكون هذه الكتاتيب - غالباً - في أضرحة الأولياء وفي الدكاكين ، والمساجد التي لا تقام فيها الصلوات الخمس .

المركز الثاني :

الزوايا ، وقد كانت الزوايا تحتل مكان الصدارة بين مراكز الثقافة من ناحية تثقيف المعوزين والفقراء من أبناء الشعب ، المتعطشين إلى أكثراع زلال العلم والمعرفة ، وقد كانت مقسمة إلى قسمين اثنين ، كل قسم منهما يقوم بدوره أحسن قيام :

أ (فأما القسم الأول فيقوم بوظيفة تحفيظ القرآن الكريم ، وقد يؤمه - غالباً - الغرباء الذين سبق لهم أن تعلموا الحروف الهجائية واستظهروا بعض السور من آي الذكر الحكيم على الأقل .

ب) وأما القسم الثاني فانه يقوم بتدريس بعض فنون الوقت لا سيما
الفقهيات، والعقائد، وقواعد النحو والصرف، وفنون البلاغة،
والمنطق وبعض المبادئ في علم الفلك، وهلم جرا ...
وهذا القسم لا يؤمه - غالباً - إلا المستظهرون لكتاب الله
العزیز من طلاب العلم الشريف .

المركز الثالث :

المساجد، وقد كانت - فيما عدا أوقات الصلاة - مرتعاً لحلقات
الدروس اليومية، ومحطاً لفنون العلوم، التي كانت تدرس لذلك العهد،
لا سيما في المدن والقرى، حيث لا زوايا تقوم بدورها في بث ما أمكنها
من العلوم، المتواطأ عليها - آنذاك - والمتداولة بين سواد الناس .

المركز الرابع :

المدارس، وهي أمكنة خصصت لالقاء الدروس بها، ولا توجد إلا
ببعض المدن الرئيسية، مثل : قسنطينة، والجزائر، وبجاية، ووهران، وتلمسان،
التي بها مدرسة سيدي أبي مدين، والتي قرأ فيها ابن خلدون، وأقرأ فيها
أيضاً، وكانت بهذه المدارس غرف يسكنها الطلبة الغرباء .

المركز الخامس :

الدكاكين التجارية، التي كانت تستعمل نهاراً للبيع والشراء، وفي
الليل للمسامرات الأدبية .

المركز السادس :

الأندية المنزلية، وهي التي كانت تقام في منازل وجهاء البلاد، وأعيان ذوي النفوذ، والسلطة المحلية - وقد استمرت هذه العادة إلى زمان الاحتلال الفرنسي - فكان الداي والباي والآغا والقاضي والمفتي يجتمع لدى كل منهم بعض من الرعية بعد تناول العشاء في منازلهم، ثم يشرعون في قراءة كتاب ما قد اتفقوا على قراءته، هذا في غير شهر رمضان المعظم. أما في رمضان، فانهم مواظبون على صلاة التراويح هناك. وبعد الفراغ منها يشرعون في دروس دينية حسبما جرت بها العوائد الاقليمية في مجالس شهر رمضان الفضيل. وكانت منازل العلماء أندية ومراتب دروس يومية، يتلقاها الطلبة عن هؤلاء العلماء في منازلهم، وبعد انتهاء الدروس يرجع كل طالب إلى منزله ليعود في الغد، وهكذا ... وتكون هذه العادة - غالباً - في المدن والقرى والمداشر التي لم تكن فيها زوايا تقام فيها دروس علمية .

واستمرت هذه العادة إلى زماننا. وقد عشنا هذه الفترة ومارسنا نفس الطريقة أيام تعلمنا ببلدتنا «زمورة» مسقط رأسنا ومقر أجدادنا. ولسنا بالمغالين ان قلنا: ان منازل العلماء قد كانت محكمة للمتعاقدين وملجأ للمتخاصمين وقبلة للمتصالحين ومسجدا للمستفتين ومزاراً للمتبركين، كما كانت مدرسة للمتعلمين .

المركز السابع :

المكتبات العامة والخاصة، وهي التي كانت تضم اشتات المخطوطات

في مختلف فنون الوقت، كما كان يرتادها الطلبة والأساتذة من جميع النواحي للمطالعة فيها، لا سيما المكتبات العامة التي كانت وفقاً وحسباً على المساجد.. والزوايا والمدارس. وقد كانت هذه المكتبات العامة موزعة على القطر الجزائري حسب أهمية الأماكن، من حيث الثقافة والاعتناء بتدريس العلوم، لا سيما المدن، مثل: الجزائر العاصمة وقسنطينة، وتلمسان، ومازونة، وهلم جرا... قال «بول قافاريل» (Paul Gaffarel) «...» وكان أهل قسنطينة مولعين باقتناء الكتب والبحث عن نفائس المخطوطات أنى وجدت. وقد وجدت فرنسا - عند دخولها لمدينة قسنطينة - ١٧ مكتبة خاصة تحتوي على ١٤٠٠٠ من المجلدات^(١)...» .

النتاج الثقافي

لقد أصبح النتاج الثقافي - في القطر الجزائري - ضئيلاً كما قدمنا بالنسبة إلى الأقطار الإسلامية الأخرى. فالنتاج العلمي - غالباً - محصور في بعض التفاسير التي جملها لم يكمل، وفي الشروح والحواشي الفقهية والعقائدية التي دون مصنفاتها القدامى أو المعاصرون لهم في غير قطرهم .

وقد بادر علماء الجزائر - آنذاك - إلى حذو من تقدمهم في فنّ التصنيف أيضاً. وكان مضمون هذا النتاج يغلب عليه طابع التقليد الأعمى من حيث التفكير، تارة لعلماء المغرب الأقصى - لا سيما أهل فاس - وتارة لعلماء المشرق العربي - بما فيه تونس - وتارة لعلماء بجاية، أو

(١) Paul Gaffarel. L'Algerie. p. 123.

تلمسان، أو الأندلس، يوم أن كانت هذه الأماكن الثلاثة في غصارة وريعان علمها وأوج أدبها. بيد أن هذا التقليد لم يكن يجري في الأسلوب مجراه في المضمون. فقد أصبح أسلوب علماء القطر أغلبه مشوب بألفاظ عامية زيادة على ركافة في التركيب، لا سيما في العقود الشرعية والخطب المنبرية. ولعل وصمة اللحن الفاحش وركافة الأسلوب هما اللتان وقفنا حجر عثرة في طريق من يريد تدوين ثقافة الجزائر وتاريخ ماضيها .

أما النتاج الأدبي، فقد كان محصوراً في بعض المدائح النبوية والمقطوعات الصوفية ومرثيات بعض العلماء وفي قليل من الأشعار الغزلية والمقامات والاسجاع النثرية، وكان جل هذا النتاج وليد المناسبات مثل القصائد التي قيلت بمناسبة فتح مدينة وهران ومن أجل التحريض على فتحها أيضاً. وهلم جرا ...

وسيجد القارئ نماذج من هذا النوع في الكتاب الذي نحن بصدد التقديم له. وزيادة على قلة هذا النتاج، فانه لم يبلغ النضج العقلي والشعور الحي، وسعة الخيال. وان كان هناك بعض الشيء منه قد برز صاحبه فيه فانه يعد شاذاً في نوعه، والشاذ لا يقاس عليه. ولعل من يتصفح تراثنا الأدبي في ذلك العصر المنحط - وما اندره في قطرنا - يوافقنا فيما ذهبنا إليه. وهل من أديب منحه الله ذوقاً سليماً وشعوراً أدبياً في عصرنا الحاضر يستسيغ مرثية يوسف الزباني في البشير البحتاوي الآغا للباي مصطفى أبي الشلاغم، ننقل منها ثلاثة أبيات كنموذج :

هَنِيئاً لَكَ الْجِنَانُ لَا السَّعِيرُ يَا كَافِلَ الْأَرَامِلِ يَا بَشِيرُ

لَقَدْ عِشْتَ سَعِيداً فِي رَغْدِ عَيْشٍ وَفُزْتَ بِالشَّهَادَةِ يَا أَمِيرُ
بِلَدَةٍ مُسْتَغَانِمٍ كَانَ الْمَشْوَى فَنِعْمَ السُّكْنَى سُكْنَاكَ يَا نَحْرِيْرُ^(١)

ومن هذا النمط كثير من نتاج أدبنا على عهد الأتراك في قطرنا، ورغم هذا، فإن هناك نتاجاً أدبياً رائعاً يستطيع أن يساير فن العصر وذوقه، إلا أنه قليل نادر، ومن أمثال ذلك قول يحيى بن أحمد بن أبي راشد يصف مدينة الجزائر^(٢) :

سَقَى الْمَطَرُ الْهَطَّالُ أَرْضاً تَشْرَفَتْ
بِمِصْرِ غَدَتْ لِلْفَضْلِ وَالْفَخْرِ جَامِعَةً
بِـ «مَرْغَنَةِ»^(٣) الْفَيْحَاءِ تَظْهَرُ مِنْ مَدَى
تَرَى كَسْقِطِ الثَّلْجِ بَيْضَاءَ نَاصِيَعَةٍ
بِنُورِ السَّمَاءِ أَبْرَاجُهَا قَدْ تَأَلَّقَتْ
تَرُوقُكَ مِنْ أَفْقِ الْأَجْنَةِ طَالِعَةٍ
وَحَيْثُ الرَّيِّعُ الْغَضُّ نَمَّ شَبَابُهُ
تَرَى أَرْضَهَا تُبْدِي الْغَضَّارَةَ نَاجِعَةً
وَحَيْثُ بَدَا كِسْرَى الرِّيَاضِ مُتَوَجِّجاً
بِنَاجِ نُوَارٍ فَهِيَ صَفْرَاءُ فَاقِعَةٍ
تُرِيكَ أَحْمِرَاراً فِي ابْيَضَاضٍ كَأَنَّهَا
دِمَاءٌ عَلَى أَرْضٍ مِنَ الثَّلْجِ وَاقِعَةٍ

١ المزرقي بن عودة: طلوع سعد السعود. ص: ٩٩ (مخطوط خاص).

٢ كان من المعاصرين لمحمد بن ميمون. وقد ذكره في كتابه «التحفة المرضية».

٣ مرغنة: مدينة الجزائر.

دَوَالِبُهَا تَسْقِي الْغُصُونِ فَتَشْنِي
 حَمَائِمُهَا تَشْدُو عَلَى الْقُضْبِ سَاجِعَةٌ
 فَتُبْصِرُ أَغْصَانِ الْحَدَائِقِ سُجْدًا
 تَمِيدُ مِنَ الصَّوْتِ الْحَنُونِ وَرَاكِعَةً^(١)
 سَقَى رَوْضَهَا عَهْدُ السَّحَابِ فَاَنْتَشَتْ
 أَزَاهِرُهُ بِالْمَاءِ تَضْحَكُ دَامِعَةٌ
 وَمَا مِيَّ إِلَّا جَنَّةٌ قَدْ تَأَرَّجَتْ
 مَبَاخِرُهَا بِالطُّيْبِ وَالْمِسْكِ سَاطِعَةً^(٢)

وقول أحمد بن عمار الجزائري في وسم حيا بغصن زهر :

تَبَدَّى بِاسِمَاءَ عَنْ رَوْضِ زَهْرٍ وَقَلَّ^(٣) بِكَفِّ زَهْرًا نَدِيًّا
 فَقُلْتُ أَيْ قَضِيًّا قَلَّ بَدْرًا مَتَى حَمَلْتُ أَنَا مِلْكُ الثُّرَيَّا^(٤)

وقوله عندما استلم قصيدة من شيخه أبي عبد الله محمد بن محمد الشهير
 بـ « ابن علي » :

أَنْسِيمَ رَوْضِ رَقٍّ فِي سَرِّيَانِهِ وَثَنَى الْقَضِيبَ فَرَاقَ فِي مَبْلَانِهِ ؟
 بَعَثْتُ أَرْيَجْتَهُ السَّلْوُ لِخَاطِرِي فَتَخَلَّصَ الْمَحْزُونُ مِنْ أَحْزَانِهِ
 أَمْ رَوْضَةٌ غَنَاءَ رَاقٍ رَوَاؤُهَا خَلَعَ الرَّيِّعُ بِهَا حُلَى أَلْوَانِهِ ؟

١ وراكعة: معطوف على « سجدا » .

٢ عبد الرحمن الجامعي. شرح أرجوزة الحلفاوي. ص: ٣٣ (مخطوط خاص) .

٣ قل الشيء بقله: حمله .

٤ أحمد بن عمار. نحلة اليب بأخبار الرحلة إلى الحبيب. الجزائر: مطبعة فونتانا (١٣٢٠ هـ - ١٩٠٢ م)

وَتَبَرَّجَتْ كَالْخُودِ فِي مَوْشِيَةٍ مِنْ وَرْدِهِ الْمَطْلُولِ مَعَ سَوْسَانِهِ
وَبَدَا لِذَلِكَ^(١) الطَّيْرُ فَوْقَ غُصُونِهَا شَدُو يُثَارُ الْوَجْدُ مِنَ الْحَانِهِ
وَجَرَى بِهَا تِيكَ الْجَدَاوِلِ مَاوُهَا فَبَدَا انْسِيَابُ الرَّقْطِ مِنْ جَرِيَانِهِ
وَأَمَالَ أَغْطَافُ الْغُصُونِ نَسِيمُهَا لَمَّا انْبَرَى لِلرَّكْضِ فِي مِيدَانِهِ
وَتَفَتَّقَتْ أَكْمَامُهَا عَنْ زَهْرَهَا فَتَعَطَّرَ الْمِضْمَارُ مِنْ رَيْعَانِهِ^(٢)

إلى آخر القصيدة التي تبلغ أبياتها ٩٦ بيتاً. ومن النادر - أيضاً - مرثية ابن عبد الله محمد بن علي لزوجته، نذكر منها بيتين :

وَلَوْلَا عَذَابُ الْقَلْبِ لَمْ يَغْذِبِ الْهَوَى
وَلَوْلَا التَّجَنِّي مَا دَرَى الْوَصْلَ مَنْ يَجْنِي
وَلَوْلَا لَهيبُ النَّارِ يَزْدَادُ حَرَّهُ
لَمَّا أَتَقَنَتْ صُنْعَ الْحُسَامِ يَدُ الْقَيْنِ^(٣)

وأنشد قصيدة يصف فيها نزهة مع أحمد بن عمار السابق الذكر ويمدحه ويتشكى من حسادهما وهي لا تقل عن ٨٤ بيتاً. نقتطف منها ما يلي :

وَالرَّوْضُ قَابِلُنَا بِوَجْهِ مُشْرِقٍ وَالزَّهْرُ حَيَّانَا شَدَا رَيْعَانِهِ
وَكَانَ صَبَّ الْبَحْرِ صَبًّا^(٤) هَائِمٌ غَلَبَ الْبُكَاءُ عَلَيْهِ فِي أَحْيَانِهِ
بَعَثَتْ بَوَاعِثَ حُزْنِهِ رِيحُ الصَّبَا فَتَرَاهُ لَا يَنْفَكُ عَنْ أَشْجَانِهِ

١ الذلق: الفصيح والبلغ .

٢ المصدر السابق. ص: ٤٥ .

٣ المصدر السابق. ص ٦٧ .

٤ الصب: اسم مصدر، وهو العاشق ذو الوله الشديد. ومنه قول البوصيري: في بردته: «أُبْحِبُ الصَّبَّ أَنْ الْحُبُّ مُنْكَيْمٌ» .

وَبِحَضْرَتِي الْفَذُّ الَّذِي بِهِرَ الْوَرَى
فَهُوَ ابْنُ عَمَّارٍ الَّذِي لَوْ أَنَّهُ
خَدَمَ الْقَرِيبُ بِسَاطِطِهِ وَأَبَاحَهُ
وَكَانَمَا زَهْرُ الْكَوَاكِبِ ثَشْرُهُ
إلى أن يقول :

وَإِذَا نَسُوا فَضْلِي فَكَمْ مِنْ فَاضِلٍ
نَصَبُوا حَبَائِلَ مَكْرِهِمْ وَتَعَرَّضُوا
مِنْ كُلِّ أَرْعَنَ أَهْوَجِ الْأَخْلَاقِ قَدْ
أَوْ لَمْ يَرِ الْمُغْتَرُّ أَنَّ الْعِزَّ لَا
إلى أن يقول :

وَإِذَا نَسُوا أبا الْعَبَّاسِ سِرٌّ تَغْزُلِي
أَجْلَافُ هَذَا الْعَصْرِ حَقًّا لَوْ رَأَوْا
حَسِبُوا السَّرَّابَ - بِقِيَعَةٍ - مَاءً وَقَدْ
إِنْ أَنْكَرُوا فَضْلِي لِحُبِّ طِبَاعِهِمْ
وَكَذَلِكَ الْيَاقُوتُ مَا بَعْدُوا بِهِ
وَإِذَا الْفَتَى عَلِقَ الْفَضَائِلَ وَاعْتَلَى
وَعَلَتْ إِشَارَتُهُ وَشَارَتُهُ فَلَا

أَدَبًا وَأُخْرَسَهُمْ بِسِحْرِ بَيَانِهِ
لَأَقَى ابْنَ عَمَّارٍ^(١) لَغْصً بَشَانِهِ
أَنْ يَجْتَنِي الْأَزْهَارَ مِنْ بُسْتَانِهِ
فِي الْحُسْنِ أَوْ كَالرَّوْضِ فِي نَيْسَانِهِ

قَبْلِي سَقَوهُ السَّمَّ فِي كَيْسَانِهِ
بِسَهَامِهِمْ لِلنَّجْمِ فِي كِيَوَانِهِ
أُرْبَى عَلَى فِرْعَوْنَ مَعَ هَامَانِهِ
تَبَقَى مَلَابِسُهُ عَلَى فِتْيَانِهِ ؟

فَالسُّرُّ عِنْدِي أَنْتَ مِنْ خَزَائِنِهِ
حَسَّانَ مَا جَنَحُوا إِلَى إِحْسَانِهِ
ظَمِئُوا فَمَا وَرَدُوهُ مِنْ غُدْرَانِهِ
فَالدَّرُّ لَيْسَ يَغْزُ فِي أَوْطَانِهِ
إِلَّا وَزَادَ الْبَغْدُ فِي أَثْمَانِهِ
قُنِّنَ الْمَعَالِي عَزَّ فِي سُلْطَانِهِ
زَمَنَ تَرَاهُ يَسُودُ غَيْرُ زَمَانِهِ^(٢)

وفي اعتقادنا أن الأدب في الجزائر قد أصبح - على عهد الأتراك -

١ ابن عمار : هو بلر ابن عمار ممدوح المتنبي .

٢ المصدر السابق . ص : ٤١ - ٤٥ .

شاذاً وأشد منه شذوذاً الأدباء والنبغاء .

وعلى رأس هؤلاء النبغاء في القرن الأول - إبان حكم الأتراك - أبو العباس أحمد المقرئ^(١). وقد خصصنا له دراسات جامعية ضافية البحث، وأما في القرنين التاليين فلم نجد من يستحق الرتبة الثانية - بعد أبي العباس - من حيث التنزه في رياض الأدب والتجول في ميدان العلوم العقلية والنقلية. سوى أحمد بن عمار الجزائري ...^(٢) صاحب كتاب «نحلة اللبيب بأخبار الرحلة إلى الحبيب»، ولعل الله يتيح لنا الفرصة في المستقبل القريب حتى نخصص له دراسات أكاديمية مثل قرينه، «وليس ذلك على الله بعزیز». وقد منحنا الأولوية لهاتين الشخصيتين دون غيرهما من سائر الشخصيات الجزائرية، لكونهما قد جمعا - لأدبهما الممتع - علماً غزيراً، ودراية واسعة النطاق وموهبة وقادة وشهامة فذة .

وقد انفرد أبو العباس بحافظة لقاطة وذاكرة عديمة النظير، وليس معنى هذا أن القطر الجزائري قد خلا - كلياً - من الأدب إبان عهد الأتراك، بل هناك أدب، بيد أنه ما زال فجاً لم يبلغ النضج العقلي والشعور الحي والخيال الجوال .

١ هو أبو العباس أحمد بن محمد بن أحمد بن يحيى بن عبد الرحمن بن أبي العباس بن محمد المقرئ القريشي. ولد بتلمسان سنة ٩٨٦ هـ - ١٥٧٨ م بعد ما مضى على دخول الأتراك لهذه الحاضرة ثلاثين سنة، وتوفي سنة ١٠٤١ هـ - ١٦٣٢ م، ودفن بمقبرة المجاورين رحمه الله . وترك للثقافة العربية ثروة كبيرة في شتى الفنون .

٢ هو الحاج أحمد بن عمار الجزائري مفتي المالكية بمدينة الجزائر، كان نابغة زمانه في العلوم العقلية والعقلية. كان مفتياً سنة ١١٨٠ هـ (١٧٧١ م) ولم نعرف بالضبط زمان وفاته .

وكلامنا كله في الأدب المكتسب (أدب الدرس) أما أدب المواهب الطبيعية (أدب النفس) فهو أكثر من كثير بالقطر الجزائري. لا سيما الشعر الملحون المعبر عنه «بالأدب الشعبي». وكان بودنا أن نذكر نماذج من أدب العصر الذي عاشه المؤلف. بيد أننا اكتفينا بالنماذج التي أوردها المؤلف في كتابه «التحفة المرضية» وقد اغتتنا عما كان بودنا أن نذكره. وليس معنى هذا - أيضاً - أن القطر الجزائري قد أقفر من الأدباء والعلماء؛ بل هناك علماء، ولكنهم ليسوا متحررين في أفكارهم وأقوالهم. بل هم إلى التقليد أقرب وإلى الخمول أركن.

ثم هناك أدباء غير أنهم لم يتركوا لنا أدباً خصباً ونتاجاً سميناً يستوجب من الناقد التزيه أن يرتب أصحابه في صفوف النبغاء من أدباء العصر. وقد ذكر صاحب «التحفة المرضية...» فئة من أبناء تربته وأتراب عصره يمكن لنا أن نتخذهم مظهراً من مظاهر علماء القطر وأدبائه.

رجال الثقافة

كانت الثقافة في القطر الجزائري يمثلها أشخاص معينون في أماكن محدودة، وكان هؤلاء الأشخاص أغلبهم من المهاجرين الأندلسيين الذين لجأوا إلى القطر الجزائري واتخذوه موطناً ومستقراً.

ونحن نود أن نذكر مشاهير هؤلاء الرجال مع ذكر نتاجهم مبتدئين منذ بداية تنظيم الإدارة التركية الجزائرية إلى سقوطها على أيدي الفرنسيين، وبهذا يتضح لنا مدى ثقافة هؤلاء الرجال وقيمة نتاجهم من حيث التأثير

والتأثر. وما هم أولئك الرجال مرتبين حسب سنوات الوفاة :

١ - طاهر بن زيان الزواوي القسنطيني، نزيل المدينة المنورة .

شيوخه: أخذ عن الشيخ أحمد زروق وولده أحمد زروق الصغير،
والشيخ محمد الوزان وغيرهم .

مؤلفاته: نزهة المريد في معاني كلمة التوحيد، ورسالة القصد إلى
الله تعالى وغير ذلك. توفي سنة ٩٥٠ هـ (١٥٣٣ م) .

٢ - أبو العباس أحمد بن محمد المعروف بـ «ابن أبي حيدة الوهراني»

شيوخه: أخذ عن الشيخ السنوسي، وابن مرزوق الكفيف - وهو
الذي كان يطالع ويقرأ له، وأخذ التصوف عن ابن تازغدرت: أحد
تلامذة الشيخ ابراهيم التازي .

تلامذته: أخذ عنه الشيخ المنجور وغيره. توفي سنة ٩٥١ هـ (١٥٤٤ م).

٣ - أبو زيد عبد الرحمن بن محمد الصغير الاخضري .

مؤلفاته: ارجوزة في السلوك الصوفي، والجوهر المكنون في البلاغة،
وشرحه، والدرة البيضاء في الحساب والفرائض، وشرحها. والسراج المنير
في الفلك، ومقدمة في فقه العبادات، والسلم المروتنق في المنطق، وشرحه.
توفي سنة ٩٥٣ هـ (١٥٤٦ م) .

٤ - أبو مالك عبد الواحد بن أحمد الونشريسي، تولى القضاء بفاس

سبعة عشر عاماً، وتولى بها الافتاء - أيضاً - بعد شيخه ابن هارون .

شيوخه: أخذ عن والده وابن غازي والحباك، والهبطي، وأبي زكريا السوسي، وأبي الحسن الزقاق، وابن هارون وغيرهم .

تلامذته: الشيخ المنجور، وعبد الوهاب الزقاق، والبيسيتي وغيرهم .

مؤلفاته: شرح على ابن الحاجب في أربعة أسفار، وشرح على الرسالة، ونظم تلخيص ابن البنا في الحساب، وتعليق على البخاري لم يكمل. وله عدة خطب بليغة وعدة فتاوى محررة، ونظم كثير في مسائل فقهية.

ولد بعد سنة ٨٨٠ هـ (١٤٧٥ م) وتوفي سنة ٩٥٥ هـ (١٥٤٩ م) .

٥ - أبو عبد الله محمد بن علي الخروبي الطرابلسي الجزائري .

شيوخه: أخذ عن الشيخ زروق، وأبي عبد الله محمد الزيتوني، وعمر بن زيان المديوني. ففي سنة ٩٥٩ هـ (١٥٥٢ م) قدم إلى مراکش سفيرا بين سلطان آل عثمان وبين الأمير أبي عبد الله الشريف، من أجل المهادنة والصلح بين الطرفين ولكي تتحرر البلاد الإسلامية من السلطة الأجنبية .

تلامذته: أخذ عنه جماعة من أهل فاس .

مؤلفاته: شرح الحكم لابن عطاء الله، ورسالة رد بها على أبي عمر القسطلي المراكشي، وتفسير القرآن الكريم. توفي سنة ٩٦٣ هـ (١٥٥٦ م) .

٦ - أبو عبد الله محمد بن عبد الرحمن المعروف بـ «ابن جلال» التلمساني، مفتي فاس وشيخ الجماعة بها .

شيوخه: أخذ عن أبي عثمان سعيد المقرئ، وأبي زكريا المغراوي، وأحمد ابن اطاع الله، وعبد الملك البرجي وغيرهم .

تلامذته: أخذ عنه الإمام المنجور وغيره. ولد سنة ٩٠٨ هـ (١٥٠٢ م) وتوفي سنة ٩٨١ هـ (١٥٧٣ م).

٧ - أبو عبد الله محمد المعروف بـ «ابن شقرون» بن هبة الله الوجدجي التلمساني، نزيل مراکش ومفتيها، وشيخ الجماعة بها. كان ترباً لابن جلال ومشاركاً له في شيوخه.

شيوخه: أخذ عن الشيخ إبراهيم الشاوي، والشيخ سعيد قدورة وغيرهما. مؤلفاته: شرح على التلمسانية في الفرائض. توفي سنة ٩٨٣ م (١٥٧٥ م).

٨ - أبو عثمان سعيد بن أحمد المقرئ التلمساني، علم تلمسان ومفتيها ستين سنة، وخطيبها بجامعة الأعظم خمسة وأربعين عاماً.

شيوخه: أخذ عن والده، وعبد الوهاب الزقاق، وعبد الواحد الونشريسي وابن جلال، وابن هارون وخروف، وسعيد المنوي وغيرهم.

تلامذته: أخذ عنه جماعة منهم: ابن أخيه أبو العباس أحمد المقرئ، وأحمد بن القاضي، ومحمد بن مريم، وابن أبي مدين، واليزناسي، وسعيد قدورة وغيرهم. ولد قبل سنة ٩٣٠ هـ (١٥٢٤ م) وكان حياً سنة ١٠١١ هـ (١٦٦٢ م).

٩ - أبو عبد الله محمد بن أحمد المعروف بـ «ابن مريم» التلمساني.

شيوخه: أخذ عن الشيخ سعيد المقرئ وغيره وقد ذكر مشايخه ومؤلفاته في كتاب «البستان في ذكر الأولياء والعلماء بتلمسان»، وهي أحد عشر تأليفاً. توفي سنة ١٠٢٠ هـ (١٦١١ م).

١٠ - أبو عبد الله محمد بن أحمد المري الشريف التلمساني .

شيوخه: أخذ عن المنجور وغيره .

تلامذته: أخذ عنه ابنه أبو الحسن، ومحمد العربي الفاسي . ولد

سنة ٩٥٠ هـ (١٥٤٣ م) وتوفي سنة ١٠١٨ هـ (١٦٠٩ م) .

١١ - شهاب الدين أبو العباس أحمد بن محمد المقرئ التلمساني

مولداً . نزيل فاس . ثم القاهرة وبها توفي .

شيوخه: أخذ عن عمه الشيخ سعيد المقرئ الفقه والحديث، وروى

عنه الكتب الستة وقرأ عليه البخاري سبع مرات، وأخذ عن الشيخ أحمد

بابا التنبكي، والقصار، وأحمد بن القاضي الفاسي، وغيرهم .

تلامذته: أخذ عنه عيسى الثعالبي، وعبد القادر الفاسي، ومبارة،

وغيرهم .

مؤلفاته: ألف أكثر من ثمانية وعشرين تأليفاً أشهرها نفع الطبيب،

وأزهار الرياض، وفتح المتعالي في مدح النعال، وأضواء الدجنة في عقائد

أهل السنة وغيرها . توفي سنة ١٠٤١ هـ (١٦٣٢ م) .

١٢ - أبو الحسن علي بن عبد الواحد بن محمد السجلماسي

الجزائري .

شيوخه: أخذ عن أبي محمد عفيف الدين عبد الله الحسني، وأبي

عبد الله محمد بن أبي بكر الدلائي، والشهاب أحمد المقرئ، قرأ عليه

الكتب الستة دراية ورواية، والبخاري سبع عشرة مرة قراءة بحث وتدقيق،

وأخذ عن الشيخ الغنيمي ، والشيخ أحمد بن عبد الوارث البكري ، والشيخ النوري الاجهوري . وغيرهم .

تلامذته : أخذ عنه أبو مهدي عيسى الثعالبي ، ومفتي الجزائر وخطيبها أبو عبد الله ، الموهوب والشيخ أحمد بن عبد الواثق ، وأبو العباس بن عبد العظيم ، والشيخ محمد بن عبد الهادي ويحيى الشاوي وغيرهم .

مؤلفاته : نظم السيرة النبوية ، ونظم في العقائد والأشياء والنظائر في فقه عالم المدينة ، ومسالك الأصول في مدارك الوصول (نظم) ، ونظم أصول الشريف التلمساني . وشرح منظومة في وفيات الأعيان ، وتفسير بلغ فيه إلى « ولكن البر من اتقى » ، وشرح التحفة ، لم يخرج من المسودة ، وتقييد على المختصر ، وغير ذلك . توفي بالجزائر سنة ١٠٥٧ هـ (١٦٤٧ م) .

١٣ - أبو عثمان سعيد بن ابراهيم قدورة التونسي النجار الجزائري المولد والنشأة .

شيوخه : أخذ عن الشيخ سعيد المقرئ ، وابراهيم الهشوكي ، ومحمد ابن القاسم المطماطي وغيرهم .

تلامذته : أخذ عنه ابنه محمد قدورة ، وعيسى الثعالبي ، ويحيى الشاوي ومحمد بن اسماعيل مفتي الجزائر ، وأبو عبد الله الموهوب ، ومحمد ابن عبد الهادي .

مؤلفاته : شرح الصغرى للسنوسي ، وشرح خطبة اللقاني في العقائد وشرح السلم المروتنق في المنطق . توفي سنة ١٠٦٦ هـ (١٦٥٦ م) .

١٤ - أبو محمد عبد الكريم بن محمد بن محمد بن عبد الكريم
الفكون القسطيني .

شيوخه: أخذ عن والده محمد وغيره .

تلامذته: أخذ عنه ابنه محمد، وعيسى الثعالبي . اجتمع به أبو
سالم العياشي في طرابلس - وهو أمام ركب الحج - وروى عنه بواسطة
عيسى الثعالبي .

مؤلفاته: شرح أرجوزة المكودي « البسط والتعريف . في فن التصريف »
وشرح شواهد الشريف على الاجرومية، وشرح جمل المجراد وشرح مخارج
الحروف من الشاطبية، ورسالة في فقراء الوقت وديوان شعر في المدائح
النبوية مرتب حسب حروف المعجم، ورسالة رد بها على الاجهوري في
تحريم الدخان. توفي سنة ١٠٧٣ هـ (١٦٦٣ م) .

١٥ - الشيخ عاشور بن عيسى القسطيني .

شيوخه: أخذ عن الشيخ التواتي، والشيخ سالم السنهوري، وأبي الحسن
النوري، وأبي سالم العياشي بالاجازة. واستوطن تونس .

تلامذته: محمد قويسم، ومحمد الحجيج، وعبد العزيز الفراتي .
كان حياً سنة ١٠٧٤ هـ (١٦٦٤ م) .

١٦ - جار الله أبو مكتوم عيسى بن محمد المقرئ الجعفري الزواوي
الجزائري .

شيوخه: أخذ عن الشيخ سعيد قدورة وتاج الدين البكري، وعن
النور الاجهوري وأبي العباس المقرئ وغيرهم. والشيخ عبد الصادق، والشيخ

عبد الكريم الفكون والشيخ أبي الحسن السراج السجلماسي .
 وقد لازم هذا الأخير وأصبح زوجاً لابنته، ولما مات شيخه وزوجته
 رحل من الجزائر إلى المشرق .
 تلامذته: أخذ عنه الشيخ يحيى الشاوي، وأبو سلم العياشي وجار الله
 الشيخ عبد الله بن سالم البصري وغيرهم .
 مؤلفاته: تقييد الأسانيد؛ ذكر فيه شيوخه المالكيين وأسماء رواة الإمام
 أبي حنيفة، وفهرسة حافلة، سماها « كثر الرواة ». توفي سنة ١٠٨٠ هـ
 (١٦٦٩ م) .

١٧ - محمد بن علي المعروف بـ « ابن اقوجيل » الجزائري .
 مؤلفاته: عقد الجمان اللامع من قعر البحر الجامع في الحديث .
 توفي سنة ١٠٧٨ هـ (١٦٦٧ م) .

١٨ - أبو زكريا يحيى بن الفقيه محمد النابلي الشاوي الملياني
 الجزائري. ولد بمليانة .

شيوخه: أخذ - بالجزائر - عن الشيخ محمد بن محمد بن بهلول
 والشيخ سعيد قدورة، والشيخ أبو الحسن علي بن عبد الواحد السجلماسي
 وأبو مهدي عيسى الثعالبي، والشيخ سلطان المزاحي والشمس البابلي، والنور
 الشبراملسي وغيرهم .

تلامذته: أخذ عنه الشيخ علي النوري، والشيخ عبد العزيز الفراتي
 الصفاقسيان، والشيخ محمد المحبي صاحب « خلاصة الأثر » وغيرهم .
 مؤلفاته: حاشية على شرح أم البراهين، ونظم لامية في اعراب اسم

الجلالة، وشرحها، وشرح التسهيل، وكتاب في أصول النحو، وحاشية على شرح المرادي في النحو أيضاً، وحاشية على تفسير الزمخشري وابن عطية الخ .. توفي ١٠٩٦ هـ (١٦٨٥ م) .

١٩ - أبو عبد الله محمد بن محمد بن عبد المؤمن الحسني الجزائري .

شيوخه: أخذ عن أبي عبد الله محمد المعروف بـ «الكمد» القسنطيني وغيره .

تلامذته: أخذ عنه أبو عبد الله محمد بن قاسم بن زاكور الفاسي، وأجازه سنة ١٠٩٤ هـ (١٦٨٣ م) كان معاصراً لمحمد بن ميمون صاحب «التحفة» .

٢٠ - أبو عبد الله محمد بن عبد الكريم الجزائري .

شيوخه: أخذ عن الشيخ عبد القادر الفاسي، والبوسي، وسعيد قدورة، والажهوري، والبابلي، والفيشي، وأبي الغيث القشاش فشيوخه نحو السبعين شيخاً: مشاركة ومغاربة. توفي سنة ١١٢٠ هـ (١٦٩١ م) .

٢١ - أبو عبد الله محمد بن أحمد القسنطيني الشريف الحسني،

المعروف بـ «ابن الكمد» .

شيوخه: أخذ بجبل ازواوة عن أبيه عبد الله محمد المغربي الجزائري، ومحمد قدورة، وأبي عبد الله محمد بن عبد المؤمن وغيرهم .

تلامذته: أخذ عنه محمد بن عبد السلام بناني، وادريس بن محمد المنجرة. توفي سنة ١١١٦ هـ (١٧٠٤ م).

٢٢ - أبو الحيرات مصطفى بن عبد الله بن موسى الرماصي (نسبة إلى قرية قرب مازونة).

شيوخه: أخذ عن الخرشي والزرقاني وغيرهما.
مؤلفاته: حاشية على شرح الشمس التتائي على المختصر وغيرها.
توفي سنة ١١٣٦ هـ (١٧٢٤ م) عن نيف وتسعين سنة.

٢٣ - أبو العباس أحمد بن الشيخ قاسم بن محمد المعروف بـ «ابن ساسي» البوني.

شيوخه: أخذ عن أبيه، ويحيى الشاوي، والزرقاني، والخرشي، والشبرخيتي، وخليل اللقاني.

تلامذته: أخذ عنه ولداه: محمد وأحمد، وعبد الرحمن الجامعي وغيرهم. توفي سنة ١١٣٩ هـ (١٧٢٦ م).

٢٤ - محمد بن أحمد الشريف الجزائري، نزيل القسطنطينية.
مؤلفاته: القول المواطىء في شرح قصيدة الدمياطي، ومسك الحبوب في بعض ما نقل من أخبار أيوب. توفي سنة ١١٣٩ هـ (١٧٢٦ م).

٢٥ - أبو عبد الله محمد بن عبد الرحمن بن زكري.
شيوخه: أخذ عن عبد القادر الفاسي، وأحمد بن العربي بن الحاج وأبي عبد الله محمد المسناوي وميارة الصغير، وغيرهم.

تلامذته: وأخذ عنه محمد جسوس وغيره .

مؤلفاته: شرح خريدة السيوطي، وشرح النصيحة الزروقية، وشرح الحكم العطائية، وشرح الشمائل النبوية، وحواش على البخاري، وشرح الصلاة المشيشية، وشرح القواعد الزروقية، وحاشية على توضيح ابن هشام لم تكمل وغير ذلك. توفي سنة ١١٤٤ هـ (١٧٣١ م) .

٢٦ - أبو البقاء محمد بن يعيش الشاوي الرغاوي .

شيوخه: أخذ عن الشيخ أبي عبد الله القسنطيني، وأبي الرحال، ومحمد المساوي وغيرهم .

تلامذته: أخذ عنه الشيخ التاودي، وأبو العباس أحمد الجرندي، وأبو عبد الله محمد الدكالي .

مؤلفاته: حاشية على شرح «التحفة» لميارة، سماها «الكواكب السيارة»، مات قتيلا بفاس على أيدي اللصوص سنة ١١٥٠ هـ (١٧٣٧ م) .

٢٧ - عبد القادر بن محمد الراشدي القسنطيني .

شيوخه: أخذ عن أحمد زروق البوني وغيره .

تلامذته: أخذ عنه المرتضى الزبيدي وغيره .

مؤلفاته: حاشية على شرح السيد للمواقف العصرية. رسالة في تحريم شرب الدخان، كتاب في مباحث الاجتهاد. توفي سنة ١١٩٤ هـ (١٧٨٠ م) .

٢٨ - الحسين بن محمد السعيد الورثلاني (نسبة لبني ورثلان

قرية قرب بجاية) .

شيوخه: أخذ عن والده، وأحمد الناصري وغيرهما. واجتمع بعلماء

الشرق والغرب .

مؤلفاته: شرح «القدسية» في التصوف للشيخ عبد الرحمن الاخضري.
وشرح «الوسطى» للشيخ السنوسي، وشرح خطبة «الصغرى» للسنوسي أيضاً،
ونزهة الأنظار في فضل علم التاريخ والأخبار وقد اشتهر هذا التأليف
باسم «الرحلة الورثلانية». توفي سنة ١١٩٤ هـ (١٧٨٠ م) .

٢٩ - أبو عبد الله محمد بن عبد الرحمن بن أبي القاسم الحسني
الزواوي، شيخ الطريقة الرحمانية .

شيوخه: أخذ عن الشيخ الصعدي، والشيخ الدردير، والشيخ علي
ابن خضر العروسي، وشيخه الأكبر وولي نعمته هو محمد بن سالم
الحفناوي الشافعي الخلوتي .

تلامذته: أخذ عنه الشيخ علي بن عيسى صاحب زاوية الكاف
بالحدود التونسية الجزائرية، والشيخ عبد الرحمن باش تارزي، والشيخ
محمد عزوز . ولد سنة ١١٢٣ هـ (١٧٢٠ م) وتوفي سنة ١٢٠٨ هـ
(١٧٩٤ م) .

٣٠ - أبو العباس أحمد بن محمد بن المختار بن أحمد الشريف
التجاني صاحب الطريقة التجانية المشهورة . كان عالماً صوفياً، له عدة
أجوبة وفتاوي ورسائل في مختلف الفنون، كما أن له تلامذة تفوق الحصر.
ولد سنة ١١٥٠ هـ (١٧٣٧ م) وتوفي سنة ١٢٣٠ هـ (١٨١٥ م) .

٣١ - أبو عبد الله محمد بن عزوز البرجي .
شيوخه: أخذ عن الشيخ أبي عبد الله محمد الأزهرى وغيره .

مؤلفاته: رسالة المريد وشرحها . ولد سنة ١١٧٠ هـ (١٧٥٧ م) وتوفي سنة ١٢٢٣ هـ (١٨١٧ م) .

٣٢ - أبو عبد الله محمد الصالح بن سليمان العيسوي الزواوي .

شيوخه: أخذ عن أعلام جامع الزيتونة . ثم رجع لوطنه .

تلامذته: أخذ عنه ابنه أحمد الزواوي وغيره .

مؤلفاته: ميزان اللباب في قواعد البناء والاعراب . وشرح الازهرية في

النحو ، وحاشية على الصغرى في العقائد ، وشرح البردة في المديح النبوي ،

وشرح السلم في المنطق . توفي سنة ١٢٤٣ هـ (١٨٢٨ م) .

ولعل هناك من يخالفنا فيما ذهبنا إليه ويزعم أن الجزائر قد كانت

لا تقل ثقافة عن الأقطار الإسلامية الأخرى سواء من حيث شكل المبنى

أو مضمون المعنى .

ونحن نود أن نلفت نظر صاحب هذا الزعم - مرة ثانية - إلى ثلاثة

أدلة قاطعة ، فهي التي تفند زعمه وتأخذ بيده وترشده إلى تحكيم العقل

الرزين ، ونبد العاطفة المتحيزة تلك الأدلة هي مظاهر الثقافة المتقدمة الذكر .

فالأزهر الشريف ، وجامع القرويين ، وجامع الزيتونة ، وجامع الأمويين ،

والمسجد الأقصى ، والمسجد النبوي ، أبت الطبيعة أن تجعل أحدها في

حوزة القطر الجزائري ، حتى ينبغ فينا رجال علم وادب ، فيكون لهم نتاج

يستوجب من علماء الأقطار هز الرؤوس ، ومن أدباء الأعصار رقص

النفوس . « فالبصرة تدل على البعير » ، « والاقدام تدل على المسير » و « الحق

يعلو ولا يعلى عليه » .

دراسات تحليلية للكتاب

أ - مؤلفه: إن «بركلمان» (Brockelmann)^(١)، و «فانيان» (Fagnan)^(٢)، و «قورقوص» (Gorguos)^(٣)، و «فاي» (Fey)^(٤)، و «روسو» (A. Rousseau)^(٥)، و «بيربريجير» (Berbrugger)^(٦) قد تكلم كل منهم عن كتاب «التحفة المرضية...»، ولم يصرح أحدهم بمؤلف الكتاب، بل قد صرحوا بأنه مجهول المؤلف.

ونحن لا نرتاب في نسبة هذا الكتاب لمؤلفه محمد بن ميمون الجزائري، وحجتنا في ذلك ترتكز على دليلين اثنين كل منهما صريح في عبارته، ولا غموض فيما ذهبنا إليه.

أولهما: ما جاء في أول صفحة من نفس الكتاب: «هذه مقامات الفقيه العلامة، الدراكة الفهامة، الأديب البارع، سيدي محمد بن ميمون الجزائري رحمه الله».

(1) Brockelmann, Geschichte d'Arabischen Literatur. (Weimar: 1902) v. 2, p. 608.

(2) Fagnan, Catalogue général de Manuscrits (Paris: 1893) p. 402.

(3) Gorguos, Notice sur le Bey d'Oran (Revue Africaine, 1857).

(4) Léon Fey, Histoire d'Oran. Oran 1858, p. 125-136.

• قد ترجم كتاب «التحفة المرضية» ونشره سنة ١٨٤٦ م.

(6) Collection du Moniteur Algérien

ثانيهما : ما جاء في شرح أرجوزة الحلقاوي لمحمد عبد الرحمن الجامعي^(١) إذ يقول : « وقد استوفى حق تحليلته^(٢) بالعلوم ، وتحصيل المنطوق والمفهوم ، الأديب الأريب ، الحبيب النسيب ، الجامع البار ، عذب الموارد والمشارع ، وحلو المقاصد والمفازع ، طائر السعد الميمون ، أبو عبد الله سيدي محمد ابن ميمون حفيد الشيخ الفقيه الإمام ، قدوة المتقين الولي ، العلامة علم الأعلام ، سيدي أبي العباس بن عبد الله الجزائري^(٣) . أعلى الله درجات الجميع بلا محنة في دار الإسلام ، فانه^(٤) ألف في سيرة هذا السيد^(٥) - نصره الله - كتاباً أسماه بـ « المقامات » وهو في الحقيقة قلائد العقيان ، ولولا مشاهدة رقم سطوره في لبات طروسه لقلت سجعاً حمائم البستان ، وما زالت الشعراء تصفه^(٦) بهذه الصفة العلمية^(٧) . »

ولم نعثر بعد البحث الدقيق - على من تناول الكلام عن هذا الكتاب ،

١ الجامعي : كان معاصراً للمؤلف ، وقد شرح هذه الأرجوزة قبل فراغ محمد بن ميمون من تأليفه « التحفة المرضية ... » إذ كل منهما يذكر تأليف الآخر . جاء في كتاب التحفة المرضية ... - بعد نقل المؤلف لجميع أرجوزة الحلقاوي - « وقد شرح هذه الأرجوزة فكل أخبارها وأظهر أشعارها العالم التحرير البليغ الشهير السيد محمد عبد الرحمن المغربي المذكور قبله . »

٢ تحليلته : الضمير يعود على الداوي بكداش الذي ألف الكتاب من أجله .

٣ تقدمت ترجمته عند التعريف بالمؤلف .

٤ فانه : الضمير يعود على محمد بن ميمون مؤلف « التحفة المرضية » .

٥ السيد هو الداوي محمد بكداش .

٦ الضمير في « تصفه » يعود على الداوي بكداش .

٧ الجامعي ، محمد عبد الرحمن . شرح أرجوزة الحلقاوي . ص : ٢٧ . مخطوط خاص .

أو أشار إلى صاحبه سوى هؤلاء السبعة، ستة من الأجانب، وواحد من الجنس والملة .

ب - عتوانه: لم يقع تحريف، ولا تغيير في عنوان هذا الكتاب، حسبما يبدو لنا، فإن النسختين اللتين بين أيدينا متحدتان في لفظ العنوان فقد جاء خلال مقدمة كل منهما: «وسميته بالتحفة المرضية في الدولة البكداشية، في بلاد الجزائر المحمية». وهذه التسمية قد تشعرتنا بأن هذا الكتاب يتناول بعضاً من السير الشخصية، وجزءاً هاماً من تاريخ قطر الجزائر أبان حكم الأتراك هناك .

ج - موضوعه: تناول محمد بن ميمون في هذا الكتاب سيرة الداي محمد «بكداش» من حيث رأيه المصيب، وأعماله المرضية، وأرومته الزكية. وقد ركز على سيرته أبان توليته وحكمه، كما خصّص جلّ الكتاب لقصة الفتح الأول لمدينة وهران^(١) على يد هذا الداي وصهره «أوزن»^(٢) حسن. وكل ذلك بعبارة واضحة، وأسلوب جذاب. ويؤخذ على المؤلف

١ لم يتفرد محمد بن ميمون بقصة مدينة وهران، بل هناك من شاركه في الموضوع، من علماء عصره، وأدباء قطره. فقد نظم محمد بن أحمد الحلفاوي مفتي تلمسان أرجوزة في هذا الغرض تحتوي على اثنين وسبعين بيتاً، تعرض فيها لتاريخ مدينة وهران منذ أن احتلها الأسبان إلى أن فتحها محمد «بكداش». وشرح هذه الأرجوزة - شرحاً مفيداً - عبد الرحمن الجامعي القاسي تلميذ الحلفاوي. وقد أدرج هذه الأرجوزة محمد بن ميمون في كتابه «التحفة المرضية...» ونظم - أيضاً - أبو عبد الله محمد بن محمد الثغيري (شيخ المؤلف) قصيدة في هذا الغرض تحتوي على ثمانية عشر بيتاً. وقد أدرجها المؤلف - أيضاً - في كتابه «التحفة المرضية...». وقد اعتنى بتدوين هذا الفتح - أيضاً - أبو العباس أحمد الفلالي التلمساني، وكان تأليفه من المصادر الهامة التي اعتمدها الجامعي في شرحه لأرجوزة الحلفاوي .

٢ أوزن: كلمة تركية، معناها - في العربية - طويل القامة .

اغفاله ذكر مصطفى أبي الشلاغم باي الايالة الوهرانية مع أنه كان له الحظ الأوفر في نجاح هذا الفتح المبين .

د - هدفه : كان الدافع لمحمد بن ميمون على تحبير هذا الكتاب هو محبته الخالصة لهذا الداي ، ولسيرته المرضية ، وقد قصد بكتابه التزلف إليه ، والنيل من رضاه : « وبعد : فاني لما مولانا الإمام . الذي أنام في ظل الأمان جميع الأنام ، عالم الأمراء ، وأمير العلماء ، مولانا فخر الدولة العثمانية ، وناشر العدل على جميع البرية أبو النصر محمد « بكداش » أنارت أنواره جميع البلدان ، والتف ملكه بالاحسان ، التفاف الساق بالساق أردت أن أخدم مجلسه العالي بزف هذا الكتاب إليه ، المحتوي على ما نشر من السيرة المحمدية عليه ، وأشرف محاسنه بمثوله بين يديه ... »^(١) .

هـ - منهج التأليف : انتهج المؤلف في هذا الكتاب انتهاج المؤرخ من حيث التعبير عن الواقع الصريح . وترتيب الحوادث ، وانتهاج الأديب من حيث السجع والازدواج ... وقد أخل بعنصر أساسي من عناصر الأدب ، وهو الخيال الجوال ، الذي لا بد أن يمد به نهر الأدب ، لا سيما فنّ المقامات ، التي تعتمد على الخيال والاقتراض المقبول وقوعه . من حيث الزمان والمكان ، ومجتمع الإنسان . وعلى هذا فان تسمية هذا الكتاب بـ « المقامات » يعد تجاوزاً ومجازاً .

و - أسلوبه : يمتاز أسلوبه بمتانة اللفظ ، وقوة التعبير ، ونزعة الدين

١ محمد بن ميمون ، التحفة المرضية ... : المقدمة .

وقد يشوبه أحياناً بعض الغموض من حيث تركيب الجمل واستخلاص المعنى المراد. ولا يحيد عن السجع والازدواج إلا نادراً في نصوصه. ويمتاز بترتيب الأفكار. وتسلسل قصة الحوادث والوقائع، فلا استطراد يهوش القراء، ولا تكرار تكل منه الأذهان. والمؤلف يتوج أحياناً أسلوبه المعسول بالاقتباس من آي الذكر الحكيم والحديث الشريف ويطعمه بأبيات شعرية تناسب الموضوع، ويقبلها الذوق السليم.

ز - قيمته التاريخية: يعدّ هذا الكتاب وثيقة تاريخية ذات أهمية كبرى. من حيث الكشف عن استعداد الجيوش، وتفاصيل المعارك، ومراحل الهجومات على مدينة وهران وأبراجها وحصونها، حسب الأيام والشهور والسنوات وقد فعل المؤلف خيراً يشكر عليه، إذ حدد لنا عدد القتلى والأسرى، والغنائم التي غنمها المسلمون. والكتاب يضم نصوصاً تاريخية أمينة، تفيد الباحث الجاد، فيستخرج منها مرغوبه ومبتغاه، إذ كل ما فيه قد عاشه المؤلف وشاهده بالعيان.

ح - قيمته الأدبية: لا منازع في أن كتاب «التحفة المرضية...» يعد مصدراً أدبياً من مصادر الأدب الجزائري على عهد الأتراك، إذ يحتوي على ست عشرة مقامة، أدبية المبني، واقعية المعنى. كما يحتوي على سبعمائة وخمسة وتسعين بيتاً من الشعر كلها لأدباء جزائريين. قد عاصروا المؤلف وواكبوه في حوادث وقته، ووقائع قطره. وكل ما في الأمر قلما وجدنا كتاباً لأدباء العصر والقطر قد جمع بين الأدب والتاريخ، والحقيقة والخيال مثلما قد وجدناه في كتاب «التحفة المرضية»، في الدولة البكداشية،

في بلاد الجزائر المحمية .

ط - محتواه: يضم هذا الكتاب - بين دفتيه - مقدمة وست عشرة مقامة، أدبية من حيث الأسلوب، تاريخية من حيث الواقع، كما يضم - أيضاً - سبعمائة وخمسة وتسعين بيتاً من الشعر .

المقدمة: تحتوي - بعد البسملة والحمدلة - على الغرض من تأليف الكتاب، كما تشتمل على عنوانه، ثم التذمر من أبناء العصر من حيث حسدهم للمؤلف: «على أن أبناء العصر ابتلوا بالحسد، ويطلقون ألسنتهم بالفحشاء في كل مرصد، ومن كانت له ملكة فليصنف وإلا فلينصف»^(١). وتضم هذه المقدمة ثلاثة أبيات من الشعر .

المقامة الأولى: تحتوي على اسم والد الداوي محمد بكداش، والتنبؤ لولده بالرئاسة على الجزائر، وذكر تاريخ دخول المتنبأ له إلى الجزائر وبونة (عنازة)، حيث اجتمع بولي الله سيدي قاسم البوني الذي مدحه بيتين من الشعر الموال، كما تشتمل على ذكر بعض المناصب التي تقلدها محمد بكداش قبل أن يرتقي إلى منصب الداوي. وفي هذه المقامة بيتان من الشعر .

المقامة الثانية: تحتوي على تاريخ اسناد منصب «حامل الراية» إلى محمد بكداش، وأيضاً تاريخ صعوده على المنبر، حيث قام في الناس خطيباً وواعظاً، فأذهل الناس بفصاحته وبيانه، حسبما ذكره المؤلف .

١ محمد بن ميمون، «التحفة المرضية...» المقدمة .

وتضم المقامة الثانية خمسة عشر بيتاً من الشعر .

المقامة الثالثة: تحتوي على اسناد منصب «مقتصد عسكري» إلى محمد بكداش، وقد حمل المؤلف على داي العهد «الحاج مصطفى» ووصفه بالبغي، والظلم، والطغيان، والتهور، والجهل والتهاون، والنهب لأموال الضعفاء، والانتقام من كبار العلماء ... وكشف لنا المؤلف عن فرار الداوي الحاج مصطفى من معركة الخضراء (تونس) ولما عاد إلى الجزائر وجد الأبواب موصدة في وجهه والناس ينادون بقتله وتولية محمد بكداش في مكانه، فأبى هذا الأخير وتنازل عن هذا المنصب لحميمه حسين خوجة الشريف، وبقي هو مستشاراً له. أما الداوي الحاج مصطفى، فقد فر إلى القليعة، حيث لقي حتفه. وتضم المقامة الثالثة أربعة عشر بيتاً من الشعر .

المقامة الرابعة: تحتوي على اسناد منصب كاتب عام للدولة (دقتردار) إلى محمد بكداش، وقد كاتبه أحمد بن قاسم البوني في ذلك، وهناه بأرجوزة تشتمل على ثمانية وثمانين بيتاً، فكافاه محمد بكداش على ذلك، وطلب منه أن ينشده ما تيسر له من بنات أفكار خياله، فأنشده قصيدة ميمية تحتوي على أربعة وثلاثين بيتاً من الشعر الصوفي...

وقد كشف لنا المؤلف عن الأسباب، التي دفعت بالحساد أن يسعوا في تعكير الجو بين الداوي حسن خوجة الشريف، وبين كاتبه العام محمد بكداش فأفضى ذلك إلى سجن محمد بكداش، ثم نفيه من الجزائر،

والناس عيونهم عليه عبرى، وقلوبهم تكاد تنفطر من شدة الحزن ولوعة الفراق. وتضم المقامة الرابعة مائة وثلاثة وعشرين بيتاً من الشعر .

المقامة الخامسة: تحتوي على تحديد تاريخ نفي محمد بكداش من الجزائر إلى طرابلس الغرب، حيث اجتمع بالغوث السيد محمد ابن سيدي سعيد فبشره بالانتصار على أعدائه، فعندئذ قفل راجعاً إلى الجزائر ماراً بتونس، حيث اجتمع بجماعة من الجزائريين كانوا هناك فارين، وحنّ الجميع إلى بلادهم، فلما علم باي تونس بما قد عقدوا العزم عليه، فرق شملهم - اختباراً لهم - ثم شجعهم وزودهم بالخيول والمؤونة والسلاح. وغادروا تونس صوب الجزائر، يكمنون نهاراً ويسرون ليلاً حتى وطئت أقدامهم بساتين الجزائر، ومكثوا هناك يومين ينتظرون الفرصة. ثم استعانوا بأهل البلاد، ودخلوا من مكان يسمى «باب الحديد» .

المقامة السادسة: تحتوي على تحديد تاريخ اسناد منصب الداى إلى محمد بكداش، ووقوف صهره «أوزن» حسن إلى جانبه، واسناد بعض المناصب إلى أربعة أشخاص من أنصار الداى محمد بكداش، منهم الحاج محمود أمين لبيت المال. ثم ذكر ما آل إليه أمر الداى السابق حسين خوجة الشريف من حيث نفيه، وموته، وتاريخ دفنه بقرية من قرى ازواوة وقد رحّم المؤلف عليه، وعدّد فضائله ومحاسنه .

المقامة السابعة: تحتوي على التعريف بالداى محمد بكداش من حيث ذكر اسمه ونسبه وصفاته الحسية والمعنوية، وذكر ولده وصهره بأوصافهما الحسية والمعنوية، وذكر وزرائه، وكتابه وترجمانه، وذكر

عبارة خاتمه، والتعريف بقضاته، من حيث ذكر أسمائهم وأنسابهم، وصفاتهم الحسية والمعنوية أيضاً.

المقامة الثامنة: تحتوي على تهنئات جماعة من العلماء، وزمرة من الأدباء للداعي محمد بكداش، عندما تولى منصب داي على الجزائر. وقد عرف المؤلف بهؤلاء المهنيين، من حيث ذكر أسمائهم وألقابهم، وأنسابهم وأوصافهم. وتضم هذه المقامة ثلاثمائة واثنين وسبعين بيتاً من الشعر.

المقامة التاسعة: تحتوي على تاريخ استيلاء الاسبان على مدينة وهران وما فعلوه بأهلها هناك. وقد ساعدتهم قبائل بني عامر على التنكيل باخوانهم المسلمين الأبرياء. كما تشتمل على عدد الاخبية التي بعث بها الداي السابق حسين خوجة الشريف، من أجل حصر المدينة والتضييق على أهلها الاسبان. وقد بادر محمد بكداش لفتحها، وبعث بعساكره تحت قيادة صهره «أوزن» حسن بعدما قام فيهم خطيباً، وأوصاهم بطاعة قائدهم والامتثال لأوامره. كما أوصى القائد بطاعة الله والمحافظة على حدوده. وتضم هذه المقامة اثنين وسبعين بيتاً من الشعر.

المقامة العاشرة: تحتوي على تاريخ حصر «برج العيون» والاستيلاء عليه وهو أول شيء بادر به القائد «أوزن» حسن لهذا الفتح.

وقد وضّح لنا المؤلف مراحل الهجوم على هذا البرج إلى أن استولت عليه عساكر المسلمين، كما كشف لنا النقاب عن عدد القتلى والجرحى من الطرفين، لا سيما عدد الأسرى من الاسبانيين ومن وقف بجانبهم من المرتدين، وكذلك بين لنا ما غنمه المسلمون مما وجدوه في هذا البرج.

المقامة الحادية عشر: تحتوي على فتح «برج جبل المائدة»، وهو المعروف بـ «برج مرجاجو». وقد بين لنا المؤلف مراحل الهجوم، التي تقدمت هذا الفتح. ثم استولت على البرج عساكر المسلمين بعدما أسرت من الاسبانين مائة وستة من الرجال، وست نسوة. وبفتح هذا البرج انكشفت لهم المدينة وأصبحت قرية من قبضتهم.

المقامة الثانية عشر: تحتوي على تاريخ فتح «بُرج بن زَهْو» (برج اليهودي) وقد بين لنا المؤلف حصانة هذا البرج ومتانته، واعتناء الاسبان بتحصينه. كما قد أخبرنا بعدد الألغام، التي استعملتها عساكر المسلمين في نفسه قبل أن يفتحوه، وقد أنبأنا بأن جميع من كان فيه قد قتل ما عدا بعض أشخاص.

المقامة الثالثة عشر: تحتوي على تاريخ فتح مدينة وهران، وقد وصف المؤلف هذه المدينة وصفاً هائلاً، كما بين لنا مراحل المعارك التي تقدمت هذا الفتح، الذي كان على قلوب المسلمين برداً وسلاماً، وقد غنم المسلمون أموالاً كثيرة، وعتاداً وافراً، وقد عرفنا المؤلف ببعض علماء العصر، وأدباء القطر، الذين هناؤا الداوي، ومدحوه بقصائد شعرية، وخطب ثرية. وتضم هذه المقامة أربعين بيتاً من الشعر، ثمانية عشر بيتاً تتعلق بتاريخها منذ أن احتلها الاسبان إلى أن فتحها الداوي محمد بكداش.

المقامة الرابعة عشر: تحتوي على ذكر فتح «البرج الأحمر» و«البرج الجديد» وذكر عدد الأسرى، الذين سقطوا في أيدي عساكر المسلمين

بعدها ألقوا بأسلحتهم ، ومفاتيح البرجين ، وقد عرفنا المؤلف بأحد أدباء العصر والقطر ، الذي أنشد قصيدة جيمية تحتوي على أربعة وأربعين بيتاً في مدح الداوي وتهنته بهذا الفتح ، ولا يوجد غيرها من القصائد الشعرية في هذه المقامة .

المقامة الخامسة عشر : تحتوي على ذكر فتح برج المرسى ، وعدد الألغام التي زرعت من أجل نفس البرج ، وعدد الأسرى الذين سقطوا في أيدي المسلمين ، وفي هذه المقامة وصف رائع للمعارك الحربية ، التي دارت رحاها آنذاك ، وختمت بقصيدتين ، أحدهما أرجوزة لا تقل عن اثنين وسبعين بيتاً في تاريخ مدينة وهران ومدح فاتحها ، الداوي محمد بكداش ودولته ، والأخرى دالية تحتوي على ثلاثين بيتاً في مدح الداوي وتهنته بهذا الفتح المبارك . ولا يوجد في هذه المقامة سوى مائة وبيتين من الشعر .

المقامة السادسة عشر : تحتوي على وصف عودة خليفة الداوي وصهره «أوزن» حسن إلى الجزائر بعد انتصاره على الأسبان وفتح مدينة وهران عنوة . وقد أجاد المؤلف في وصف هذه العودة ، من حيث إبراز سرور الناس وابتهاجهم بهذا الفتح المبين في صورة خلاصة جذابة تشحذا الأفكار ، وتهيج الشعور ، وتنعش الأحاسيس وتستفز العواطف ، وختم مقاماته بعشرة أبيات من الشعر ، لا نشك في أنها من بنات فكره ، وحر لفظه . ولا يوجد سواها في هذه المقامة ، التي هي آخر الكتاب .

مزاي الكتاب

ان مزاي هذا الكتاب أربع قلما توجد في كتاب آخر من نوعه مثلما وجدت فيه .

أولها: مزية الصراحة التامة في مضمونه . ولولاها ما وصف المؤلف صهر الداي أوزن حسن بأنه كان - قبل أن يصاهر الداي محمداً بكداش - مدمناً على شرب الخمر ، صارفاً أوقاته في اللهو ، وأنه كان سكيراً لا يصحو في غالب الأوقات : « وكان - قبل - قام زمانا على المدامة معتكفاً ، ولثغور البطالة مرتشفاً ، لا يغدو إلا ثملاً ، ولا يروح إلا بنشوة مشتملاً^(١) » ولولا تلك الصراحة - أيضاً - ما أثنى على حسن خوجة الشريف ، مع أنه قد زج بممدوحه محمد بكداش في السجن ونفاه « وكان - رحمه الله - ظاهر الصواب متى نبس ، طاهر الاثواب من كل دنس ، معجزاً ببيانه ، موجزاً في كل أحيانه^(٢) » . ولعل صراحة المؤلف هي التي وقفت حجر عثرة بينه وبين علماء قطره ، وهي التي كانت السبب في اغفال ترجمتهم له وإهمالهم لنتاجه .

١ محمد بن ميمون ، التحفة المرضية (المقامة السابعة) .

٢ المصدر السابق ، (المقامة السادسة) .

ثانيها: مزية الترتيب الزمني للمناصب العسكرية التي تقلب فيها محمد بكداش منذ وصوله إلى الجزائر إلى أن ارتقى إلى منصب « داي ». وهذا الترتيب كما يلي :

- ١ - في سنة ١٠٨٦ هـ / ١٦٧٥ م أتى من تركيا إلى الجزائر وانخرط في جيش الانكشارية^(٣) .
- ٢ - في سنة ١١٠٧ هـ / ١٦٩٥ م أسند إليه منصب حامل الراية، (سانجاق دار)^(٤) .
- ٣ - في سنة ١١١٢ هـ / ١٧٠٠ م أسند إليه منصب مقتصد عسكري^(٥) .
- ٤ - في سنة ١١١٧ هـ / ١٧٠٥ م أسند إليه منصب رئيس ديوان الانشاء (دقتر دار)^(٦) .
- ٥ - في سنة ١١١٨ هـ / ١٧٠٧ م تولى منصب « داي » على الجزائر^(٧) .

ثالثها: مزية الترتيب الزمني لفتح مدينة وهران وأبراجها، وهو كما يلي:

- ١ - في ليلة النصف الأول من شهر ربيع أول سنة ١١١٩ هـ النصف الأول من شهر جوان ١٧٠٧ م حاصر الجيش الجزائري برج العيون، وفي اليوم العاشر من جمادى الاخرى من نفس السنة فتحوه^(٨) .

٣ المصدر السابق، (المقامة الأولى) .

٤ المصدر السابق، (المقامة الثانية) .

٥ المصدر السابق، (المقامة الثالثة) .

٦ المصدر السابق، (المقامة الرابعة) .

٧ المصدر السابق، (المقامة السادسة) .

٨ المصدر السابق، (المقامة العاشرة) .

- ٢ - في اليوم السابع والعشرين من جمادى الاخرى سنة ١١١٩ هـ ٢٥ سبتمبر ١٧٠٧ م فتحوا برج (مرجاجو)^(١) .
- ٣ - في اليوم الخامس من شعبان سنة ١١١٩ هـ ١ نوفمبر ١٧٠٧ م فتحوا برج ابن زهوة^(٢) .
- ٤ - في اليوم السادس والعشرين من شوال سنة ١١١٩ هـ ٢٠ جانفي فتحوا مدينة وهران^(٣) .
- ٥ - في اليوم السابع والعشرين - من نفس الشهر والسنة - فتحوا برج الأحمر ، ثم برج الجديد^(٤) .
- ٦ - في اليوم الثالث عشر من المحرم سنة ١١٢٠ هـ ٤ أفريل ١٧٠٨ م فتحو برج المرسى ، وهو آخر الأبراج المفتوحة عنوة ، وبفتحه استولى المسلمون على مدينة وهران مع المرسى الكبير^(٥) .
- رابعتها : ميزة القصائد الشعرية والأراجيز النظامية التي أودعها كتابه ، وهي وحدها تصلح أن تكون موضوعاً لرسالة جامعية ، لا سيما أن أغلبها أنشد ونظام من أجل الجهاد لاعلاء كلمة الله ، وانتصار المسلمين على من غصب أرضهم واستنقص قوتهم ، من أولئك الاسبان الذين سَوَّغت لهم أنفسهم أن يستعبدوا العباد ، ويستعمروا البلاد .

١ المصدر السابق ، (المقامة الحادية عشر) .

٢ المصدر السابق ، (المقامة الثانية عشر) .

٣ المصدر السابق ، (المقامة الثالثة عشر) .

٤ المصدر السابق ، (المقامة الرابعة عشر) .

٥ المصدر السابق ، (المقامة الخامسة عشر) .

ولسنا بمغالين إن تفاءلنا: بأن هذا الكتاب سوف يكون - ان شاء الله ! - مصدراً هاماً من مصادر الباحثين عن التراث الوطني، ورصيداً سميناً لكل من يريد الاستقصاء عن نتاج الأجداد. ولو راع فيه مؤلفه فن المقامات من حيث الاتيان بالنكتة المستملحة، والدوران حول بطل افتراضي وهمي، يروي أخباره راوية افتراضي وهمي - أيضاً - لعددناه في سلك المقامات الممتعة، ولكن المؤلف قد ركز على سرد حقائق تدور حول بطل حقيقي وراوية حقيقي أيضاً .

فكتاب «التحفة المرضية ...» - اذن - هو إلى التاريخ أقرب وإلى الأدب أنسب .

وأثمن مزية - جاء بها هذا الكتاب - انتشار فكرة الوطنية الحققة ، واستمرار الحماس الملتهب في صفوف كافة الشعب الجزائري، لا فرق في ذلك بين السيد والمسود، كلهم سواسية في اخلاصهم لوطنهم المفدى وبذلهم الأموال الطائلة والنفوس الزكية في سبيل انقاذه من براثن الاسبانين الذين راحوا ينصرون صغير المسلمين ويمثلون بكبيرهم .

خاتمة المطاف

الباعث والمنهاج

ان أمانة البحث تستوجب منا أن نتناول - في هذه الخاتمة - شرح فكرتين هامتين، لا مناص عن إبراز أهدافهما والتنويه بمدلول كل منهما، ليتضح للقراء عمل الجوارح الحساسة ونية الضمائر الحية .

أولاهما: الباعث على اختيار تحقيق هذا المخطوط كرسالة جامعية .

ثانيتها: المنهاج الذي ارتضينا أن نسير على منواله في هذا التحقيق .

أ - أما الباعث فيتخلص في أمرين اثنين :

أولهما: احياء التراث الوطني، كيفما كانت قيمته العلمية والأدبية

وميزته العصرية والاقليمية. هذا تراث تركه الأجداد ليعتنى

به الأحفاد، ويحافظوا على مبناه وكيانه، فان كان خصبا

استمدوا منه غذاءهم، وقطفوا من أشجاره ثماراً لذيذاً .

وان كان جدبا عرفوا أسباب ذلك واتخذوه حذراً لتاريخ

حاضرهم وبناء مستقبلهم .

ثانيها: أهمية هذا المخطوط، من حيث قيمته التاريخية، ونزعتة

الأدبية. فقلما نجد تأليفاً تناول فيه مؤلفه - في آن واحد -

جدية التاريخ وهزلية الأدب مثلما نجده في كتاب « التحفة المرضية ... » الذي بقي مهملا في دهايز النسيان أكثر من قرنين وستين سنة منذ ان خطه مؤلفه يمينه ، وأودعه عصارة فكره .

ب- وأما المنهاج فينصبّ على رسم خطّتين لكيفية البحث المرتضى في اعداد هذه الرسالة :

الخطّة الأولى تختص بكيفية تحرير المقدمة، وهي تحتوي على التعريف بالمؤلف، من حيث نسبه وثقافته، حسب الامكان، وسماح الأوان، ثم ثلثنا بعصره السياسي، فذكرنا بعض الحوادث الخارجية والاضطرابات الداخلية التي عاشها القطر الجزائري أبان هذا العصر، لكي يكون القراء على بينة من أسباب التأثير ونفوذ المؤثرات في نفوس سكان القطر. ولم نستغن عن ذكر التنظيم الإداري - آنذاك - ، من حيث تقسيم الإدارة المركزية، ونظام الجيش وطائفة البحارة (الرياس) ، وميزانية الدولة، وكيفية جمع الضرائب والزكوات. ثم ختمنا هذا العصر بعدد من حكام أتراك الجزائر الذين واكبوا حياة المؤلف وعاصروه ثم ثلثنا بعصره الثقافي، فذكرنا عدد مراكز الثقافة، وبيننا أنواعها، وكشفنا عن أسباب ضآلتها أبان حكم الأتراك. ثم وصلنا - بعد هذا - إلى دراسات

تحليلية لنص الكتاب، من حيث تحقيق اسم المؤلف وعنوان الكتاب، وموضوعه، وهدفه، ومنهاج التأليف فيه، وأسلوبه، وقيمه التاريخية والأدبية ثم جمعنا شتات معاني محتواه في عبارة مفيدة وفقرات موجزة. ثم ختمنا هذا التحليل ببعض مزايا الكتاب وخصائصه النادرة فيما سواه. وأنهينا هذه المقدمة بالنسخ التي اعتمدناها في تحقيق هذا الكتاب، ووصفناها وصفاً يتطلبه البحث العلمي، ويقتضيه النظام الجامعي .

الخطوة الثانية: تختص بطريقة تحقيق المخطوط على النحو التالي:

أ - محافظتنا على أصل النص، فلم نغير كلمة ندت عن المعنى المراد، ولم نبدل حرفاً قد وضعه قلم الناسخ في غير موضعه، دون أن ننبه على ذلك في هامش الكتاب .

ب - شرحنا لبعض المفردات اللغوية، التي يستعصي فهمها، من حيث مدلول معناها .

ج - اعتناؤنا بالأبيات الشعرية، من حيث وزنها وقافيتها.
د - ارجاعنا كل آية من آي الذكر الحكيم إلى سورتها وتحديد رقمها .

هـ - تفهّمنا لما ورد من الأحاديث الشريفة، مع تتبعنا

لطرق رواياتها، والتقصي لرواتها، ثم الإشارة إلى المصدر المحتوي عليها .

ز - تحقيقنا للأبيات التي أوردتها المؤلف في كتابه من شتى المصادر، ومقابلتنا إياها بالأصل الذي نقلت عنه .

ح - ارجاعنا كل سنة هجرية إلى ما يوافقها من السنوات الميلادية وبالعكس .

ترتيبنا لفهرس المراجع العربية والأجنبية المعتمد عليها في تحقيق الكتاب حسب الحروف الهجائية.

ط - ترتيبنا لفهرس الموضوعات، حسبما وردت في أصل الكتاب .

ي - ترتيبنا لفهرس الأعلام والألقاب والكنى الواردة في الكتاب، حسب الحروف الهجائية .

ك - ترتيبنا لفهرس أسماء الأماكن والبلدان الواردة في الكتاب، حسب الحروف الهجائية .

ل - تخريجنا لقوافي الأبيات الشعرية، الواردة في الكتاب حسب الحروف الهجائية .

م - تخريجنا لآي الذكر الحكيم، الواردة في الكتاب حسب السور القرآنية .

ن - تخريجنا للأحاديث الشريفة، الواردة في الكتاب حسب الحروف الهجائية .

س- ترتيبنا لفهرس الأنساب، الواردة في الكتاب ،
حسب الحروف الهجائية .

وقبل أن نضع نقطة النهاية لهذه الخاتمة نودّ أن نذكر القراء بأننا ألحقنا بالكتاب « ملحقاً » مفيداً جداً يحتوي على ثمان قصائد تضم ثلاثمائة وواحداً وعشرين بيتاً، (٣٢١ ب) بموضوعها تحريض المسلمين على أن يخوضوا معارك الجهاد في سبيل الله. وكلها لشعراء جزائريين، من حيث المنبت والشعور، بيد أننا لم نضع فهرساً لقوافيها، تمشياً مع المنهج العلمي، الذي لا يلزم المحققين بوضع فهرس لقوافي الخواتم المتممة، والملاحق المكملّة. ثم ذيلنا هذه الرسالة - أيضاً - بموضوعين اثنين، أحدهما في التاريخ الوسيط بعنوان: « مدينة وهران وتأسيسها »^(١). وثانيهما في الفن المعماري، بعنوان: « عبد الرحمن الثعالبي وضريحه »^(٢) وهذان الموضوعان داخلان في تصميم الرسالة ومكملان لها، رغم أنهما بعيدان عنها في الهدف والاتجاه.

١ نشر هذا الموضوع بمجلة « المجاهد الثقافي ». العدد ١٣ - جويلية ١٩٧٠ م (الجزائر) .

٢ نشر هذا الموضوع بمجلة « القبس ». العدد ٢ - ٣ . ماي - جويلية ١٩٧٠ م (الجزائر) .

مقدمة النشر

النسخ المعتمدة في تحقيق الكتاب

أولها : مخطوطة توجد بمكتبتنا الخاصة، عدد صفحاتها ١٥٥ وهي ذات حجم مستطيل متوسط، طول كل صفحة منها ٢١ سنتيمتراً وعرضها ١٥,٥ سنتيمتراً في كل صفحة ١٢ سطراً. أما خطها فهو مغربي صمغي واضح، لونه أسود حالك، ما عدا العناوين، فإنها مكتوبة بلون أحمر فاتح. أما لون أوراقها فانه أبيض مشوب بخضرة.

وهذه النسخة مجهولة النسخ وتاريخ النسخ، إلا أنها قليلة الأغلاط جداً، ولهذا كان اعتمادنا عليها بالدرجة الأولى، وقد رمزنا لها بحرف (أ).

ثانيها : مخطوطة توجد بالمكتبة الوطنية (بالجزائر العاصمة) تحت رقم ١٦٢٥. وقد أهدى هذه النسخة إلى المكتبة الوطنية الأستاذ «فاليي» (VALLIER) ^(١). عدد صفحاتها ١٨٧.

وهي ذات حجم صغير مستطيل، طول كل صفحة منها ١٩,٥ سنتيمتراً وعرضها ١٥ سنتيمتراً. في كل صفحة ١٢

سطرا. أوراقها بيضاء خطها مغربي نسخي جيّد، لونه أسود،
ما عدا بعض الكلمات فإنها كتبت بصمغ أحمر. أما العناوين
فإنها مذهبة. وهذه النسخة كثيرة الأغلاط، زيادة على بترها من
صفحة ٢٩ إلى ٤٢، ومن ١٢٣ إلى ١٣٨ وقد نقلت عن مسودة
بخط المؤلف في آخر جمادى الأخرى سنة إحدى وعشرين ومائة
وألف هجرية كما جاء في آخر الصفحة من الكتاب. وكتب
على ظهر أول صفحة منها ما يلي: « هذا الكتاب اشتراه خليل
بست ريبالات دراهم صفار » وهي مجهولة النسخ مثل سابقتها.
وقد رمزنا لها بحرف (ب) ولم نعتمد عليها إلا من حيث مقابلة
النسخ، لأنها كثيرة التحريف مبتورة الكمية .

المحقق

محمد بن عبد الكريم

لِتَحْفَةِ الْمَرْضِيَّةِ فِي الدَّوَلَةِ الْبَلَكِيَّةِ
فِي
بِلَادِ الْجَزَائِرِ الْمَحْمِيَّةِ

تأليف
محمَّد بن سميون الجزائري

بسم الله الرحمن الرحيم

وصلّى الله على سيدنا مولانا محمد وسلم

هذه مقامات^(١) الفقيه، العلامة، الدراكة، الفهامة، الأديب، البارع،
سيدي محمد بن ميمون الجزائري - رحمه الله ! - .

نحمدك يا من جعل الأدب ريحانة للشّم، وقلد أجباد^(٢) البلغاء قلائد
العقيان في النثر والنظم، ونشكرك على ما أوليتنا من المنع، وعلى ما كان
مبهماً فانفتح، وأسألك أن تنزع عن عيني^(٣) الغطاء، وتسبل على عيني^(٤)
العطاء، وتجعلني متبعاً لنهج العلماء، الذين أنرت كواكبهم لانتراح الظلماء،
وسارت شمس معانيهم في سماء العلم مشرقة، وصارت اغراس^(٥) ألفاظهم

١ المقامات: مفرداً مقامة، وهي المجلس، وسببت مقامة ومجلساً، لأن المستمعين للمحدث ما بين قائم
وجالس، ولأن المحدث يكون تارة جالساً، وتارة قائماً. (الشريشي، أحمد شرح مقامات الحريري. القاهرة،
مطبعة المنيرة، ١٩٥٣ . ج ١١، ص ١٤) .

٢ في ب: أجباد .

٣ عيني: بصيرتي .

٤ عيني: ذاتي ونفسي .

٥ اغراس: في ب: «غروس» .

في قباء^(١) الكتب مورقة، ونصلي ونسلم على نبيك محمد الهادي الشافع،
وعلى آله وصحبه ما سطرت الأقلام في الطروس بحسب الوقائع / أ- ٢
وبعد: فاني لما رأيت مولانا الإمام، الذي أنام في ظل الأمان جميع
الانام، عالم الأمراء، وأمير العلماء، مولانا فخر الدولة^(٢) العثمانية^(٣)، وناشر
لواء العدل على جميع البرية .
أبو النصر السيد محمد « بكداش »^(٤) أنارت أنواره جميع البلدان^(٥)،

- ١ قباء: محمود - بفتح القاف - الثوب الذي يلبس مشتق من القبر لاجتماع أطرافه والجمع أقبية .
- ٢ الدولة: اسم للعملة التي يستولى فيها الإنسان على المملكة، مأخوذ من الادالة، وهي الغلبة أو من التداول، وهو التناوب، ومنه قوله تعالى: «وَتِلْكَ الْأَيَّامُ نُدَاوِلُهَا بَيْنَ النَّاسِ»، (سورة آل عمران، الآية: ١٢٠) .
- ٣ العثمانية: نسبة إلى عثمان الأول بن ارفعول، وهو الذي أسس السلطنة العثمانية سنة ٦٩٩ هـ - ١٢٩٩ م .
- أحمد بن زيني دحلان: الفتوحات الإسلامية، مكة المكرمة: المطبعة المسيرية، ١٣٠٢ هـ ،
ج: ٢ ، ص: ١٢٤ .

- محمد فريد بك: تاريخ الدولة العلية العثمانية. القاهرة: مطبعة التخدم، ١٩١٢ م، ص: ٣٩-٤١).
- ٤ بكداش، أو باكداش، أو باكداش: كلمة تركية، معناها الحجر الصلب، وإلى هذا المعنى يشير
الجامعي شارح قصيدة الحلفاوي :

لُقِّبَتْ «بَكْدَاشًا» فَكُنْتُ عَلَى الْبَدَا حَجْرًا أَصَمُّ مُفْنِتَ الْأَخْصَاءِ

وقد سماه بهذا الاسم أبوه منذ ولادته، ثم لما أتى إلى الشمال الافريقي والتحق بـ «بونة» سماه الشيخ قاسم
ابن ساسي البوني محمدا. قال عبد الرحمن الجامعي: «ثم استمر على هذا الاسم: (بكداش) المبارك
وحده، لا يعرف إلا به، إلى أن خرج لجزيرة العرب البربرية قاصدا محروسة الجزائر، فدخل - في
طريقه - مدينة «بونة» فلقى صاحب التصرف بها لذلك العهد، ذا الاسرار القدسية والمواهب اللدنية،
الشيخ سيدي قاسم بن ساسي - رحمه الله تعالى ورضي عنه - فقبله لسابق سعادته، وأقبل عليه. ثم
سماه «محمدا» فصار هذا الاسم - من بركة واضعه - هو علمه، وصار علمه الأبهري لقباً يسمه،
(شرح أرجوزة الحلفاوي ص: ٣٠ . مخطوط خاص). وقد تولى محمد باكداش دايا على الجزائر سنة
١١١٨ هـ - ١٧٠٧ م وتوفي مغتالا سنة ١١٢٢ هـ - ١٧١٠ م على يد الداي دالي ابراهيم آغا .

P: 381. G. FAURE - BIGUET, Histoire de l'Afrique septentrionale,

- محمد بن عبد القادر، نخبة الزائر. بتحقيق محمود حفي، بيروت: مطبعة دار البقعة العربية،

والتف ملكه بالاحسان، التغاف الساق بالساق - أردت أن أخدم مجلسه العالي بزف هذا الكتاب إليه، المحتوي على ما نشر من السيرة الحمديدية عليه، وأشرف محاسنه بمثوله بين يديه، فوسمته^(١) باسمه، وكسوته نور وسمه، واطلعت شمس النبل بأفقهها، وأتيت ببضاعة الفضل إلى منفقها، ولم آل جهداً، في تنقيحه وتأليفه، من صادق الخبر وصحيحه، على ما تجده فيه من ألفاظ لغوية، وأنواع بديعية، وأخبار مستلمحة^(٢)، وكناية مستلمحة^(٣)، كما قيل: /

٣ - أ

هَذَا الْكِتَابُ لَوْ يُبَاعُ بِوَزْنِهِ ذَهَبًا لَكَانَ الْبَائِعُ الْمَغْبُونَا
وَمِنَ الْعَجِيبِ أَنْ تَرَانِي آخِذَا ذَهَبًا وَأَعْطِي الْجَوْهَرَ الْمَكْنُونَا^(٤)

وسميته بـ «التُّحفة المرضية»، في الدولة البكداشية، في بلاد الجزائر المحمية^(٥)، محتويًا على مقامات ست عشرة، كأنها حكّت قلائد العقيان^(٦) ودرره، والله أسأل أن يتلقاه بالقبول، جميع من هو لاحظ لهذا المقول، لأنني قصير الباع، غبي في الابداع، مع ما ابتليت به من التقدير^(٧)، وعدم

١٣٨٤ هـ - ١٩٦٤ م، ج: ١، ص: ١٠٦ .

كلمة بلدان: ساقطة من ب .

١ فوسمته: حسنه .

٢ مستلمحة: ملحوظة مختلفة البصر .

٣ مستلمحة: مستحسنة .

٤ هذان البيتان من بحر الكامل ذي العروض الصحيحة والضرب المقطوع .

٥ يشير إلى كتاب «قلائد العقيان» لمؤلفه أبي نصر الفتح بن خاقان القبسي المتوفى قبل سنة ٥٣٥ هـ - ١١٤١ م بمدينة مراکش بأمر علي بن ناشفين الأمير .

٦ التقدير: الأصل في التقدير: التضييق في النفقة على العيال، والمراد به هنا التقصير فيها هو واجب، وهذا تواضع من المؤلف .

التيسير ، على أن أبناء العصر ابتلوا بالحسد ، ويطلقون ألسنتهم بالفحشاء
في كل مرصد ، ومن كانت له ملكة فليصنّف ، وإلا فليُنصف ، ولكن
كما قال المجنون^(١) :

وَكُلُّ يَدْعِي وَصْلاً بِلَيْلى وَلَيْلى لَا تُقِرُّ لَهُمْ بِذَلِكَ^(٢)

والله ولي التوفيق فيما قصدت ، والكافي من الخطل^(٣) فيما سردت ،
فعليه كان معولي ، وبه حسن تأولي ، لا إله إلا هو ، وهو حسبي ونعم

أ - ٤ الوكيل ! /

المقامة الأولى

في نبذة من أخلاقه المرضية ، وما أشار به عليه بعض

السادات الصوفية

فأول من أشار عليه أبوه ، وهو نور الدين أبو الحسن علي بن محمد
القرشي النسب ، العربي الأقليم ، النكداني^(٤) الدار والمنشأ ، وبها توفي .

١ المجنون : هو قيس بن الملوح المعروف - عند الأدباء - بـ «مجنون ليل» ، التقى - صدفة - بفنائه اسمها :
ليل ، فحرق لها بعبيره وخطب ودها فأحبته ، بيد أن أباهما زوجها إلى غير قيس ، فجن قيس وهام في
الصحارى على وجهه بتغنى بحبها . (محمود مصطفى ، اعجام الأعلام ، القاهرة : المطبعة الرحمانية .
١٩٥٣ م ، ص : ١٧٢) .

٢ البيت من البحر الوافر مقطوف العروض والضرب معاً ، ولم يذكر هذا البيت أبو بكر الوراق فيما جمعه
من شعر مجنون ليل .

٣ الخطل : الحق والكلام القبيح والاضطراب في المنطق والسلوك ، قال مؤيد الدين الطبراني في «لامية
المعجم» .

أصالة الرأي صانتي عن الخطل وحلية الفضل زانتي لدى العطل

٤ النكداني : نسبة إلى «نكداء» (Negde) مدينة صغيرة قديمة في الأناضول . تقع بين أنقارا واسطنبول ،
وهي إلى أنقارا أقرب ، وفي (ب) : النكدلي .

كان من أهل الفضل والمجد، ونفحة مسك عبقت^(١) بين غور^(٢) ونجد^(٣)، ونبعة^(٤) أصالة ومروءة^(٥)، وآية جلالة بالسنة الأقاليم السبعة^(٦) مفرّوة^(٧)، فأوصى مولانا حين كان صغيراً، ان ابني هذا على المغرب سيكون أميراً، وحقق الله به قوله، وكمل فيه مرغوبه وسؤله، ولا شك أنه كان - رضي الله عنه ! - ممن تعددت في الفضائل مناقبه، ذا مجد تسامت - على الأنجم الزهر، في نشر العاطر من الزهر - مآربه، يرجع في نظره إلى عقل حصيف ودين متين، وسلوك من النزاهة التامة على سبيل مبين، وفي نسبه إلى أهل بيت جليل، أضاء لهم أحسابهم / وجوههم في دجى أ - هـ الليل، حتى نظم الجزع^(٨) ثاقبه، وفي حسبه إلى دين يراقبه، وله بسيدي أحمد البدوي^(٩) يد سابقة ولاحقة، وأذمة ألسنة الثناء عليها ناطقة،

- ١ عبقت: فاحت وانتشرت .
- ٢ الغور: ما انحدر واطمأن من الأرض .
- ٣ النجد: ما ارتفع من الأرض .
- ٤ النبعة: شجرة يتخذ منها السهام والقسي لصلابتها، ويراد بها - هنا - الأصل الكريم والشرف الأثيل، ويقال: فلان من نبعة كريمة، أي: من أصل كريم .
- ٥ مروءة: ومروءة .
- ٦ الأقاليم السبعة: قسم الجغرافيون القدامى الأرض المعمورة إلى سبعة أقسام، كل منها يسمى اقليماً، كأنه بساط مفروش من المشرق إلى المغرب، طوله وعرضه من جهة الشمال، وهي مختلفة الطول والعرض، وهذا القسم ليس هو طبيعياً، وإنما خطوط وهمية وضعها الجغرافيون القدامى. (القزويني، عجائب المخلوقات القاهرة: مطبعة الاستقامة، ١٩٥٤ م، ج: ١، ص: ٢٥١) .
- ٧ مفرّوة: مفرّوة .
- ٨ الجزع: كل ما ينظم في السلك، ويراد به - هنا - الاحجار الكريمة المثقوبة .
- ٩ هو أبو العباس أحمد بن علي بن ابراهيم الحسيني البدوي المتصوف الشهير، ولد بفاس سنة ٥٩٦ هـ - ١١٩٩ م ونشأ بها. ثم طاف بالبسطة، وأقام بمكة والمدينة ودخل مصر أيام الملك الظاهر (بيبرس) فخرج لاستقباله بصره، واحتفى به وأنزله مقاماً محموداً، وزار سورية والعراق سنة ٦٣٤ هـ - ١٢٣٦ م

وأعلام الكرامات في ميادين الفخر خافقة، فضماثرها في التعظيم له متطابقة، ودلائلها على ما نسب إليه من العرفان صادقة، ظهرت له - مراراً - في أهل هذا المجال، ويعلم منها أنه أحد أفراد الرجال، ولا كمل شرح شباب مولانا أقبل إلى الجزائر. يا حبذا - به من زائر -، وذلك في سنة ست وثمانين بعد الألف^(١)، فانتظم به الشمل والتف، فكتبوه في العسكر كما هي العادة، وذهب للدار المعتادة، فن ثم وبنياه مؤسس على التقوى، والمراقبة في السر والنجوى، وما اطلع عليه أحد بفساد منذ أقبل، إلا أ - بحسن السيرة والعفاف فيما استدبر / أو استقبل. والقلب منه متشبث بالأولياء، وممازحة الفقراء والمساكين والأصفياء، ثم سافر مع النمط في محال^(٢)، وحاز قصب السبق في المضمار وجال، ولا زال على هذا الحال، والظلم منه محال، / وقد كان قبل هذا انتقل إلى «بونة»^(٣) واعتزل عن الطائفة المغبونة، ولازم الشيخ سيدي قاسم^(٤)، صاحب الأسرار النواسم، ولديه من جميع الاعتقاد، في أصالته الرفيعة العماد، وما يزال موصول السبب،

وطارت شهرته في مصر، فانتسب إلى طريقته خلق كثير من بينهم الملك الظاهر. توفي سنة ٦٧٥ هـ -

١٢٧٦ م بمصر، ودفن في «طنطا» حيث قبره ما زال يزار حتى الآن. (خير الدين الزركلي. الأعلام.

القاهرة، مطبعة كوستانسوماس وشركاه، ج: ١، ص: ١٧٠).

الاذمة: جمع فعام، وهو الحرمة والحق، والمراد - هنا - المعنى الأخير، وفي ب: «ازمة».

١ الموافقة لسنة ١٦٧٥ م، وذلك في ولاية الحاج محمد باشا، وهو أول دايات الجزائر. وفاتح عصرهم.

٢ محال: جمع محلة، وهي الفرقة من الجيش. والكلمة اقلبية النزعة.

٣ بونة: هي مدينة «عناية» تقع في الشرق على الساحل بالقطر الجزائري، أسسها القرطاجيون. (عبد الحق

البغدادي، مرصد الاطلاع، القاهرة: مطبعة الباني الحلبي، ١٩٥٤ م، ج: ١، ص: ٢٣٢).

٤ هو أبو العباس أحمد بن قاسم بن محمد، المعروف بابن «ساسي البوني» صاحب «الدرة المصونة»، في

علماء وصلحاء بونة. وله غيرها من التأليف ما بين مختصرة ومطولة ما يربو على المائة، حسبما ذكره عبد

الرحمن الجامعي في رحلته. توفي سنة ١١٣٩ هـ (١٧٢٧ - ١٧٢٦ م).

واضح المذهب، متحلياً بالوفاء والصدق والولاء المذهب، وكيف لا يكون التشيع - إلى جانب تلك السيادة الكريمة - لباسه الذي به يتجمل، ورواقه الذي به يتظلل، وعدته التي بها يقول ويفعل، وقد تواترت من فضائله - قبله - ما يعجز الجزر والمد^(١)، ويستحق الخلود والود. وأبقى الله سيرته عدة للكمال، متكفلة للدين ببلوغ الآمال، جليل العلاء عالي الجلال، منيل المواهب موهب النوال، فأشار على المولى بموال^(٢) : / i - v

١ الجزر والمد: البر والبحر.

٢ بموال: المواليا من فنون الشعر، وضع للفناء به وأول من تكلم بهذا النوع أنصار البرامكة بعدما نكل بهم الرشيد، فكانوا ينوحون عليهم ويكثرون من قولهم: «يا موال» و «يا مواليا» فصار يعرف بهذا الاسم، والبيان من البحر البسيط المقطوع المروض معاً، ومنشدهما الشيخ سيدي قاسم البوني. وقد ختمهما محمد بكداش، فأجاد وأبدع حيث يقول في تحميمه:

يا سادة حُبهم وَسَطَ الحِشَانِاشِ أَنْتُمْ لَجَا مُهْجَتِي مِنْ كُلِّ أَوْبَاشِ
عَبَثِي يَلْدُ بِكُمْ وَفِيكُمْ إِنْعَاشِي مَنُوا بِرُؤُوسِكُمْ مَنْ نَحْوَكُمْ عَاشِ
قَلْبِي إِلَيْكُمْ صَبَا وَالْحُبُّ فِي جَاشِي جُودُوا بِقُرْبِكُمْ حِينَ مَا يَكُونُ غَاشِ
أَبْدُوا جَمَالَكُمْ دَفْعاً لِإِذْهَاشِي رَغْماً لِغَاذِلِكُمْ وَاللَّجِيمُ الْوَاشِي
قَلْبِي إِلَيْكُمْ هَفَا وَالْفَيْرُ مَا بَاشِ وَالسُّرُّ مِنِّي سَرَى فِي بَرِّ بَكْدَاشِي
بَا لَايِي فِي مَوَاهُ قَصْدَ إِيْجَاشِي إِنْ لُمْتَنِي زِدْتَ فِي هَوْلِ وَإِرْجَاشِي
أَظْهَرْتُ حُبِّي فِي قَوْمِي وَأَعْرَاشِي إِنْ مَجِبُ لَهُمْ لَمْ أَسْتَعِ الْوَاشِي
بَا لَايِي فِي هَوَى هَذَا الْفَتَى النَّاشِي قَصْداً لِمَصِيدِ الْحِجَا بِحَبْلِكَ الرَّاشِي
بَا عَاذِلِي لَا تَكُنْ كَالْخَايِلِ الْوَاشِي مَالَتْ إِلَى مَنْ هَوَيْتُ مِنْ غَيْرِ أَوْجَاشِي
قَلْبِي وَجِسْنِي وَلَحَطَّانِي وَأَرْجَاشِي أَقْصُرْ مَلَامَكَ إِنْ خَيْرَهُ فَاشِي

(عبد الرحمن الجامعي، شرح أرجوزة الحلفاوي، ص: ٣٠. مخطوط خاص).

قَلْبِي إِلَيْكُمْ صَبَاً وَالْحُبُّ فِي جَاشِي
وَالسُّرُّ مِنِّي سَرَى فِي سِرِّ «بَكَدَاشِي»
يَا لَائِي فِي هَوَى هَذَا الْفَتَى النَّاشِي
اقْصُرْ مَلَامَكَ إِنَّ خَيْرَهُ فَاشِي

وكان السيد ابراهيم بن سنان^(١) صاحب الشيخ يعرب عما في ضميره
ويفشيه للاحبا^(٢) ، فقال له : « قل لبكداش أهلاً وسهلاً به ومرحباً ، فاني
رأيت النبي ﷺ ! وهو يقول : «أخبر بكداش بأنه يموت على حسن
الخاتمة» !

ولا زال مولانا على هذه السيرة ، حتى أشار عليه رجال من أهل
البصيرة ، ومن ثم وسعده في الأفق الأعلى مرصود ، وملكه بالله معصوم
معضود ، وشمله باتصال الأمانى ورضى الرحمن منضود ، وظل عدله وفضله
وأثره^(٣) في الآثار الصالحات الباقيات محسوب معدود^(٤) ، معظم قدره
العالي في الاقدار ، المشهود لصلاحه بصفة الأبرار ، واستقامة المدار ،
الداعي له في حال الايراد والاصدار ، بالزلفى وعقبى الدار . / أ - ٨

١ ليس هو أبا اسحاق بن سنان بن ثابت بن قرة بن مروان الحراي المولود سنة (٢٩٦ هـ - ٩٠٨ م) ،

والمتوفى سنة (٣٣٥ هـ - ٩٤٦ م) .

٢ للاحبا : بحذف الهزة لمقتضى وزن السجع .

٣ في ب : وآثاره .

٤ محسوب معدود : كان من حق المؤلف أن ينصبهما على أنهما خبران لـ (ظل) ولكنه رفعهما نزولا عند

رغبة السجع .

المقامة الثانية

في كونه سانجاق^(١) دار ، بلغة المجاهدين الاخيار

وهو الذي بيده لواء العسكر ، وينشره أمامهم ويتبختر^(٢) . والمولى ما نشر رايته ، إلا أقام السعد نصرته ، وذلك في سنة سبع ومائة وألف^(٣) ، وحل فيه حلول الشمس في الشرف ، فصار غرة في جبين الملك ودرة لا تصلح إلا لذلك السلك ، تباغت به الأيام ، وتاهت في يمينه الاقلام . فكانت توليته لذلك المنصب نعمة عميمة ، وكمال راحة ومنة جسيمة ، وتمام صحة على كل ناحية من سفك دمها تميمة . وبالجملة فشم فضله لا تفضلها في القديم والحديث شيمة ، ومذاهب عدله واضحة مستقيمة ، ومكارمه شاملة عميمة ، وآثاره في سبيل الله حديثة وقديمة . وأنشد في ذلك^(٤) :

- ١ في جميع النسخ : « سانجاق » والتصويب عن المعاجم التركية والسانجاق ، هو اللواء في اللغة التركية .
- ٢ في ب : « ويتخنكر » .
- ٣ الموافقة لسنة ١٦٩٥ م ، وذلك في ولاية الباشا الحاج أحمد داي (٥٧ - ١١٠٨ هـ / ٩٦ - ١٦٩٥ م) .
- ٤ على وزن البحر البسيط المخبون العروض والضرب . والقصيدة من شعر الأديب البليغ أبي بكر محمد بن أحمد بن دُحَيْم الأندلسي (أحمد بن يحيى الضبي . بغية الملتبس في تاريخ رجال أهل الأندلس . مدريد : مطبعة « روكس » . ١٨٩ م ص : ٤٢) .

هِيَ السُّبَادَةُ حَلَّتْ مَنَزِلَ الْقَمَرِ
 وَأَنْتَ مِنْهَا سَوَادُ الْقَلْبِ وَالْبَصَرِ
 وَهِيَ الْجَلَالَةُ لَا تُدْرَى لَهَا صِفَةٌ
 لَكِنَّهَا عِبْرَةٌ جَاءَتْ مِنَ الْعِبَرِ / ١ - ٩
 أَمَّا الْمَعَالِي فَقَدْ حَطَّتْ رَوَاجِلُهَا
 لَدَيْكَ وَالْخَيْرُ قَدْ يُغْنِي عَنِ الْخَيْرِ
 طَرَزْتَ ثَوْبَ الْمَعَالِي بَعْدَ مَا دَرَسْتَ
 رُسُومَهُ فَأَتَانَا مَعْلَمُ الْقَلَمِ
 رَقَّتْ فَرَاقَتُ سَمَاءٍ لِلْعُلَى شَيْمٌ
 كَأَنَّهَا قُطِعَتْ مِنْ رِقَّةِ السَّحَرِ
 وَطَابَ عُرْفُ ثَنَاءٍ ذَاغَ رَيْقُهُ^١
 كَمَا انْتَشِقَتْ نَسِيمُ الْعَنْبَرِ الزَّفَرِ
 كَمْ مِنْ يَدٍ لَكَ فِي أَجْيَادِنَا كُتِبَتْ
 - وَاللَّهُ يَعْلَمُهَا - فِي صَفْحَةِ الْعُمَرِ
 لَا نَنْشِي أَبَدًا نَشِي عَلَيْكَ بِهَا
 كَأَنَّمَا آيَةٌ تُتْلَى مِنَ السُّورِ
 بِفَيْدِكَ كُلُّ مِنَ الْأَسْوَى^٢ سِوَى نَفَرٍ
 عَلِمْتَ بُغْيَتَهُمْ لَا كَأَنَّ مِنْ نَفَرٍ

١ رَيْقٌ: كُلُّ شَيْءٍ أَفْضَلُهُ وَأَجْوَدُهُ .

٢ الْأَسْوَى: أَفْعَلُ تَفْضِيلٍ مِنَ الْأَسْوَاءِ، وَهُوَ الْأَسْتِغَامَةُ وَالْإِعْتِدَالُ .

يُخْفُونَ ضِدَّ الَّذِي يُبْدُونَ مِنْ مَلَقٍ
فَلَا تَثِقُهُمْ^(١) وَكُنْ مِنْهُمْ عَلَى حَذَرٍ
إِنَّ الْحِجَارَةَ تُلْقَى وَهِيَ جَامِدَةٌ
حَتَّى إِذَا قَدَحَتْ حَبَّتَكَ بِالشَّرَرِ

وكان - سنة أربع ومائة وألف^(٢) - صعد المنبر ، ووعظ الناس فيه
وحذر ، يقذف لسانه لؤلؤه المكنون ، ويصرف من بدائعه الأنواع والفنون
فلا يجارى في مضمار احسان ، ولا يبارى في بلاغة وبراعة لسان^(٣) / ، i - ١٠
يقصر كل كريم عن نداءه ، ويظهر الاعجاز فيما أظهره من البيان وأبداه ،
لاح وسماء المعالي قد تزينت بنجومها ، وسمع ذكرها ولم يرم برجومها ،
فظهر في غير أوان الظهور وساد ، ولم يخش في غير موضع نفاق الفضل
الكساد ، والناس - إذ ذاك - أعلام ، والدنيا تحية وسلام^(٤) :

بَا زَكِيًّا غَدًا يَشِيدُ فَخَارَهُ مُذْ شَدَا لِلْعُلَى يَشُدُّ إِزَارَهُ
وَحُسَامًا بِرَاحَةِ الْمَجْدِ عَضْبًا شَحَذَتْ رَاحَةَ الذِّكَاةِ شِفَارَهُ

١ الأصل في « وثق » : يتعدى بياء الجر ؟ .

٢ الموافقة لسنة ١٦٩٣ م وذلك في ولاية الباشا الحاج شعبان داي (١٠٠٠ - ١١٠٧ هـ / ١٦٩٥ - ١٦٨٩ م) .

٣ قال الجامعي : « كان محمد بكداش عالماً فقيهاً مشاركاً في عدة فنون من المعارف والعلوم ماهراً في علم اللسان ، له ممارسة بعلم القوم (الصوفية) وطريقتهم تصدر للاقراء مرارا ، وتولى خطابة بعض جوامع الجزائر سنة أربع ومائة وألف ، فادار فيها على الناس كتوس مواظبه فتركهم سكارى » .

(عبد الرحمن الجامعي ، شرح أرجوزة الحلفاوي . ص : مخطوط خاص) .

٤ الأبيات من بحر الخفيف الصحيح العروض والضرب ، وهي من قصيدة لشاعر الأندلس وأديبها : أبي بكر محمد بن أحمد بن دحيم (أحمد بن يحيى الضبي . بغية المتمس ، في تاريخ رجال أهل الأندلس ص : ١١٠ .

وَهَمَّتْ دِيمَةُ الصَّفَاءِ فَرَوَّتْ مَرْبَعُ الْوَدِّ - يَتَنَّا - وَثِمَارُهُ
فَإِذَا قِيلَ: مَنْ فَتَى الْفَضْلَ يَوْمًا وَأَشَارُوا فَأَنْتَ مَعْنَى الْإِشَارَةِ

وبالجملة فقد وافقته الرياسة، وانقادت إليه السياسة، فانتقل إليها
انتقال الشمس في مطالع السعود، ومقل^١ روض الأمانى في نصير^٢
العود .

١ مقل: نظر إلى الشيء ورنا إليه بامعان وثبت .

٢ النصير: من كل شيء الجميل الحسن، واللين الناعم .

المقامة الثالثة

في توليته على تقسيم خبز العسكر
وكيف نزع الظالم حين طفى وتجبّر

وذلك في سنة اثنتي عشر^(١)، واشتهر فضله فيه اشتها القمر / . i - ١١
ولما رأى الباغي^(٢) ساد، وطفى في البلاد، واستوى في ذلك عنده العالم
والجاهل، وصار الشرع سواء النبيل فيه والخامل، وعامل الناس أسوأ معاملة،
وأعطاهم المقابحة عوضاً من المجاملة، وأهمل حال الدولة التي علقها به
الفاعل المختار وناطها، وفرط في مصالحها وما حاطها، وتجبّر وعتا، وأتى
بذلك ما أتى، واشتغل بنهب الأموال، وأجرا المظالم في كل حال،
- قام المولى على ساق الجدد، وأنقذ المسلمين من ذلك الكد، فكان سهم
سعد صائباً، وكل من كاده أصبح خائباً، ولم يزل ماضي العزم، مسدد
السهم، مرهوب الجدد ممثل الرسم، مرفوع النصيب من نعمة الله عند عدد

١ أي: سنة ١١١٢ هـ - ١٧٠٠ م .

٢ يشير بهذا إلى الداي المتقدم وهو الحاج مصطفى أفندي، المتولي سنة ١١١٢ هـ / ١٧٠٠ م .

القسم. ولما فر من جيش الخضراء^(١)، وصار يقطع - من كثرة جبهه - في الليل القفر، حتى بات بوادي الخميس، والطلال - إذ ذاك - بخراس، أصبحت الاجناد والشواش^(٢)، ينادون بالتولية لبكداش، فاعرض أ - ١٢ عنها / وشرده، وأمرهم بتولية الشريف^(٣) الاسعد، واشركه معه في نهيه وأمره، وأطلعه على سره وجهه، لم يفرد عنه بقصه، ولا اختص دونه من الملك بحصه، إلى أن فرق بينهم مفرق الجموع ومشتت الأصول والفروع، وكان يظن أنه كأخيه، حتى صار ما صار وستقف في السيرة عليه، وأحق ما يستشهد بهذه الأبيات لصاحب المقامات^(٤) :

وَنَدِيمٍ مَحَضُّهُ صِدْقَ وَدِّي إِذْ تَوَهَّمَتْهُ صَدِيقًا حَمِيمًا^(٥)

١ الخضراء: تونس وسميت بالخضراء لكثرة أشجار الزيتون بها، وكان الداوي الحاج مصطفى قد غزاها بجيشه فانقلب غزوه هزيمة عليه وفر هارباً بما تبقى له من جيشه عائداً ادراجه سالكاً بهم القفر، كما أشار إلى هذا صاحب المقامات. ولما بلغ الخبر إلى الجزائر اجتمع الديوان وعزله قبل وصوله، ولما وصل قتلوه وعرضوا منصبه على محمد بكداش فتنازل عنه إلى حين خوجة الشريف، وذلك سنة ١١١٧ هـ / ١٧٠٥ م.

٢ الشواش: مفردة شاووش، وشاوش، كلمة تركية، أصلها فارسي، ومعناها رتبة في الجيش يقابلها العريف في عصرنا. وما زالت هذه الكلمة متداولة في الأقطار العربية، بيد أنها تدل غالباً على حجاب رؤساء المصالح الادارية، لا سيما في المحاكم الشرعية.

٣ الشريف: هو الداوي حسين خوجة الشريف، المتولي سنة ١١١٧ هـ / ١٧٠٥ م، والمتوفي سنة ١١١٨ هـ / ١٧٠٧ م.

٤ صاحب المقامات: هو أديب عصره أبو محمد القاسم بن علي بن عثمان الحريري البصري المتوفي سنة ٥١٥ أو ٥١٦ هـ (١١٢١ - ١١٢٢ م) بالبصرة، والأبيات من البحر الخفيف الصحيح العروض والضرب، أنشدها الحريري في المقامة الثامنة عشرة من مقاماته.

٥ حميماً: مخلصاً في صداقته صادقاً في وده.

ثُمَّ أَوَّلَيْتُهُ قَطِيعَةً قَالَ^(١)
 خَلَّتْهُ قَبْلَ أَنْ يُجَرَّبَ الْفَأُ
 وَتَخَيَّرْتُهُ كَلِيمًا^(٢) فَأَمْسَى
 وَتَنَظَّنْتُهُ مُعِينًا رَحِيمًا
 وَتَوَسَّمتُ أَنْ يَهْبَ نَسِيمًا
 وَتَرَائَيْتُهُ مَرِيدًا^(٣) فَجَلَى
 بَتٌ مِنْ لَسَعِهِ الَّذِي أُعْجَزَ الرَّأُ
 وَغَدَا أَمْرُهُ غَدَاةً افْتَرَقْنَا
 لَمْ يَكُنْ رَائِعًا^(٤) خَصِيْبًا وَلَكِنْ
 قُلْتُ لَمَّا بَلَوْتُهُ^(٥) لَيْتَهُ كَا
 نَغْضَ الصَّبْحُ حِينَ نَمُّ إِلَى قَلْ

حِينَ الْفَيْتُهُ صَدِيدًا حَمِيمًا^(٦)
 ذَا ذِمَامٍ فَإِنْ جِلْفًا ذَمِيمًا
 مِنْهُ قَلْبِي بِمَا جَنَاهُ كَلِيمًا^(٧)
 فَتَيَّيْتُهِ لَعِينًا رَجِيمًا
 فَأَبَى أَنْ يَهْبَ إِلَّا سُومًا
 عَنْهُ سَبْكِي^(٨) لَهُ مَرِيدًا لَيْثًا / أ - ١٣
 فِي سَلِيمًا^(٩) وَبَاتَ مِنِّي سَلِيمًا^(١٠)
 مُسْتَقِيمًا وَالْجِسْمُ مِنِّي سَقِيمًا
 كَانَ بِالشَّرِّ رَائِعًا^(١١) لِي خَصِيمًا
 نَ عَدِيمًا وَلَمْ يَكُنْ لِي نَدِيمًا
 جِي لِأَنَّ الصَّبْحَ يُلْفَى نُمُومًا^(١٢)

١ قال: بغض ومنه قوله تعالى - في حورة الضحى الآية ٢ - : «مَا وَدَّعَكَ رَبُّكَ وَمَا قَلَّ» .

٢ حميا: أشد حرارة وهو من أسماء الاضداد .

٣ كلبا: محدثا جليسا .

٤ كلبا: جريحا .

٥ المريد: الثمر الذي ينفع في اللبن حتى يلين .

٦ سبكي: اختباري .

٧ سلما: ناجيا .

٨ ندبعا مشرفا على الهلاك وسمي بذلك تفاؤلا

٩ رائعا: كريما شجاعا .

١٠ رائعا: مفزعا مروعا .

١١ بلونه: سيرته اختبرته .

١٢ نموما: نماما شبه الصبح بالتمام، لأنه يفضح جميع ما ستره الليل ويروح بأسرار الوجود .

وَدَعَانِي إِلَى هَوَى اللَّيْلِ إِذْ كَا نَ سَوَادُ الدُّجَى رَقِيْباً كُتُومَا
وَكَفَى مَنْ يَشِي - وَلَوْ فَاهَ بِالصَّدِّ قِ - أَثَاماً بِمَا أَتَاهُ وَلُومَا

فلما عزم الباغي عند الصباح على الدخول، سمع زعيق المدافع ونقر الطبول. فبقي باهت البصر، ولم يشعر بالخبر، إلى أن وقع له طلب إصاره^(١) إلى الاعتقال، وقصر عن الوخد والارقال، ففر فرار الانس من الخائف، وسرى إلى «القليلة» سري الخيال الطائف، فوقها ضحوة قبل الاسراج
أ- ١٤ والالجام، ونجا برأس طرة ولجام، فأدركه / هنالك المنون، وانقلب مجن المجون. ان لله قضايا واقعة بالعدل، وعطايا جامعة للفضل، أجراها على يد من هو للكمال أهل، وكان وجه الأرض مغبرا، حتى يتوهم أنه لم ينزل المطر فيها دهرأ، فأصبح وقد صقل غمام العدل ازهار الوجوه حتى أذهب طيشها، وسقى أرضها فأروى عطشها. ثم أسست الدولة التي ارجت نفحاتها، وتفتحت اكمام عدلها، وأفصحت حمائم الشاء على أهلها، وتجردت جداول كرمها، ورمقت عيون الأمانى وجوه حشمها .

المقامة الرابعة

على انه يتصدى ملكا للايراد والاصدار ، فزحلق
نفسه إلى «تفتر دار»^(١)

وهي حالة تدل على أناقته في الفخر ، دلالة النسيم على الزهر ، والشاطئ
على النهر ، وتشهد له بالعلاء والمجد ، شهادة النار بطيب الند^(٢) ، وكان
ذلك في سنة سبع عشرة ومائة وألف^(٣) ، سلم الله بدره من المحاق والخسف ، / ا - ١٥
فسار في الناس سيرة أخذت بمجامع قلوبهم ، وتوجهوا إليه لبشاشته وحسن
خلقه في قضاء مرغوبهم ، وفي تلك المرة كاتبه الشيخ المحدث أبو العباس
سيدي أحمد ابن الشيخ سيدي قاسم الملقب : «بابن ساسي البوني»^(٤)

١ نفتردار : ودفتردار : كلمتان تركيتان ، معناهما رئيس ديوان الانشاء وكاتب عام للدولة . وكلمة «دار»
فارسية ، معناها : «البذل» .

٢ الند : عود طيب الشذا يتبخر به ، والكلمة فارسية .

٣ الموافق لسنة (١٧٠٥ م) .

٤ انظر تاريخ وفاته في ص : ١١٦ من هذا الكتاب .

بهذه الأرجوزة من مشطور الرجز ، وأبدع فيها وأجز . وهي :

الْحَمْدُ لِلَّهِ الْعَلِيِّ	الْأَبْدِيِّ الْأَزَلِيِّ
ثُمَّ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ	كُلُّ عَلَى نُورِ الظَّلَامِ
مُحَمَّدٍ وَآلِهِ	صَلَاةً صَبًّا وَآلِهِ
وَبَعْدَ هَذَا فَيَقُولُ	رَاحِي شَفَاعَةِ الرَّسُولِ
أَحْمَدُ نَجْلُ قَاسِمٍ	بُؤْيُ ذُو مَآئِمٍ
إِلَى نَعِيمٍ يَتَّخِي	بَابَ الْإِلَهِ بِخَتْمِي
يَا طَالِبًا لِلْفَضْلِ	وَالْجُودِ ثُمَّ الْعَدْلِ ^(١)
وَالْعِلْمِ وَالرِّيَاسَةِ	وَالْحِلْمِ وَالْكِيَاسَةِ
أُعِيذُ إِلَى الظَّرِيفِ	بَكْدَاشِ الشَّرِيفِ
وَهُوَ الَّذِي فِي الْقَطْرِ نِي ^(٢)	فَإِنَّهُ حَاتِمُ طَيِّ
تَجِدُ لَدَيْهِ مَا ذُكِرَ	فِي كُلِّ مَحْفَلٍ شُكِرَ
يَطْرُدُ عَنْكَ الْفَقْرَ	وَبِاجْتِهَادٍ تَقْرَى
بِهِ تَصِيرُ الزَّائِرَةَ ^(٣)	عَامِرَةً لَا خَاوِيَةَ
وَكَيْفَ لَا وَأَمْرُهُ	بِاللَّهِ طَالِ عُمَرُهُ
أَدْرَكَ مَا قَدْ رَامَهُ	مِنْ زُمْرَةِ الْكَرَامَةِ
هَذَا أَمِيرُ هَاشِمِي	لَمْ يَرْضَ بِالْمَظَالِمِ
طُوبَى لِمَنْ قَدْ قَارَبَهُ	يَا وَيْحَ شَخْصٍ حَارَبَهُ

١ في ب : « البذل » .

٢ ي : « باي » ، وحذفت الألف لضرورة الوزن .

٣ يفهم من هذه العبارة أن صاحب الرجز قد كانت له زاوية ببلدة « بونة » .

١٧ - ا

بُشِّرَى لَنَا بِذَا الْأَمِيرِ
يَعْرِفُ قَدْرَ الْعُلَمَاءِ
وَكَيْفَ لَا وَقَدْ قَطَعَ
وَفَقَهُ اللَّهُ إِلَى
يَا رَبُّ عَطْفُكَ عَلَى
وَالطُّفُّ بِهِ اللَّطْفُ الْجَمِيلُ
مَهْدُ لَنَا دَوْلَتُهُ
وَاخْتِمُ لَنَا عِنْدَ الْمَمَاتِ
مِنْ كَلِمَةِ الشَّهَادَةِ
ادْخُلْهُ رَبِّي الْجَنَّةَ
يَا حَاكِمَ الْجَزَائِرِ
أُرِيدُ أَنْ أُخْبِرْكُمْ
بِحَالِ هَذِي الْقَرْيَةِ^(١)
قَدْ صَالَ فِيهَا الظَّالِمُ
خُرِبَتْ الْمَسَاجِدُ
حُبُّهَا قَدْ أُسْرِفَا

إِذْ هُوَ يُرْوِي وَيَبِيرُ^(٢)
كَأَمْرَاءِ الْقُدَمَاءِ /^(٣)
عُمَرُهُ مَعَهُمْ فَتَصَعُ
فِعْلُ الْجَمِيلِ فِي عُلَى
مَنْ كَانَ فِي جُهْدِ الْبَلَاءِ^(٤)
أَيَا كَرِيمُ يَا جَلِيلُ
ثُمَّ قِنَا صَوْلَتَهُ
بِمَا خَتَمْتَ لِلْكَمَاتِ^(٥)
وَرُبَّةِ السَّعَادَةِ
بَغِيرِ سَبَقِ مِحْنَةٍ
يَا أَنْسَ نَفْسِ الزَّائِرِ
أَدَامَ رَبِّي نَصْرَكُمْ
بِالصُّدْقِ لَا بِالْفِرْيَةِ
وَمَنْ فِيهَا الْعَالِمُ /
وَقَلَّ فِيهَا السَّاجِدُ
نَاطِرُهُ فَأُشْرِفَا

١٨ - ا

- ١ مار عباله، بمبرهم، وامارهم بمبرهم، إذا أتاهم بالطعام والمؤونة والميرة .
- ٢ القدما: أصله القدماء بالمد وحذفت همزته لضرورة الوزن .
- ٣ البلاء: أصله البلاء بالمد وحذفت همزته لضرورة الوزن، والبلاء الاختبار بالخير أو الشر .
- ٤ الكاة: مفردة كمي، الشجاع المدجج بالسلاح، وفتحت تاءه نظراً إلى قافية الشطر الأول من البيت (الممات) .
- ٥ يريد بـ «القرية» مدينة «بونة» التي ينسب إليها .

وَأَهْمِلْتَ أَسْعَارَهَا وَبُدِلَتْ شِعَارُهَا
وَالشَّرْعُ فِيهَا بَاطِلٌ وَالظُّلْمُ فِيهَا هَاطِلٌ
وَالْخَوْفُ فِي سُبُلِهَا وَالْقَحْطُ فِي سُبُلِهَا
وَكَمْ مِنَ الْقَبَائِحِ وَكَمْ مِنَ الْفَضَائِحِ
يَضِيقُ عَنْهَا النَّظْمُ وَخَارَ مِنْهَا الْعَظِيمُ^(١)
تَبْكِي عَلَيْهَا بِالْدَّمِ قَدْ قُرِبَتْ مِنْ عَدَمِ
يَا صَاحِ هَلْ مِنْ نَفْحَةٍ تَهْبُ فِيهَا رَوْحُهُ
فَيُنْجَلِي عَنْهَا الْعَمَى وَتَرْتَوِي بَعْدَ الظُّلَمَا
وَاللَّهُ قَدْ وَلَاكُمْ حُكْمًا وَقَدْ عَلَاكُمْ
فَدَارَكُوا الْإِسْلَامَا وَنُورُوا الظُّلَامَا
وَسَدَّدُوا الْأَحْكَامَا وَفَرَحُوا الْأَنَامَا /
وَهَذِهِ وَصِيَّةُ قَرِيْبَةٍ قَصِيْبَةٍ
كُنْ وَاثِقًا بِاللَّهِ جَلَّ بِلَا تَنَاهٍ^(٢)
وَاطْبِ عَلَى الطَّهَارَةِ وَالْعِلْمِ فِي مَهَارَةِ
وَالذِّكْرِ وَالتَّوَاضُّعِ وَالْفِكْرِ وَالتَّضَرُّعِ
لَا سِيَّمَا بِالسَّحَرِ إِذْ هُوَ بِالنُّجْعِ حَرِيْ^(٣)
وَالصَّوْمِ وَالصَّلَاةِ لِوَاقِرِ الصَّلَاتِ
سَيِّدِنَا مُحَمَّدٌ رَسُولِ رَبِّ الصَّمَدِ

١٩ - أ

١ حار: فقر. وضعف. وانكسر. وفي ب: «وهن».

٢ في ب: «نلاه».

٣ حري: أحدر.

٢٠ - ا

رُوحُ الْوُجُودِ كَنْزِي دَخِيرَتِي وَعِزِّي
 مَلَجَا الضَّعِيفِ الْخَائِفِ مُنْجِي الْغَرِيقِ الْحَائِفِ
 وَسِيلَةَ الْمَلَائِكَةِ ذِي الطَّلَعَةِ الْمُبَارَكَةِ
 وَطَاهِرِ الْمَزَايَا وَبَاهِرِ السَّجَايَا
 عَلَيْهِ صَلَّي رَبُّنَا فَكَيْفَ يَا أَخِي بِنَا /
 سُبْحَانَهُ بِفَضْلِهِ جَعَلَكُمْ مِنْ نَسْلِهِ
 تُغَيِّرُونَ مُنْكَرًا تَنْبَهُونَ مِنْ كَرِيٍّ^(١)
 أَنْتُمْ قِيَامُ الزَّمَنِ كَوَالِدٍ مُؤْتَمَنِ
 وَبَصَفَا الطُّوبَى تَغْتَنِمُ الرَّعِيَّةَ
 فَأَنْتَ ذُو فَطَانَةٍ فَحَسُنَ الْبَطَانَةُ^(٢)
 شَاوِرُ ذَوِي الْعُقُولِ وَلُ ذَوِي الْأَصُولِ
 لَا تُخْلِفُ الْوَعْدَ وَلَا وَعِيدَكُمْ يَا ذَا الْوَلَا
 وَعَيْشُ هَذِهِ الدُّنَا إِلَى الزَّوَالِ وَالْفَنَاءِ
 حَيَاتُهَا كَسَاعَةٌ حَيَاتُهَا لَسَاعَةٌ
 عُمرَانُهَا خَرَابٌ لَذَائُهَا مَرَابٌ
 وَحُلُومُهَا مَرَارَةٌ مَكَارَةُ غَرَارَةٌ
 بَخْرٌ لِمَنْ طَلَّقَهَا شُغْلًا بِمَنْ خَلَقَهَا /
 وَقَدْ تَكُونُ نَافِعَةً عِنْدَ الْإِلَهِ رَافِعَةً
 طُوبَى لِعَبْدٍ عَقَلَا وَفِعْلٍ خَيْرٍ مَا قَلَى

٢١ - ا

١ من كرى: من نعام.

٢ البطانة: حاشية الرئيس، من وزراء ومشارين.

وَلَا يَدُومُ إِلَّا
 نَسَّالَهُ حُسْنَ الْمَالِ
 قَدْ قُلْتُهُ عَنْ عَجَلٍ
 وَالذُّهْنُ ذِمْنُ فَاتِرٍ
 حَامِلُهُ فِي صَبَبٍ
 حِينْدٍ نَظْمَتُهُ
 فَمِنْكَ يَا ذَا الْقَدْرِ
 فَمَنْ عَفَا وَأَصْفَحَا^١
 مَطَالِبِي كَثِيرَةٌ
 بَعْضُ مِنْ التَّحْصِيلِ
 ذَالُ وَدَالُ شَتَا^٢
 ذَنْبٌ وَدَيْنٌ كَثَرَا
 يَا رَبُّ يَا ذَا الْقُدْرَةِ
 وَتَوْبَةٍ نَصُوحِ
 بِجَاهِ خَيْرِ الرُّسُلِ
 صَلَّى عَلَيْهِ خَالِقِي
 وَقَدَّرَ قَطْرَ سُحْبِهِ
 وَعَنْ جَمِيعِ الْعُلَمَا
 إِلَهْنَا قَدْ جَلَّا
 لِي وَلَكُمْ فِي كُلِّ حَالٍ
 فِي خَجَلٍ وَوَجَلٍ
 وَالْهَمُّ فِي تَوَاتُرِ
 وَرَجُلُهُ فِي الْمَرْكَبِ
 وَمُسْرِعًا أُنْمَدَتْهُ
 أَرْجُو قُبُولَ الْعُنْدِ
 نَالَ الصَّفَا وَأَفْلَحَا
 فِطْنَتُكُمْ غَزِيرَةٌ
 يُغْنِي عَنْ التَّفْصِيلِ /
 فِكْرِي وَفِيهِ نَبَاتٌ
 وَالْغَمُّ فِيهِ أَثَرَا
 سَهْلٌ لَنَا فِي بَدْرَةٍ^٣
 نَقِي مِنَ الْقَضُوحِ
 مُحَمَّدٍ الْمُفْضَلِ
 عَدَدَ شَعْرِ الْحَالِقِ
 وَآلِهِ وَصَحْبِهِ
 يَرْضَى وَنَظْمِي خِتَمًا

٢٢ - ١

١ في ب: وأصلحاه .

٢ يريد ب: ذال: الذنب وب: دال: الدين .

٣ البدر: عشرة آلاف درهم. بدليل قول صاحب المقامات: وفكافاه ... بمنقوش في صفحة القمر

فكافأه على هذه الدرر ، بمنقوش في صفحة القمر ، وأعطاه فوق
ما طلب ، وكمل له المقصود والارب . ثم ان المولى - أعزه الله - طلب
منه أن يتحفه ببعض التحف ، فراسله بقصيدة أحلى من المن^(١) وأجلى / i - ٢٣
من البدر والطف . وهي هذه^(٢) :

بِـ بِسْمِ اللَّهِ أَبْدَأُ فِي نِظَامِ
عَلَى الْهَادِي رَسُولِ اللَّهِ كَنْزِي
وَأَصْحَابِ وَأَزْوَاجِ وَآلِ
وَبَعْدُ فَإِنَّ لِي حِبًّا وَخِلًّا
بِمَنْظُومٍ وَمَثُورٍ كَدْرُ
مُحَمَّدٍ اسْمُهُ «بَكَدَّاشُ» خُوجَةٌ
فَقِيهٌ لَوَذَعِي^(٣) أَلْمَعِي^(٤)
ذَكِي^(٥) الْفَهْمِ ذُو نَسَبٍ شَرِيفِ
سَخِي^(٦) عَارِفٌ بِاللَّهِ حَقًّا
أَرَادَ وَصِيَّةً مِنِّي وَنُصْحًا
هَلْ الْمُعْجُزُ يَرْجِعُ مُسْتَقِيمًا
فَرَاغَعَنِي لِسَانُ الْحَالِ مِنْهُ
فَقُلْتُ وَإِنِّي وَاللَّهِ عَبْدُ

وَحَمْدِ وَالصَّلَاةِ مَعَ السَّلَامِ
وَنَاجِ الْأَنْبِيَاءِ بِلا مُسَامِ
وَأَتْبَاعِ مَصَائِيحِ الظَّلَامِ
سَبَى قَلْبِي وَهَبَّجَ لِي غَرَامِي
وَتَشْوِيقِي إِلَى أَعْلَى مَقَامِ
لَهُ لَقَبَانِ مِنْ خَيْرِ الْفِخَامِ
جَمِيلُ الْوَجْهِ يُلْقَى بِإِنْسَامِ
لِطَةِ يَتَشَمِّي خَيْرِ الْأَنَامِ^(٧)
لِأَهْلِ الْعِلْمِ يَخْضَعُ ذُو انْسِجَامِ
أَنَا أَوَّلِي بِمَنْ يَبْرِي سَقَامِي
وَهَلْ يُرْوِي عِطَاشًا ذُو أَوَامِ^(٨)
بِالْزَامِ بِاسْتِعَافِ الْمَرَامِ / i - ٢٤
مُسِيءٌ مُجْرِمٌ مُخْطِئُ الْمَرَامِ

١ المن : مادة شديدة الحلاوة كانت تسقط آبان السحر على أشجار بني اسرائيل ، فيجنونها ويأكلونها .

(عبد الرؤوف المصري ، معجم القرآن القاهرة : مطبعة حجازي ١٩٤٨ م ، ج : ٢ . ص : ١٩٠) .

٢ على وزن البحر الوافر ، المقطوف اثروض والضرب .

٣ طه : مرخم من طاهر ، وهو الرسول صلى الله عليه وسلم .

٤ الاوام : العطش الشديد .

وَسَيَّرَ اللَّهُ جَمَلَتِي وَلَوْلَا
عَلَيْكَ أَيَا صَدِيقِي فِي مَضِيْقِي
وَحَكْمُ شَرْعِهِ فِي كُلِّ شَيْءٍ
وَصَمْتًا وَانْفِرَادًا وَاتِّضَاعًا
وَأَكْثَرَ بِالصَّلَاةِ عَلَى النَّبِيِّ
بِعِلْمِ الْفِقْهِ تُذَرِّكُ كُلَّ رُشْدٍ
وَرَاقِبٍ بِالضَّمِيرِ إِلَهُ عَرْشٍ
وَلَا تَجْعَلُ بِصَدْرِكَ غَيْرَ رَبٍّ
وَكُنْ فِي جَوْفِ لَيْلٍ ذَا اجْتِهَادٍ
بِذَاكَ الْوَقْتُ تُذَرِّكُ كُلَّ خَيْرٍ
وَتَسْتَخْلِي بِمَحْبُوبٍ عَظِيمٍ
وَتُذَرِّكُ مِنْ خَفِيِّ اللَّطْفِ مِنْهُ
وَأَسْرَارُ الْإِلَهِ غَلَّتْ وَعَزَّتْ
وَهَذِهِ رَشْفَةٌ مِنْ بَغْضٍ بِخَيْرٍ
فَبُشِّرَاكُمْ وَبُشِّرَاكُمْ بِخَيْرٍ
لَكَ الْعُلْيَا بِدُنْيَا ثُمَّ أُخْرَى
وَعُذْرًا فَالْعَيْدُ قَصِيرٌ بَاعٍ
وَجَائِزَتِي لَدَيْكُمْ حُسْنُ ظَنِّي
بِعَفْوِ اللَّهِ عَنِ ذَنْبِي وَمَوْتِي
وَنَبْلِي كُلَّمَا أَرْجُوهُ مِنْهُ
وَأَنْ أَخْطَى بِرِضْوَانٍ عَمِيمٍ

٢٥ - ا

عَظِيمُ الْعَفْوِ كُنْتُ مِنَ الْهَوَامِ
بِتَقْوَى اللَّهِ - جَلَّ - عَلَى الدَّوَامِ
وَلَا زِمَ ذِكْرُهُ وَاللَّتَمُّ هَامٍ
وَتَقْلِيلَ النَّامِ مَعَ الطَّعَامِ
تَكُنْ فِي كُلِّ أَمْرٍ كَالْحُسَامِ
بِتَمْيِيزِ الْحَلَالِ مِنَ الْحَرَامِ
وَنَقِ الْقَلْبَ مِنْ هَذَا الْحُطَامِ
عَمِيمِ الْفَضْلِ عَزَّ عَنِ انْعِدَامِ
بِذِكْرِ ثُمَّ فِكْرٍ مَعَ قِيَامِ
وَتُرْوَى فِيهِ مِنْ صَافِي الْمُدَامِ /
تَنَاجِيهِ مُنَاجَاةَ الْكِرَامِ
أُمُورًا لَا تُعْبَرُ بِالْكَلامِ
لِذَائِقِهَا هَيَامٍ فِي هَيَامِ
نَمًا لَا يَنْقُضِي بَلْ هُوَ طَامِ
وَعِزُّ وَارْتِفَاعٍ وَاخْتِرَامِ
مَقَامُكُمْ عَلَى أَعْلَى السَّامِ
قَبُولُ الْعُذْرِ مِنْ وَضْفِ الْعِظَامِ
وَصَفْحُ وَالِدُعَاءِ لَدَى الْخِتَامِ
عَلَى الْإِسْلَامِ مِنْ غَيْرِ انْتِقَامِ
جَوَارِ الْمُصْطَفَى أَلْفِي خِيَامِي
بِحَاهِ الْمُصْطَفَى بَذَرِ التَّمَامِ

وما زالت الناس تلقاه بالود، على البعد، وتقدمه في الأعيان، وان
لم تره بالعيان، فلما أبصره / خاصة الأمير^(١) على هذه الحالة حسدوه، i - ٢٦
وصاروا ينسبون إليه الفحشاء ونبذوه، ولله درّ شاعر « كِنْدَةُ »^(٢) حيث قال:
وَإِذَا أُتُّكَ مَذْمُومِي مِنْ نَاقِصٍ فَهِيَ الشَّهَادَةُ لِي بِأَنِّي كَامِلٌ^(٣)
مع اختيال اليراع في مهرقه^(٤)، واحتلال التاج بمفرقه^(٥)، إن جد
رايت الطود وقاراً، وان هزل خلته يعاطيك عقارا، فدعوا الأمير^(٦) إلى
رفضه، وسعوا في حل مبرم عهده ونقضه، فكان ذلك سبب خلعهم عن
سلطانه، واخراجه من أوطانه، بعد أن بقي برهة في قبضة الأمير^(٧)
محبوساً، ولقي من دهره المبتسم عبوساً، واشتدت عليه المحن، وبدأت
له تلك الاحن^(٨)، وكانت له تدبيرات تنفذ من المجن، وتترك الليل
إذا جن، يرسلها إلى الغراب فتصميه، وينكأ^(٩) بها القرح فتدميه، فتسنى
من الله بها انطلاقه، وانفرجت اغلاقه، ثم من الجزائر انتفى، وقلوب
الخلائق لفقده على شفا، وعاد النهار ليلاً، وانقلب السرور ويلاً / . i - ٢٧

١ الأمير: هو الداوي حسين خوجة الشريف .

٢ هو أبو الطيب أحمد بن الحسين المعروف بـ « المتني » ولد في محلة كندة بالكوفة سنة ٣٠٣ هـ / ٩١٥ م
وتوفي قتيلاً عند عودته من فارس إلى بغداد في شهر رمضان سنة ٣٥٤ هـ / ٩٦٥ م .

٣ البيت من بحر الكامل . التام المروض والضرب .

٤ المهرق - بضم الميم وفتح الراء - الصحيفة يكتب عليها، والكلمة فارسية الأصل .

٥ المفرق: - بفتح الميم وكسر الراء وفتحها - موضع اقتراق الشعر من الرأس .

٦ الاحن: الاحقاد، واحدها إحنة .

٧ نكأ القرحه: قشرها قبل أن تيرا، والقرح الجرح، وفي ب: « ينكى » .

المقامة الخامسة

في تغريبه من الجزائر

ورجوعه إليها بقدر الحكيم القادر

وكان ذلك أواخر المحرم الحرام، من ذلك العام^(١)، وحيث أنزل من ملك الملك، إلى حضيض الفلك، ناحت السموت^(٢) لأجله، وكسفت الشمس لفقده، وأعلنت أسواق العقول بكساد الفضائل والمعالي، واستثار الوضع على الماجد العالي، ولما ثلّ الدهر عرشه، وأحلّ سواه فرشه، وغرّبه عن أقاربه وأخوانه، ونال من اخماله وامتتهانه، علمنا أن من صحب الدهر وقع في أحكامه، وتصرف بين أقسامه، من صحة وسقم، وغناء وعدم، وبعاد واقتراب، وانتزاح واغتراب، عل أن الذي أصابه ثقل علينا - لا عليه - عبثاً، وعظم عندنا لا عنده رزاً، نسأله - تعالى - أن يجعل هذه الحادثة آخر حوادثه، وأعظم موارثه، حتى يستديم عزه في نعم

أ - ٢٨ سابغة، تنعم باله وخاطره، وتقر عينه وناظره، وتلحظه / خطوط الدهر

١ أي: عام ١١١٧ هـ / ١٧٠٥ .

٢ السموت: مفردا سمت، وهي نقطة من الكرة السماوية واقعة على شاقول (الميزان) فوق الأفق، أو تحت الأفق، وسمت كوكب: الزاوية الحادثة بين سطحي دائرة ارتفاع الكوكب وخط الهاجرة .

وهو منها في حماية مكينة، ودرع من الحماية حصينة، ثم ما زالت الفلك^(١) تقطع به مخاوف البحار والنوح^(٢) يزجيتها^(٣)، ودعاء الخلق له بالسلامة بنجيتها، حتى وضعته بمدينة طرابلس^(٤)، فدخلها وهو من الرجوع آيس، إلى أن ذهب إلى الغوث الفريد، السيد محمد ابن سيدي سعيد، في «المنشية» في موضع يقال له: «أعرض»، فلما دخل إليه أقبل عليه وعنه ما أعرض، وحياء بتحية، «فردّها بأحسن منها سنية»، وقال: مرحباً بالذي دخل من الباب^(٥)، تسر به الأعداء والأحباب، وتنكب الأعادي باقتراب، والنصر مع سعودك في اصطحاب، فأوقع الماضي موقع المستقبل وشمر عن ساق الجدد نحو الطريق إلى أن وصل تونس الخضراء، واجتمع بأصحابه أسود القفراء، فتألفوا في حينهم، وأرادوا الرجوع لوطنهم، فاستنشق أمير الخضراء / خبرهم، ففرق شملهم، قصداً للاختبار، ان هم من أ - ٢٩ الرجال الاحرار، وكان عقله رزيناً، فجمع نمطهم^(٦) حيناً، ولما رأى مولانا حامل الذكر قد انتكب، ونازلاً على تلك الرتب، خاطبه بلسان الحال، لا بالمقال: مثلك - ثبت الله فؤادك، وخفف عن كاهل المكارم ما دهاك، وأذاك -، يلقي دهره غير مكترث، وينازله بصبر غير متكتث،

١ الفلك - بضم أوله وسكون ثانيه - : السفن .

٢ النوح : - بفتح أوله - العويل والبكاء بصياح .

٣ يزجيتها : يسوقها ويدفعها .

٤ طرابلس، ويقال لها - أيضاً - طرابلس بدون همزة في أوله : مدينة تقع على البحر الأبيض المتوسط في آخر أرض برقة بالقطر الليبي. (مراصد الاطلاع، ج: ٢، ص: ٨٨٢) .

٥ يشير إلى الباب الجديد بأعلى القصبة، وهو الذي دخل منه محمد بكداش فيما بعد. وهذا يعني تنبؤاً من محمد بن سيدي سعيد .

٦ النمط : الجماعة من الناس أمرهم واحد .

ويبسم عند قطوبه، ويفل شباة^(١) خطوبه، فما هي إلا خمرة^(٢) ثم تنجلي،
 وخطرة^(٣) يليها من الصبر الجميل ما يلي، لا جرم أن الحر حيث كان
 حر، وان الدر برغم من جهله در. ثم ان المولى - أيده الله - قال: ضاق
 - بالتغرب - ذرعي. واجتث منه أصلي وفرعي. فقال له الأمير المذكور:
 لا شك اني كنت كلما اردتم الرحيل تصاممت، ونكثت من عرى التلوي^(٤)
 ا - ٣٠ ما كنت أبرمت. ثم اني علمت أن ذلك القول / كان زوراً، ووشى به
 من غص أن يرانا زائراً ومزوراً، فانقضت تلك المخيلة^(٥). وظهرت العلة
 الدخيلة. فتعين علي تجديد العهد الرائق. وكف أيدي تلك العوائق.
 فأعطاهم الزاد والخيول، وصاروا يكمنون النهار ويسرون الليل، إلى
 أن وصلوا للبساتين^(٦)، وبقوا يومين متحيلين، وفشا خبرهم في البلاد،
 فأعمى الله وأصم أهل الفساد، وبقوا كأنهم مقرنون في الاصفاد، ألم
 يعلموا: ﴿إِنَّ رَبَّكَ لَبِالْمِرْصَادِ﴾^(٧). حتى أشار صاحب الرأي السديد^(٨)،
 بالدخول صباحاً من باب الجديد، فوقعت الواقعة، وما أدراك ما الواقعة !

١ شباة كل شيء، حذّه من السيف قدر ما يقطع به .

٢ خمرة: غفوة .

٣ خطرة: نكبة .

٤ التلوي: التلويص، يقال: لوى عليه الأمر تلوية عوصه .

٥ المخيلة: المظنة، ومن السحب: المنفرة بالمطر .

٦ أي البساتين التي بضواحي الجزائر .

٧ اقتباس من الذكر الحكيم، سورة «الفجر» الآية: ١٤ .

٨ المشير هو محمد بكداش .

المقامة السادسة في استفتاح الملك صباحا . وما جرى لأهل الدولة غُدُوًّا ورواحا

كان ذلك في التسعة والعشرين من ذي القعدة الحرام سنة ثمان
عشرة^(١) ومائة وألف^(٢) ، وقد اجتمع من العساكر ما ينيف على اثني
عشر ألف. واستفتح / الملك يوم الجمعة والناس ينتظرون مجتمعه. فلما أ - ٣١
طلع عليهم بدره بين أنجمه ، تأسفوا لقلّة وفده . ولم يعلموا أنه اعتمد على
قوله تعالى : ﴿ إِنْ يَنْصُرْكُمُ اللَّهُ فَلَا غَالِبَ لَكُمْ وَإِنْ يَخْذُلْكُمْ فَمَنْ ذَا
الَّذِي يَنْصُرُكُمْ مِنْ بَعْدِهِ ﴾^(٣) . وما أحقه بقول القائل^(٤) ، من شعراء الأوائيل :
وَمَا ضَرَّنا اَنَا قَلِيلٌ وَجَارُنَا عَزِيزٌ وَجَارُ الْأَكْثَرِينَ ذَلِيلٌ^(٥)

١ في الأصل : ثمانية عشر .

٢ الموافقة لسنة ١٧٠٧ م .

٣ سورة آل عمران . الآية : ١٦٠ .

٤ هو السؤال بن عاديا اليهودي من شعراء الجاهلية في القرن السادس ق.م .

٥ البيت من قصيدة له شهيرة مطلعها :

فلما رأيت ما أخذهم من الذهول، وسمعت شهادتهم بأن وصفه تتحير فيه العقول، أنشدت متمثلاً^(١) :

الله أكبر ملهى شيء حزنه حتى استكان لأمرِكَ العُظماء
شهدت لك الأعداء أنك ماجدٌ والحق ما شهدت به الأعداء^(٢)

وبويح^(٣) له بالخلافة، وما أعظمها خلافة، وأبو الفتوح صهره الأمير حسن^(٤)، يفعل بين يديه كل حسن، من الذب عنه بسيفه ولسانه، والفتك بمن يروم الخروج عن سلطانه، وهو - أعزه الله - ممن لا يضاهيه /
النجم في مراقبه^(٥)، وإن لسعت عقارب السعي جسد الملك كان أحكم راقبه^(٦)، فأقسم بالله ليعقدن على رأسه من الملك إكليلاً، يرد اللحظ عن سنائه كليلاً، وليطوعن له شرق البلاد وغربها، وليحملن على طاعته عجم الرجال وعربها، والأربعة الآخرون واقفون بالباب، يمهّدون الملك بافصاح خطاب، فمنهم صاحب السيف المحدود، الليث الهمام الحاج محمود، فطالما صال في المضمار وجال، وولى من يومه أميناً على بيت المال،

٥ إذا المرء لم يندس من اللؤم عرضه فكل رداء يرتديه جميل

وهي من بحر الطويل المقبوض العروض المنفوخ الضرب .

١ في الأصل : ومثلاً .

٢ هذان البيتان من بحر الكامل، الصحيح العروض، المقطوع الضرب .

٣ في الأصل : ويح .

٤ الأمير حسن : هو صهر محمد بكداش ووزيره. توفي سنة ١١٢٢ هـ / ١٠ : م قبلاً

Berbrugger, Epitaph d'Ouzoun-Hassan Le Conquérant d'Ouran en 1708 Revue Africaine, IX P: 122-126).

٥ مراقبه : أحدها المرق والمرقاة بفتح الميم في الأولى، وبكسرهما والفتح في الثانية .

٦ الراقي : من يصنع الرقية .

والفتى الأمجد، الحسام المهند، الذي جمع الباس، مع صغر الرأس،
وصار وكبلا، وعلى ما يتحصل ويخرج كفيلا، والآخر الذي ما زال
ينحوض بحار الهلك، حتى تنحى عن خزانة الملك، والذي أفرد الزمان
لفخره باللسان، ما لم تعلمه الجوارح، حتى غدا رائح .

ولنذكر ما كان من أمر الشريف^(١) ومعه. واخراجهم إلى بدو
البلاد من حضره^(٢)، ومن أوقد ناراً صلي بحرهما، ومن أسال دماء / الفتنة أ - ٣٣
غرق في بحرهما، وكان حفيده أصلبهم فيها عوداً، وأقبسهم بروقا وأصولهم
رعوداً، فلما انجلى ليلها، وتقلص ظلها، وانتشرت الراية وبويع الاجل^(٣)،
وعلموا أن ملكهم اضمحل، وإن سعدهم قد أفل، فبروا الاولياء^(٤) عن
عجل، فأتى بالأمير^(٥) من والي دادا^(٦)، ولم يشعر بالقتل أم للخلاص
انقادا ؟ ولما ظفر أمير المؤمنين ببطلهم ومقدمهم، وأخذهم بنواصيهم
وأقدامهم وعاقبهم على جرأتهم واقدامهم، جعلهم جميعاً في مركب،
ونجاهم اقتحام البحر من العطب، فلما توسطوا لججه، واقتحموا ثبجه^(٧)،

١ الشريف: الداي حسن خوجة الشريف .

٢ الضمير يعود على «البلاد» .

٣ في ب: «وبيع» و «الأجل» صفة لحمد باكداش .

٤ أي: أطاعوهم .

٥ هو الداي حسن خوجة الشريف المخلوع .

٦ أي: من ضريح «والي دادا» المتوفى سنة ٩٦١ هـ (١٥٥٤ م) بالجزائر ودفن بقرب ضريح عبد الرحمن
الثعالبي . أصله تركي من مدينة «ازمير» قدم إلى الجزائر زمن قدوم أوائل الأتراك. وما زال ضريحه يزار
إلى الآن .

(أ - الحفناوي، محمد. تعريف الخلف، برجال السلف. الجزائر: مطبعة فونتان. ج: ٢. ص: ٦٩ .

(Klein Henri. Feuilles de G.L. Djazair, Alger, choix, 1937 p. 156-157)

٧ التبع: - بفتح التاء والباء-: من كل شيء وسطه ومعظمه ج أثاج وثبوج .

وكسا الليل عاج الموج سبجه^(١) ، اضطربت الأمواج ، واشتأقت النفوس سلوك الفجاج ، فألجأهم الريح إلى قرية يقال لها « دلس »^(٢) ، وباتوا في ليلهم إلى أن عسعس ، فأتت جماعة من البربر بالبند ، وخلصوهم من القيود ، ورفعوهم إلى قرية من قرى زواوة ، وارتفعت عنهم الشقاوة ، فبقوا هنالك تسعة وثلاثين يوماً / ثم أشرف^(٣) ، ودفن ضحوة الخميس أواخر ذي الحجة الحرام سنة ثمانية عشر ومائة وألف^(٤) . فانظر كيف كثر عليه دهره بخطوبه ، وسفر^(٥) له عن قطوبه ، فكدر عيشه بعدما صفا وقلص برده الذي كان ضفا^(٦) . وكان - رحمه الله - ظاهر الصواب متى نبس^(٧) طاهر الأثواب من كل دنس ، معجزاً ببيانه ، موجزاً في كل أحيانه ، وبقي الحفيد واثنان من الجند في هوان ، وستقف على ما جرى فيهم بالعيان ، وتمهد الملك وصفا ، وبقيت قلوب الحاسدين على شفا ، نحمدك يا من جعل قضايا أميرنا هذا وجودية^(٨) متشعبة ، ورياح نصره مبشرة ، ووجوه الدين بها يتيحه الله للملكه المكين مستبشرة ، وقدرة عزمه مؤثرة ، وصفات كماله على توحيد جلاله متكثرة ، ونهار نصره آياته مبصرة .

- ١ السج : - بفتح السين والباء - كساء أسود .
- ٢ دلس : مدينة صغيرة على البحر الأبيض المتوسط بالقطر الجزائري ، أسسها معز الدولة بن صمادح والي الأندلس سنة ٤٨٤ هـ / ١٠٩١ م ، بإيعاز الملك المنصور ببجاية (عبد الرحمن الجليلي ، تاريخ الجزائر العام ، الجزائر : المطبعة العربية ، ١٩٥٤ م ، ج : ١ ، ص : ٣٢٠) .
- ٣ أي : اشرف على الموت ودنت منه ، والمراد - هنا - أنه قد توفي بالفعل .
- ٤ الموافقة لسنة ١٧٠٧ م .
- ٥ سفر : كشف وأبدى .
- ٦ سبغ ، واتسع .
- ٧ نبس : نكلم ، وأغلب كلمة ونبس : نستعمل في سياق النفي ، يقال : « ما نبس بكلمة » أي : ما لفظ بها .
- ٨ وجودية : موجودة وظاهرة للعيان .

المقامة السابعة

في اسمه وأهل مملكته ورسمه /

٣٥ - ا

هو أمير المؤمنين محمد بن علي بن محمد، الشريف، الحسني
النكداني^(١). ملك رفع للاقمار لواء، وألقى على شمس النهار بهجة وضياء،
سارت بمجادته^(٢) الاخبار، وحق فيه وفي بدايته الاعتبار، جياذ سعوده
إلى الغاية القصوى ذات استباق، وأكوس فتوحه تحثها أيدي اصطباح^(٣)
واغتباق^(٤)، وعقود كرمه ذات انتظام في لبات^(٥) العفاة واتساق، وأثر
فضله في أقطار البلاد كواكب آفاق، قام سعدته، وقعد ضده^(٦)
صفته: أبيض اللون طويل القامة، معتدل الهامة، أشهل^(٧) / العينين،
خفيف الساقين .

١ في ب: «النكلي» .

٢ بمجادته: بمجده، وعزه، وشرفه .

٣ الاصطباح: تناول الخمر في الصباح، ويقال لخمها الصبوح .

٤ الاغتباق: تناول الخمر في العشي، ويقال لخمها الغبوق .

٥ لبات: جمع لبة، وهي موضع القلادة من الصدر .

٦ المضد: العدو .

٧ أشهل: يشوب سواد عينه زرقة .

بنوه: من المذكور - الآن - واحد، في سيرته ماجد، ذكي الفهم، حافظ فوق ما يصوره الوهم، ينطق بمخارج الحروف، وبالحياء والندى موصوف، مستعذب المقاطع^(١)، كأنما صور من نور ساطع، أبهى من الظبي الخجل، وأحلى من الأمن عند / الخائف الوجل، يهب عاطراً نشره، ولا يغبّ - حياء - بشره، تجتليه بساما، وتنتضيه حساما، ان وافاك أبرم عقد أخائه، وأعفاك من زهوه وانتحائه^(٢)، ماء صفائه وارف يكاد يقطر، وسما احتفائه واكف^(٣) - أبدا - يمطر، وله أدب لو نشر لكان بردا محبرا^(٤)، أو تنسم لهب مسكا وعنبرا .

اصهاره: منهم أبو الفتوح حسن^(٥)، الحلو البسن^(٦)، طويل النجاد^(٧) قوي العزم لا يرده عن أمره راد، أكرم الناس عطاء. وأولاهم حياء، لكنه لم يزل في وجوه الوفود بساما، وفي حومة الحروب عبوسا ومن عداته نقاما، وفي أحكامه رئيسا. ولما صاهر شيخ الجلالة وفتاها، ومبدأ الفضائل ومنتهاها، أكرم سريرته، وحشد سيرته، فصار له كرم كانسجام الامطار، وشيم كالنسيم المعطار، وكان^(٨) - قبل - قام زمانا على المدامة معتكفا،

١ المقاطع: أواخر الكلمات عند النطق .

٢ الانتحاء: العظمة والكبر والفخر .

٣ واكف: سائل ومنهر .

٤ البرد المخبّر: الناعم الموشى .

٥ هو زوج ابنته ووزيره «حسن أوزن» .

٦ البسن: يقال ابن، إذا أحسنت سحته، والسحة: الهيئة واللون .

٧ طويل النجاد: كناية عن طول القامة، والنجاد حمائل السيف .

٨ الضمير: من اسم (كان) يعود على الصهر حسن أوزن. وكلمة «أوزن» - بضم أوله - صفة لـ «حسن» ،

ومعناها - في اللغة التركية - : طويل القامة .

ولثغور البطالة مرتشفا، لا يغدو إلا ثملا، ولا يروح / إلا بنشوة مشتملا، ؛ - ٣٧
ثم فاء عن تلك الساحة، واختار تعب النفس عن تلك الراحة، فراح
حلف خشوع، وأصبح بين سجود وركوع، ولما زوجه ابنته، أشحذ عدته،
وفي ذلك اليوم صرف الزمان عنه صرفه، وغمض عنه الحدثان طرفه،
وزفت إليه المعالي أبكارها، واطلعت عليه شمسها وأقمارها، وهزت إليه
المدام^(١) اعطاف ندامه^(٢)، وصار السعد من خدامه، وقد نسك وعف،
وأمسك عن الشهوات وكف، ولم يبق فيه للطرب بقية تقبل أنسا، ولا
تستحسن من أجناس اللهو جنسا، فحياء - يوماً - فتى وسيم بكاس
طمعا، ان يخرق من توبته ما كان له رقعا، وأطعمه بفتور لحظه حسب
أنه يفتنه، وتثور فيه فتنه، فأعرض اعراض زاهد، غير كلف بالمحاسن
ولا واجد، وأما أبو الوفا، السيد مصطفى. فسيرته سيرة النبلاء، وشيمه
شيم الفضلاء، له بدائع مائنة^(٣) الاعطاف، مستعذبات الجنى والقطاف،
تنسمها زهر كمام، ويتوسمها بدر تمام، يلقي الناس بابتسام، ويعاملهم
بأحسن المرام، وكانت معاملته مع الفقراء والمساكين، / وقضاء حوائج ا - ٣٨
المسلمين، وكرمه منسجم الغمائم، وهممه السامية منذ نيطت عليه التائم،
وأما اخدانه^(٤) الباقون، فهم بالوقار والسكينة موسمون^(٥)، وأما لقبه فـ «بكداش»

١ المدام: المطر الدائم .

٢ الندام:- جمع نادم - وهو الأسف والتائب .

٣ مائنة: متبخرة .

٤ في ب: «احتانه» .

٥ في ب: «مسمون» .

الدال المهملة، معناه - بلغة الفرس - : الذي لا نظير له^(١) .

وزرائه: الأربعة الفضلاء، الجالسون بازاء المولى، كل واحد موكل بدفتاره^(٢)، على ما يتحصل ويخرج لداره^(٣) .

كتابه: الاثنان الفرقدان، اللذان^(٤) - خلف الوزرا -، يسطران، بما أمرا .

نقش خاتمه: «الواثق بالله العلي، محمد بكداش بن علي» .

ترجمانه: الأصيل الجليل، السيد أحمد المكنى بابن «أقليل» .

قصاته: الأربعة العاملون، الذين هم بالحق فاصلون، منهم أبو علي حسين فارس المنابر، وأستاذ الأكابر، وقيوم البيان، ورئيس علوم / اللسان،
i - ٣٩ وعلامة تفسير القرآن، وحجة النحو / المعصودة بالبرهان، تعرض عليه أنظار الزمخشري في البيان، فيزيف واهيها، وينبه من الغفلة ساهيها، ويرد إلى الجدد - بحسن الاقتباس - لاهيها، ويشظى^(٥) بدرياق^(٦) الاشعرية دواهيها، وكل ما يورده من فنون البيان فمحوطة من نحو سيويه بسياج حصين، مستند من صحة النظر إلى رأي أصيل وعقل رصين،

١ قال الجامعي: «وفي بعض الكتب العربية المترجمة من اللغة التركية: ان «بكداش» بمعنى شبيه. (شرح أرجوزة الحلقاوي. ص: ٣٠. مخطوط خاص) .

٢ الدفتار: السجل .

٣ لداره: الضمير يعود على محمد بكداش، والمراد بالدار - هنا - بيت المال .

٤ في ب: «الذين» .

٥ ويشظى: يفرق، ويبدد، وفي ب: «يشكي» .

٦ الدرايق: لغة في الترياق، وهي مادة تدفع السموم .

محل من بدائع البديع باسلاك الجواهر ، مبسماً من ألقابه الحسنة عن
مؤنقات أزاهر ، يطرز مجالس أفادته من نوادر الآداب بكل واجهة الأذان ،
دون استئذان .

وكل واقرة في الاسماع ، من غير استماع ، وكل ثابتة في الصدور ،
ملتزمة الاعجاز بالصدور ، وكل ساكنة في القلوب ، وافية بالغرض
المطلوب ، وتمكّن في التظهير لآيات الكتاب العزيز ، وما صدر عن أرباب
البلاغة باللفظ الوجيز ، والايضاح لغوامض ما مثل به أهل البديع ، بكل
معنى بديع ، من قطعة^(١) طائفة بالجناح ، / وحديث ثابت المسندات أ - .
الصحيح ، أو آية موسومة بالاعجاز ، وافية بوعده لا يأتون بمثله بالانجاز ،
تسبق إلى مجلس تدريسه^(٢) صدور أعلام ، وتتضاءل بالنسبة إلى تفهيمه
عقول راجحة وأحلام ، وهم يلتقطون فرائده فرادى وأتواما ، ويغتنطون بمجالسة
ذاته العلمية اجلالا واعظاما ، ويصاحبونه ويماسونه توقيراً واکراماً ، وما
منهم إلا من تفوه لمة^(٣) من الطلبة تلمس فائدته ، وترقب في المسجد
الأعظم إفادته ، فكان أحق المنهومين في الدرجة الفاضلة بالتقديم ،
وأولاهم بالتكامل لغرضه الاشرف والتميم ، وإذا ارتقى لصهوات المنابر
فهو فارسها الصنديد ، وبطلها الكمي غير الهَيَّابة ولا الرعديد ، وبحرها
الملقى إلى شاطئه بمعجب الجواهر ، وروضها المتحف برونق الأزاهر ،
فقلما تخلف عن الاستفادة منه نجيب من الطلبة ، أو مدرك ظفر من البغية

١ من قطعة: الشواهد الشعرية .

٢ في ب: «تدريسه» .

٣ لمة: جماعة .

بما أمله وفاز من الأمنية بما طلبه، وكلهم يمدون إلى كنوز علومه الجمة
 أ - ٤١ يدي الافتقار، ويلحظون رتبته / السامية بعين التجلة والوقار، وله في
 الآداب غرائب تستجلي، ودرر تستحلى .

ومنهم: أبو زيد عبد الرحمن الأرضي، الشريف المرتضي، وهو لين
 الجانب، محافظ على أداء الواجب، ولي الفتيا، وسلك فيها سبيل أهل
 العليا، ولم يعدل فيها عما يحمد من مذهبه من الوقار والسكينة، والاستمساك
 بحبال الديانة المتينة، واجتناب الكبر الذي هو للشريف أكمل الزينة،
 والتحلي باخلاق المجادة^(١) بدورها الثمينة، والاستظهار بالعدالة التي هي
 ثمرة العقول الرهينة، والجد في مقامات المفاوضة إذا لجأت النفوس إلى
 معاقلها الحصينة، وهو في ذلك كله محمود السيرة، متطابق العلنية
 والسريرة، ميمون السفارة والنقبة، عائد من الثناء الأجمل بملء الحقيقة،
 والدول توجب له الحق، وتخوله من حظوتها المستحق. وتجعل متبوأه - يوم
 الحفل - مشهوداً، وتكرمه غيبة وشهوداً، وتنزله منزلة من آثار الصدق
 أ - ٤٢ واليقين، وسلك إلى الله سبيل المتقين . /

ومنهم: ابن عبد الله، محمد، بن محمد، بن محمد، بن محمد،
 المكنى بـ « ابن آقوجيل » الذي حاز الخصل في حلبة السبق، وتجارى معه
 قضاة أوانه فسلموا^(٢) له أنه سبق، وهو مقتدر في الطبع على انشاء الرسائل،
 وتقرير الأدلة والوسائل، ويحسن كرائم الظواهر^(٣)، وتحرير الخطب

١ المجادة: الشرف والمجد .

٢ في ب: « سلماء » .

٣ الظواهر: التقارير الرسمية، التي تصدر بأمر من السلطان. وما زالت لفظة « ظهير » تستعمل في المغرب =

التي لا تختفي بها مملوآت السرائر ، يقوم على ذلك كله بطبع سيال ، وخاطر إلى التمسك بالله مبال ، وقريحة قد عتق منها جريال^(١) .

منهم: قاضي العسكر المنصور ، حامل لواء الشريعة المنشور ، وهو الفقيه الأجل ، اللوذعي^(٢) الاعدل ، أبو حفص عمر بن الفقيه العلامة ، الدراكة الفهامة ، أبو عبد الله سيدي محمد ... التونسي الدار والمنشأ فرع المجادة والاصالة ، ووارث السيادة عن كلاله ، ملء حياء وعلماء ، واتقد ذكاء وفهماً ، وضربت الامثال بنباهته ، وسارت الرفاق بظرافته ، إلى فراسة إياسية^(٣) ، والمعية إلباسية^(٤) . مع أدب بارع ، / وقدم ثانياً المجد ا - ٤٣ - فارع ، حتى صار مفيد الأحكام ، وتحفة الأحكام ، والمنهل المورود ، والمنهج المقصود ، والجوهرة اليتيمة ، والدرة السليمة ، والكتر الذي لا ينفد ، وملتقى الابحر التي منها يستمد ، وأما أمير المؤمنين فهو الذي بلغت همته في طلب العلم السماء ، وجلت أسرته الظلماء ، له الرتب المكينة ، وعليه الوقار والسكينة ، أخرج يراعه العوالي ، واستخدم الاحرار والموالي ، وأقام بدولة أهل الجزائر وأقعد ، وتبوا سماكها واقعد ، فسما به قدرها ، وهي بسية من سماء الفضل قطرها ، وحسنت سيرها ، وأمنت غيرها ، وحمدت

الأقصى .

١ الجريال ، والجريالة : الخمر ، أو لونها .

٢ اللوذعي واللوزع : الذكي الدهن ، الفصيح اللسان .

٣ إياسية : نسبة إلى إياس بن معاوية قاضي البصرة ، اشتهر بذكائه وعدله حتى ضرب به المثل ، فيقال : «أزكن من إياس» .

٤ إلباسية : نسبة إلى إلباس النبي عليه السلام !

أيامها، ووردت جمام^(١) الأمانى حيامها^(٢)، وله أدب غرض المقاطف،
 رطب المعاطف، إن نثر فالنجوم في أفلاكها، أو نظم فالجواهر في
 أسلاكها، قد أخذ بمجامع القلوب كلمه، وأغذ في طريق الابداع قلمه،
 وكيف لا وهو علم البراعة، وقيوم الصناعة، لا أعلم اني لقيت من سن
 ا - ٤٤ الطفولة، إلى ما فوق زمان الكهولة أبرع منه في هذه الطريقة، ولا / أقوى
 شاهداً فيها منه على الحقيقة، جمع النظم والنثر، والخطابة والشعر، مجيداً
 في طريقيهما، سابقاً لفريقيهما، وقلما اجتمع لأحد الاجادة في الفنين،
 والارتياح من راح^(٣) الدين^(٤)، فاذا نثر وسجع، وردد الفقر ورجع، وكتب
 ونكت، وأجاب وبكت^(٥)، وأوماً وأشار، ونبه وأثار، وأقام واقعد، وأبرق
 وأرعد، وصوب وصعد، ووعد وتوعد، ونمق وحبر، وطبق وعبر، وأوجز
 وحرر، وأصل وقرر، وأعاد وكرر، أحرز ذوق ابن أبي الخصال^(٦) الخصل^(٧)،

١ الجمام : بثلبث الجيم : ما علا راس الميكال فوق طفافه، والجمام - بفتح الجيم - المثلء من المكاييل،
 والمراد به - هنا - الاناء المثلء ماء .

٢ الحيام : العطش .

٣ الراح : الخمر، سميت بذلك لأن شاربها يرتاح بعد شربها .

٤ الدينين : مفردة دن وهو وهاء للخمر .

٥ بكت : اسكت خصمه بحجج دامغة .

٦ ابن أبي الخصال : هو أبو عبد الله محمد بن مسعود بن الطيب بن فرج بن أبي الخصال النافقي وزير
 الأندلس وشاعرها، ويلقب بذي الوزانين، ولد سنة ٤٦٥ هـ / ١٠٧٣ م بقرية «فرخيط» من قرى
 «شقورة» ونشأ بقرطبة وقرطبة، وأقام مدة بفاس، وحاز نصب السبق في الفقه والأدب حتى قيل:
 «لم ينطلق اسم كاتب الأندلس على أحد كابن أبي الخصال»، له عدة مؤلفات مفيدة جداً، منها:
 «ظل الغمامة في منقاب بعض الصحابة» و «منهاج المناقب» و «منقاب العشر» و مجموعة ترسله وشعره
 في خمس مجلدات، ومن شعره الرقيق - عندما وقف بباب بعض القضاة واستأذن عليه، فحجب عنه :

جِئْنَاكَ لِحَاجَةِ الْمَنْطُولِ صَاحِبِهَا وَأَنْتَ تَنْعَمُ وَالْإِخْوَانُ فِي بُسْرِ
 وَقَدْ وَخَّضْنَا طَوْبِلًا عِنْدَ بَابِكُمْ ثُمَّ انْصَرَفْنَا عَلَى رَأْيِ ابْنِ عَتُوسِ -

شهر في ميدان البلاغة النصل، وإذا ادعى الامامة ادعى الأصل، وإذا
خط واستعمل المد والمط، والبري والقط^(١)، فالوشي المرقوم، واللؤلؤ المنظوم،
والزهر المنضود^(٢)، والطلع المخضود^(٣)، والظل الممدود، والحسن لا المحصور
ولا المعدود، والابداع الذي لا تقبده الرسوم ولا تحصره الحدود، فافتنت
فيه النواظر، وتهادته الأقلام والمحابر / وتقاصرت عنه اليواقيت والجواهر أ - ٤٥
وسلمت له في الحسن الحدائق الياصرة والأزاهر، ونظرت به عين المقة^(٤) الشهبان
والزواهر، ولولا أن يظن بي الغلو من أولياء غله، ويعتقد في الاغراق في
غير محله، لاجدت في أوصافه، على شرط انصافه، ولأغربت في النعوت
بحسب نفاسة النعوت، والأولى الاختصار على توفية بعض حقوقه، ما لم
يؤد إلى عقوقه، والاختصار من التعريف بمقداره، في زمان ابداره^(٥).

= وابن عبدوس المشار إليه في البيت، هو الوزير أبو عامر بن عبدوس القائل :

لَنَا قَاضٍ لَهُ خَلْقٌ أَقْلٌ ذَمِيهِ التَّرْقُ
إِذَا جِئْنَا بِخَجْبَتَا قَلْبِنَا وَتَفَرَّقَ

وقد استشهد ابن أبي الخصال في فتنة المصامدة بقرطبة سنة ٥٤٠ / ١١٤٥ م . (أ - أحمد بن يحيى
الضبي، بغية المنتس، في تاريخ رجال أهل الأندلس . ص : ١٢١ . ب - أحمد المقرئ، نفع الطبيب،
من غصن الأندلس الرطيب، وذكر وزيرها لسان الدين بن الخطيب، بتحقيق محمد محيي الدين،
القاهرة: مطبعة السعادة، ١٩٤٩، ج : ٤، ص : ٢٥٠ - ٢٥١).

١ القط : قطع رأس القلم عرضاً بعد برية .

٢ المنضود : المضموم بعضه إلى بعض في شكل منق .

٣ المخضود : المتزوع الأشواك . والطلع : نوع من الأشجار الضخمة لها أشواك ابرية .

٤ المقة : الهبة والمودة .

٥ ابداره : طلوع بدوه، وهو كتابة عن ارتقائه إلى كرسي الحكم وتسميته دايماً .

المقامة الثامنة

في تهنة الشعراء ومدحهم له .
وتعريف كل واحد بما سطره أو نقله

فأول من راسله بالقصائد السيد يحيى بن أحمد بن أحمد بن محمد
ابن أبي القاسم بن أبي راشد وهو العلامة المودود، الكارع في مشرع^(١) الفقه
لا ممنوع من ذلك ولا مصدود، ولي الكتابة في بني « مولة »، فكانت مطابقة
معلولة، مشتركاً في الولاية مع رئيسها سيدي مسعود^(٢)، مشاطراً له في
أ - ٤٦ الرياسة مع سير - في الرعايا - محمود / ، بعث القصيدة وأجاد في
نظامها، وأجال بيد الاغراب^(٣) عن الاعراب في مراميتها، وكشف عن
فنون الأدب في الدخول لجامها^(٤)، وكان له بالشيخ أبي عبد الله محمد
المغربي اعتلاق^(٥) يدعيه، وتلميذاً^(٦) يزعم - بملازمته له - أن كل ما
كان يلقيه له فانه كان يعيه، وان هذه القصيدة من نتائج افادته، ومن

١ المشرع: منبع الماء ومورد الشارب .

٢ يوجد ضريحه بـ « المدينة » (SALAMBIER) على مقربة جداً من محطة « المصعد » (TELEPHERIQUE) وما زال مقامه يزار إلى الآن .

٣ الاغراب: التقصي والامعان في البحث .

٤ الجام: جمع جامات، وأجوام واجؤم، وجوم، وهي الكاس، والكلمة فارسية الأصل .

٥ اعتلاق: هوية ومحبة صادقة. وكانت وفاة محمد المغربي سنة ١٠٨٨ هـ / ١٦٧٧ م .

٦ تلميذا: خبر لكان المخلوطة مع اسمها، تقديره: وكان السيد يحيى تلميذا .

بدائع ما حصله بين يديه من استفادته، وإليه كان يعزو صوابه .

وإياه كان يسأل ويتلقى جوابه . ومن هذه القصيدة^(١) :

كَمُلَ الْهَنَاءُ وَطَارَتِ الْأَهْوَالُ وَأَزِيحَتِ الْأَحْزَانُ وَالْأَوْجَالُ
وَبَدَتْ بُدُورُ السَّعْدِ وَارْتَفَعَ الشَّقَا وَتَظَاهَرَ الْإِسْعَادُ وَالْإِقْبَالُ
وَالْخَيْرُ عَمَّ وَالزَّمَانُ مُسَاعِدُ وَدَنَا الْمُنَى وَالْيَمْنُ وَالْإِكْمَالُ
وَالْأَرْضُ قَدْ لَبِسَتْ بُرُوداً حَاكَهَا زَمَنُ الرَّبِيعِ الْوَابِلِ الْهَطَّالُ^(٢)
وَتَبَسَّمتْ - فَرَحاً - تُغَوِّرُ أَزَاهِرَ^(٣) بِمُحَمَّدٍ وَدَنَتْ بِهِ الْأُمَالُ / ٤٧ - ١
مَلِكٌ تَفَرَّدَ بِالْكَمَالِ وَلَمْ يَكُنْ لِكَمَالِهِ فِي السَّالِفِينَ مِثَالُ
هَتَفَتْ بِدَوْلَتِهِ الطُّيُورُ وَبُشِّرَتْ بِسُعودِهِ الصُّلَحَاءُ^(٤) وَالْأَبْدَالُ
كُرِّمَتْ عَنَاصِرُهُ وَطَابَ نِجَارُهُ^(٥) وَزَكَتْ لَهُ الْأَعْمَالُ وَالْأَحْوَالُ
ذُو هَيْبَةٍ مَلَأَتْ^(٦) ٩ قُلُوبَ عُدَاتِهِ^(٧) فَعَرَاهُمُ دُونَ الْأَنَامِ سَفَالُ^(٨)
دَانَتْ لَهُ الْأَنَامُ^(٩) طَرًّا مِثْلَمَا دَانَتْ لِلْيَثْرِ الْغَابَةِ الْأَشْبَالُ
خَضَعَتْ لِسَطَوَتِهِ الْمُلُوكُ وَسَلَّمَتْ لِحِلَالِهِ الْأَمْرَاءُ وَالْأَقْبَالُ^(١٠)

١ هذه القصيدة من بحر الكامل، صحيحة العروض مقطوعة الضرب .

٢ الوابل، والهطال: صفتان لـ «زمن الربيع»، و «الهطال» نعت مقطوع .

٣ أزاهر: صرف لضرورة الوزن .

٤ في ب: «الصلاح» .

٥ النجار - بكسر النون وضمها - الأصل والحب .

٦ فاعل «ملأت» ضمير يعود على «هبة» .

٧ العداة: مفردة العادي، وهو المعتدي .

٨ السفال: نقبض العلو، والسفالة: النذالة والخساسة، و «الانام» في البيت بقصر الهجزة .

٩ دانت له: مدينة له، و «الانام» بمد الهجزة .

١٠ الاقبال: مفردة قبل - بكسر القاف وفتحها - الرئيس، والأصل فيه هو الملك من ملوك حمير سمي بذلك لأنه إذا قال قولا نفذه ووفى به .

فَاقٌ^(١) الْمُلُوكَ الْغَالِبِينَ نَدَى كَمَا
 غَبَثُ إِذَا مَا جِثَّةُ مُسْتَرْفِداً
 تَاهَتْ بِهِ أَرْضُ الْجَزَائِرِ، وَاعْتَدَتْ
 يَا مَلِكاً فَاقَ الْمُلُوكَ بِأَسْرِهِمْ^(٢)
 وَسَمِيدَعاً^(٣) وَرِثَ السِّيَادَةِ وَالنَّدَى
 ٤٨ - أ أَظْهَرْتَ رَسْمَ الْعَدْلِ فَاتَّضَعَ الْهُدَى
 خُذَهَا إِلَيْكَ عَقِيلَةً أَهْدَيْتُهَا
 فَاقْتَضَتْهَا بِكُراً بَدَتْ مِنْ خِرْزَمَا
 دُمٌ فِي الْإِمَارَةِ ظَافِراً وَمُظْفَراً
 سَارَتْ بِصِدْقِ عَزْمِهِ الْأَمْثَالُ
 وَأَفَاكَ مِنْهُ بِشَاشَةً وَنَوَالُ
 زَهْواً بِهِ عَنْ غَيْرِهَا تَخْتَالُ
 فَلَهُ عَلَيْهِمْ رِفْعَةً وَكَمَالَ
 فَالِيهِ صَارَ الْجُودُ وَالْإِفْضَالُ
 وَصَلَحَتْ فَانْصَلَحَتْ بِكَ الْعُمَالُ^(٤)
 وَعَلَيْهَا مِنْ حُسْنِ الْبَدِيعِ جَمَالُ^(٥)
 فَنِكَاحُ أَبْكَارِ الْقَرِيبِ حَلَالُ
 وَلِذَا لَكَ التَّعْظِيمُ وَالْإِجْلَالُ

وهناؤه التحرير الظريف، أبو عبد الله محمد البونصي الشريف - وهو
 رجل مليء حياء، وقني^(١) استحياء، وطود سبل ووقار، وروضة يانعة
 الأزهار، وسمت صفحات المهارق^(٢) غرره، وانتظمت بلبات المغارب
 والمشارق درره، ان نطق رأيت البيان متسرّبا من لسانه، والاحسان منتسباً
 لاحسانه، حوى العلوم وحازها، وتحقق حقائق العرب ومجازها، وروى
 قصائدها وأرجازها، وعلم اطاليتها وإيجازها وهو في الطب موافق العلاج،

١ فاق: في ب: «ظهر» .

٢ في ب: «أسرها» .

٣ السبيدع: ج سمدع، وهو السبد الكريم، والشريف الشجاع، ويطلق أيضاً على السيف الحاد .

٤ العمال: البايات والاغوات، ومن يمت إلى حاشية محمد بكداش .

٥ الشطر الثاني من البيت مختل الوزن .

٦ قني .. استحياء: يقال قني الرجل الحياء إذا ألزمه .

٧ المهارق: مفردة مهرق، وهو كل ما يكتب عليه من جلد وغيره ...

واضح المنهاج، وله نظم تزهو به نحرور الكعاب، ويستسهل - لدى سماعه - سلوك الصعاب، بقصيدة ان استجلبتها استحليتها، وان مقلتها^(١)، نقلتها، وهي هذه^(٢) :

بِشَارَةِ خَيْرٍ قَدْ أَتَتْ عَقِبَ الْمَسَا
بِفَرَقْدٍ سَعْدٍ فِي السَّعَادَةِ قَدْ رَسَا / ا - ٤٩
فَهَبْ نَسِيمُ السَّعْدِ حِينَ شُرُوقِهِ
وَمِنْ حُسْنِهِ أَنْ جَاءَ ذَا الْحَيِّ قَدْ كَسَا
وَقَدْ ضَحِكْتَ أَزْهَارُ رَوْضَةٍ حِينَا
تَأَرْجُهَا^(٣) يَشْفِي الْقُلُوبَ مِنَ الْأَسَى^(٤)
رَبَّتْ أَرْضُنَا حَتَّى اضْمَحَلَّتْ كِلَامُهَا^(٥)
/ فَكَمْ مِنْ أَقْحَرٍ / أَنْبَتَهَا وَنَرَجِسًا
وَبُلْبُلُ رَوْضٍ لَا يَتَهَاجُ مُسَجِّعٌ^(٦)
عَلَى دَوْحَةٍ مِنْ بَانِهِ^(٧) مَتَطَوَّسًا^(٨)

١ مقلتها: أبصرتها بمقلة عينيك .

٢ القصيدة من بحر الطويل، المقبوض العروض والضرب .

٣ تأرج الشيء: فاحت منه رائحة طيبة، فهو أرج .

٤ الأسى: الحزن .

٥ الكلام: مفردة كلم - بفتح ثم سكون - وهو الجرح، ويجمع - أيضاً - على كلوم، فهو كلیم ومكلوم .

٦ التسجيع: مد الصوت، وتزديده .

٧ البان: نوع من الأشجار يشبه به القندود المعتدلة، والضمير فيه يعود على روض .

٨ متطوَّسًا: متشكلاً بشكل الطاووس .

عَلَانَا ابْتِهَاجٌ مِنْ سُرُورٍ بَدَا لَنَا
 كَأَنَّا لَبِسْنَا بِالْمَسَرَّاتِ سُنْدُسًا^(١)
 فَلَنَا - وَأَيْمُ اللَّهِ - كُلُّ مَسْرَّةٍ
 بِصُبْحٍ سَعِيدٍ بِالْهَنَاءِ تَنْفَسًا
 وَنَادَى لِسَانُ الْحَالِ : أَهْلَ «جَزَائِرِ»
 هِنِيئًا لَكُمْ طَيُّبُوا بِذَا السَّعْدِ أَنْفُسًا
 أَيَا طَالِعِ الْإِسْعَادِ يَوْمَ عَرُوبَةٍ^(٢)
 وَدَادُكَ أَلْقَى فِي الْقَوَادِ تَانُسًا
 وَيَا يُوسُفُ^(٣) إِنِّي لَيَعْقُوبُ عَصْرِنَا
 وَقَدْ فَنَدُونِي^(٤) فِي هَوَاكَ وَفِي الْأَسَا^(٥)
 لَقَدْ كَانَ مِنْ عَهْدِ الصَّبَاءِ^(٦) وَدَادُنَا
 تَبَوَّاتُ^(٧) مِنْ صَدْرِي الْحَشَاشَةُ^(٨) مَجْلِسًا
 نَفَيْتَ بَأْنِي لَسْتَ أَنْتَ بِخَاطِرِي
 فَحَاشَا وَمَا ظَنُّي مَقَالُكَ مِنْ جَسَا^(٩)

- ١ السندس : نوع من الديباج ، أو نسيج الحرير ، والكلمة فارسية الأصل .
- ٢ يوم العروبة : - بمنح العين - : يوم الجمعة ، وقد وافق هذا اليوم منسلخ ذي القعدة الحرام من سنة ١١١٨ هـ (الموافق لشهر مارس من سنة ١٧٠٧ م) ، وهو اليوم الذي نزل فيه محمد بكداش دابا على الجزائر
- ٣ يوسف : بالتنوين لضرورة الوزن .
- ٤ فندوني : خطاؤني .
- ٥ في ب : «وقد فندوني من هواك ولأساء» .
- ٦ الصباء : لغة في «الصبا» ، وهو الصغر .
- ٧ تبوات : سكنت .
- ٨ الحشاشة : - بالنصب - مفعول به ، وهي بقية الروح في المريض .
- ٩ جسا : لغة في «جساء» ، بمعنى صلب ، ونحجر ، وأعرض ، والمراد به - هنا - المعنى الأخير

نَأَيْتَ فَنَاءَتَ مِنْ نَوَاكَ مَسَرَّتِي
 وَجِسْمِي كَسَاهُ الْوَجْدُ بَعْدَكَ أُبُوسَا / i - ٥٠
 أَيْتَ فَأَلْفَيْتَ الْعِدَا بِتَرَاْفَةٍ
 فَجَرَّعْتَهُمْ سُمًّا الْأَرَاْقِمِ أَكُوسَا
 وَأَزْحَحْتَ عَنْ قَلْبِي سَقَامًا أَصَابَهُ
 وَعَادَ لَهُ ثَوْبُ التَّعْمِ مَلْبَسَا
 فَلَمَّا حَوَانَا عَرْشُ مَجْدٍ حَلَلْتَهُ
 وَأَحْسَنَ مَثَوَانَا الْإِلَهَ تَقَدَّسَا
 تَنَفَّسْتَ الصَّعْدَاءُ^(١) قَوْمٌ أَذَلَّهُمْ
 بِقَهْرِهِ ذُو الْبَطْشِ الشَّدِيدِ وَأَبْلَسَا^(٢)
 فَقُلْنَا لَهُمْ : «مُوتُوا» - كَمَا قَالَ رَبُّنَا -
 بِغِيْظِكُمْ، فَالْفَضْلُ عَنَّا تَبَجَّسَا
 فَلَا زَلَّتْ تَسْمُو وَالزَّمَانُ مُسَاعِدُ
 وَنَجْمُكَ مِنْ سَعْدِ السُّعُودِ تَأَسَّسَا
 أَبَا صَائِلًا فِي الْمَلَحَمَاتِ غَضَنْفَرًا^(٣)
 فَمَا أَسَدُ يَلْقَاكَ إِلَّا تَبَرَّسَا^(٤)

١ الصعداء :- بفتح الصاد وسكون العين - المشقة، والتعب، ولعله يريد «الصعداء» - بضم الصاد وفتح

العين - وهو التنفس الطويل من اراحة هم أو تعب .

٢ ابلس: قل خيره، وكثر شره، والضمير في «ابلس» يعود على ذي «البطش الشديد» .

٣ غضنفرًا: أسداً .

٤ تبرسا: مشى مشية الكلب

لَكَ النَّصْرُ وَالتَّائِيدُ وَالْعِزُّ وَالْعُلَا
وَكُلُّ شُجَاعٍ إِنْ رَأَى تَأْوِسًا ١
لِيَخْشَاكَ كِثْرَى فِي الْمُلُوكِ وَقَبْصَرُ
وَتَعْلُوهُمَا بَعْدَ الْجَلَالِ ٢ تَبْعُنَا ٣
وَمُنْذُ حَلَلْتَ الْمُلْكَ زَالَ عَنَاوُنَا
فَلَمْ نَشْكُ - مَا دُمْتَ - الْكَابَةِ وَالْأَسَى
أَيَا طَيْبَ الْأَعْرَاقِ نِلْتَ عَرِيكَةً
وَيَا قَمَرًا إِنْ جَنَّ لَيْلٌ وَعَسَفَا
وَيَا سَيِّدَ الشُّجْعَانِ لَيْتَ أَجَامِهِمْ
وَيَا مَنْ يَتْرُسُ الْمَجْدِ حَقًّا تَتْرُسًا /
سَطَوْتَ عَلَى الْأَعْدَاءِ سَطَوَةَ قَسُورٍ
وَلَمْ تَخْشَ مِنْ رَبِّ الزَّمَانِ تَعْبَا
تَاهَلْتَ لِلْمُلْكِ الَّذِي عَزَّ قُدْرُهُ
جَلَيْتَ ٤ بِإِشْرَاقِ الشَّرِيعَةِ طِرْمَسًا ٥
فَأَشْرَقَ نُورُ الْحَقِّ بَعْدَ خَفَائِهِ
وَقَدْ خَابَ ٦ مَنْ زَاغَ الْهُدَى وَتَنَكَّسَا

١ تأوَسًا: هكذا في النسختين. ولعله «توسا» .

٢ الجلال: في ب: «انجلال» .

٣ تبعنا: هكذا في النسختين. ولعلها من تبعس الرجل إذا ذلَّ بخدمة أو بغيرها

٤ هكذا في النسختين. بمعنى «جلوت» بالو. .

٥ الطرمس: الظلمة الشديدة .

٦ في ب: «خاء» .

فَإِنْ قِيلَ أَحْيَا الشَّرْعَ مَنْ كَانَ قَبْلَهُ
فَقُلْ ذَلِكَ فَجَرُّ قَبْلِ شَمْسٍ تَقَبَّسًا / (١)
فَذَا شَمْسٌ إِكْلِيلِ الْمُلُوكِ بِأَسْرِهِمْ
وَمِنْ عَهْدِ سَامٍ لَمْ تَفْقَهُ وَمَا عَسَى (٢)
فَإِنْ لَأَمَنِي فِيهِ الْوَشَاةُ أَجَبَتْهُمْ
أَلَا إِنَّكُمْ فِي هَفْوةٍ مِنْ دُجَى غَسَا (٣)
وَلَوْ أَنَّهُمْ يَدْرُونَ - تَاللَّهِ - مَجْدَهُ
لَعَمَّرَ كُلُّ بِالْمَادِحِ أَطْرُسًا
عَلَى أَنَّهُ طَوْدُ الْحُرُوبِ نَهَابُهُ
أَسُودَ إِذَا مَا الْحَرْبُ حُمَّ وَأَوْطَسَا (٤)
وَدُو حُظُوةٍ مِنْ قَبْلِ ذَا وَمَكَانَةٍ
غَضَنْفَرٌ غِيلٍ (٥) فِي الْأَنَامِ تَانَسَا
تَدْرَعُ حِلْمًا وَارْتَدَى بِجَلَالِهِ
وَفِي كَنَفِ الْإِلْطَافِ لَا زَالَ مَحْرَسَا
أَدِيبٌ أَرِيبٌ ذُو حَيَاءٍ وَعِفَّةٍ
سَخِيٌّ كَرِيمٌ الطَّبَعِ وَدَقٌّ تَبَجَّسَا (٦)

١ تقبسا: أضاء .

٢ أي: وما عسى الملوك أن تفقه .

٣ غسا: اشتدت ظلمته والمراد به - هنا - الليل .

٤ أوطس: اشتدت وتلاحمت فيها الأبطال. وقد ذكر الحرب مع أنها مؤنثة .

٥ الغضنفر: الأسد، والغيل: الأجمة التي تسكنها الأسود .

٦ ودق تبجس: مطر هطل .

تَوَافِيكَ - مُذْ تَلْقَاهُ مِنْهُ - بِشَاشَةٍ
 / وَطَلَّقَ مُحِبَّاهُ الْعَجِيبُ تَائِسًا
 فَمَحْمُودَةٌ^(١) أَوْصَافُهُ وَمُحَمَّدُ
 لَهُ عِلْمٌ مِنْهُ الْجِنَاسُ تَجَنُّسًا
 حَبِيٍّ بَهِيٍّ الْوَجْتَيْنِ تَخَالُهُ
 هِلَالًا إِذَا جَنَّ الظَّلَامُ وَغَلَّ
 أَطَالَ إِلَهُ الْعَرْشِ مُدَّتُهُ الَّتِي
 تُؤْنَسُ مِسْكِينًا وَتَرْحَمُ آيسًا^(٢)
 وَإِنِّي لِأَرْضَى أَنْ تُمَدَّ حَيَاتُهُ
 بِبِضْعِ حَيَاتِي مَا أَنَا مُتَطِيلَسًا^(٣)
 وَمَنْ لَامَنِي فِي مَذْحِنَا لِأَمِيرِنَا
 فَأَرْقَمُ أَعْمَى فِي لِسَانِهِ قَدْ لَسَا^(٤)
 فَدُونَكُهَا^(٥) عَذْرَاءُ بَكَرًا تَخَالُهَا
 عَلَيْهَا دِيْبَاجُ الْحُسْنِ خَزَا مُورَسًا
 وَتُمْ صَلَاةُ اللَّهِ بَعْدَ سَلَامِهِ
 عَلَى الْمُصْطَفَى مَا جَنَّ لَيْلٌ وَحَنْدَسًا^(٦)

١ في جميع النسخ: «محمودة» وزيادة الفاء من قلنا ليستقيم الوزن .

٢ في ب: «موماء» .

٣ متطيلسا: لابسا الطيلسان، وهو كساء أخضر يلبسه الخواص من المشايخ والعلماء، لا سيما الأعاجم .

٤ الارقم: أحببت الحيات، و «لسا»: أكل أكلاً خفيفاً، والمراد بالأكل - هنا - اللع .

٥ في ب: «فهاكها عذراء بنت بكر تخالها» .

٦ حندس: اظلم .

وَأَصْحَابِهِ وَآلَاكِ طَرًّا يَنَالُهُمْ
مِنْ اللَّهِ رِضْوَانٌ صَبَاحاً وَفِي مَسَاءٍ

ومنها الشريف الأصلي، ابراهيم القنيلي. وهو رجل حصيف العقل
صحيح النقل، راجع الحلم، راسخ العلم، تام الادراك نافذ الفهم، مصون
الظن عن ملابسة الوهم، إذا حبر الرسائل، وأجرى دمع الحبر السائل،
أو نظر المسائل، وأجاب بمطلوبه السائل، فالحداثق فتحت أزاهرها / ، i - ٥٣
والزواخر^(١) أوفدت على شاطئها جواهرها، وإذا نظم القريض، ونزه عن
الزحاف الاعاريض، فالماء القراح، والاري^(٢) المنشور والراح ، والانس
الذي نتيجته الافراح ، والمعهد الذي طاب منه المغدى والمراح، والقلائد
التي تطابق فيها المعنى الصحيح واللفظ الصراح، وله منظومات معجبة
في فنون العلم أحكمها، وأبرز في صون تأليف محكمها، وكانت له قوة
في الالغاز والاحاجي^(٣) ، يستطيع بها النفوذ ممن يحاجي^(٤) ، ويرفع بها
الاشكال عن يغالط في سبيل النباهة ويداجي^(٥) . ويعتقد فيه الاستقصار
لنظر المناجي، وكان كثيراً ما يخاطب بها صاحب الاود^(٦) ، وخلاصة
الاجد^(٧) ، أمير المؤمنين بالدار السلطانية ووقعت بينهما في هذا الفن

-
- ١ الزواخر: البحور .
 - ٢ الأري: العسل .
 - ٣ الأحاجي: مفردة احجية، وهو الكلام المغلق .
 - ٤ يحاجي: يغالبه في الحجى، أي: في العقل والفطنة .
 - ٥ يداجي: يداري، ويخفي مراده .
 - ٦ الأود:- بفتح الهزة والواو - : الكد والتعب، والحمل الثقيل، ويراد به - هنا - حمل الرئاسة، وصاحب الأود. هو محمد بكداش .
 - ٧ الاجد:- بضم أوله - القوة والعزيمة .

طرق تستلمح، فتستلقح. وتحف تستقبل، فتستبل، وأعاجيب تستلحظ،
 ا - هـ فتستحفظ. وهذا نظمه الرائق، الذي أزهرت من معانيه الحداثق^(١) : /

أَحْمَدُ اللَّهِ فِي ابْتِدَاءِ نِظَامِي مَادِحاً لِلْأَمِيرِ فَخْرِ الزَّمَانِ
 وَصَلَاةُ الْإِلَهِ ثُمَّ سَلَامٌ لِمُحَمَّدٍ صَاحِبِ الْإِحْسَانِ^(٢)
 وَعَلَى آلِهِ وَأَصْحَابِهِ مَا دَامَ فِي الْأَفْقِ يَطْلُعُ الْقَمَرَانِ
 طَابَ شَرْبُ الْمُدَامِ فِي الْبُسْتَانِ بَيْنَ رَوْضٍ وَجَدُولٍ وَأَغَانِ
 وَأَقْحاحٍ يَبْدُو بِشَفْرِ نَضِيدِ قَدْ حَكَى جَوْهَرًا بِجِيدِ الْحِسَانِ
 وَخُرَامَى وَنَرْجِسٍ وَوُرُودٍ أَيْضُ سَاطِعٍ وَأَحْمَرُ قَانِ
 فَاحَ نَشْرُ الرِّيَاضِ مِسْكَاً فَتِيقاً عَنبراً طَيِّباً فَأَحْيَا جَنَانِي
 أَنَساً بِالْهَزَارِ يَشْدُو بِشَعْرِ رَائِقٍ مُتَقِنٍ عَلَى الْأَلْحَانِ
 بَلْبَلٌ مُطْرَبٌ يُجِيبُ غِنَاهُ بِلَذِيذِ الْغِنَاءِ طَابَ لِغَانِ^(٣)
 فَانْتَشَى الْغُصْنُ فِي الرِّيَاضِ غِرَاساً مِنْ نَسِيمِ شَذَاهُ فِي الْأَكْوَانِ
 قَدْ كَسَا سُنْدُساً وَقَلَّدَ دُرّاً جِيدَهُ الطَّلُّ زَاهِرَ الْأُرْدَانِ
 شِمٌ^(٤) نَرِ نَرْجِساً رَنَا بِلِحَاطِ مِثْلَ خَدِّ الشَّقِيقِ وَالسُّوسَانِ
 فَهَوَ مِنْ شَوْقِهِ إِلَيْهِمْ نَرَاهُ سَائِلاً دَمْعُهُ طُولَ الْأَحْيَانِ^(٥)
 إِنْ تَسَلَّ عَنْ سَحَابٍ نَدٍّ وَعُودٍ^(٦) قَدْ زَجَى فَوْقَنَا بِأَحْلَى مَكَانِ
 لَوْلَوْ طَلُّهُ وَأَطِيبُ مَاءِ مِنْ وَرُودِ الرِّيَاضِ لِلْإِنْسَانِ

ا - هـ .

١ القصيدة من بحر الخفيف الصحيح العروض والضرب .

٢ الشطر الثاني من البيت دخله التشبيث .

٣ الغاني : من استغنى بالمال ، وهو الغني .

٤ شِم : من شام يشم ، أي : نظر ، وفي الشطر الأول من البيت اختلال في الوزن .

٥ في ب : « من الأجفان » .

٦ « الند » و « العود » ضربان من الطيب يتبخر بهما ، و « السحاب » : الدخان المتولد عنهما عند التبخير .

وَنَدِيمٌ يَشْدُو بِشِعْرِ رَفِيقِ
 نَحْنُ فِي رَوْضَةِ أَدْرَنَّا كُؤُوساً
 نِعْمَةٌ لَوْ تَبَاعُ كَانَ قَلِيلاً
 خَمَرْنَا لَفُظْنَا بِأَحْلَى حَدِيثِ
 اسْمُهُ مُحَمَّدٌ «بَكَدَاش» لُقَّبُ^(١)
 الْإِمَامُ الْهُمَامُ مَنْ فَاضَ بَحْراً
 جَاهِدُ فَاضِلٌ نَسِيبُ شَرِيفِ
 ذُو حَيَاءٍ وَعِفَّةٍ وَسَخَاءِ
 لَوْ تَرَاهُ وَقَدْ بَدَأَ كَقَضِيبِ
 قَدْ بَدَأَ فَوْقَهُ مُحْيَاةً بَدْرًا
 قَدْ هَدَى فَاهْتَدَى لِأَقْوَامِ رُشْدِ
 مَنْ نَدَاهُ عَلَى الْأَنَامِ كَقَطْرِ
 شَمْسٍ عِرْقَانِهِ أُنَارَتْ قُلُوباً
 فَاهْتَدَى مَنْ هَدَاهُ رَبِّي صِرَاطاً
 أَمْ بَابَ الْوَلِيِّ «بَكَدَاش» يُدْعَى
 قَدْ بَدَأَ فِي الْعُيُونِ أَنْهَى جَمَالَ
 هُوَ شَمْسُ الْهُدَى أُنَارَتْ بِشَرْقِ

فَوْقَ رَوْضِ بَرْنَةِ الْعِيدَانِ
 مِنْ مَدَامِ الْهَوَى مَعَ الْإِخْوَانِ
 حَقُّهَا فِي الْوُجُودِ لِلْأَعْيَانِ
 فِي مَدِيحِ الْأَمِيرِ قُطْبِ الزَّمَانِ
 مَعْدِنُ الْفَضْلِ زَائِدُ الْعِرْفَانِ
 مِنْ عُلُومِ الْحَدِيثِ وَالْقُرْآنِ
 أَجْهَدُ الْجَاهِدِينَ لِلْوَهْرَانِ^(٢)
 وَوَفَاءٍ وَصِدْقٍ نُطْقِ مَسَانِ
 عَمَّهُ الْحُسْنُ عَاطِرُ الْأُرْدَانِ / i - ٥٦
 نَبْرًا مُشْرِقًا عَلَى الْأَكْوَانِ
 وَهُوَ فَرْدُ الزَّمَانِ وَالْأَقْرَانِ
 سَحَّ مِنْ كَفِّهِ عَلَى الْأَزْمَانِ
 بَعْدَ إِظْلَامِهَا مِنَ الْعِصْبَانِ
 فِيهِ قَدْ قَادَهُ لِأَعْلَى الْجَنَانِ
 نُورُهُ قَدْ بَدَأَ بِأَفْقِ بِمَانِ^(٣)
 وَجَلَالِ فَكَمَ لَهُ مِنْ شَانِ
 ثُمَّ فِي الْغَرْبِ قَدْ سَرَى مَذْزَمَانِ

١ الشطر الأول من البيت مختل الوزن .
 ٢ المجاهد: من يسهر الليالي من أجل عبادة الله، ويطلق أيضاً على المجاهد لاعتلاء كلمة الله . والوهراني :
 هو سيدي محمد الهواري دفن في وهران والمتوفى بها سنة ٨٤٣ هـ / ١٤٣٩ م ، (محمد بن مريم ، البستان ،
 في ذكر الأولياء والعلماء بتلمسان ، الجزائر : المطبعة الثعالبية ، ١٩٠٨ م ، ص : ٢٢٨ - ٢٣٦) .
 ٣ بمانى : نسبة إلى اليمن ، لأن في القديم كان اليمن منبع الحكمة والعرفان ، وفي ب : «بالأفق بمان» .

وَأَجِبْ مَذْحُهُ عَلَى النَّاسِ طَرًّا
فَاقَ كُلَّ الْأَنْسَامِ حِسًّا وَحُسْنًا
إِنْ بَدَأَ وَجْهَهُ يُنِيرُ ضِيَاءً
أَوْ بَدَأَ فِي الظُّلَامِ عَادَ كَيَوْمٍ
قَدْ حَمَى قَلْبَهُ وَطَرَفَا حَوَاهُ
قَدْ حَبَاهُ الْإِلَهِ أَعْلَى مُنَاهُ
هِمَّةٌ قَدْ سَمَتْ لِأَعْلَى مَقَامٍ
عَالِمٌ فَاضِلٌ يُرْوِقُكَ مِنْهُ
فِي عُلُومِ الْجَمِيلِ^(١) يُنَبِّئُكَ^(٢) دَأْبًا^(٣)
يَقْطَعُ اللَّيْلَ ذَاكِرًا وَرُكُوعًا
فَيُضِرُّ جُودَ الْإِلَهِ يَغْشَاهُ دَأْبًا
رَحْمَةً لِلْأَنْسَامِ عَمَّتْ وَجَلَّتْ
أَنْتَ أَخْلَى مِنَ الْحَيَاةِ لِجِسْمِي
ثُمَّ أَخْلَى مِنَ النَّعِيمِ مَقَامًا
فُقْتُ مَاءً مَعَ النَّسِيمِ بِظِلِّ
كُلِّ يَوْمٍ أَرَاكَ تُبْدِي جَمَالًا

عَمَّهُمْ بِشْرُهُ مَعَ الْإِحْسَانِ
وَكَمَالًا فَيَالَهُ مِنْ شَانٍ !
قُلْتُ: بَدْرٌ عَلَى قِيَامِ الْبَانَ^(١)
أَشْرَقَتْ شَمْسُهُ عَلَى الْأَكْوَانِ /
عَنْ نَعِيمٍ يَزُولُ أَوْ فِي الْجَنَانِ
إِذْ بَرَى عَبْدَهُ فَتَالَ الْأَمَانِي
كَمْ ثَنَى دُونَهُ عِنَانِ حِصَانِ
إِنْ بَدَأَ لَفْظُهُ رَقِيقَ الْمَعَانِي
كَمْ جَلَا مُشْكِلاً بِأَخْلَى بَيَانِ
يَدْعُو رَبًّا حَبَاهُ بِالْقُرْآنِ
وَسُرُورٍ مُضَاعَفٍ هُوَ ثَانِ
كَمْ جَلَتْ ظُلْمَةٌ مِنَ الْعِصْبَانِ
وَوِصَالٍ لِعَاشِقٍ مُتَفَانِ
فِي رِيَاضِ الْجَنَانِ مَعَ وَلَدَانِ
وَسَطَ رَوْضٍ لِسَائِرِ ظِمَانِ
وَكَلَامًا يَطِيبُ لِلْأَذَانِ /

- ١ البان: شجر معتدل القوام .
- ٢ لعله يريد علوم القرآن، من تفسير وقراءات، أو يريد به الجميل، النبي ﷺ، وعلومه أحاديثه المروية، وأفعاله المتبعة والله أعلم بحقيقة المراد .
- ٣ ينبئك: بالجزم لوقوعه جواباً لأن الشرطية في البيت الذي قبله .
- ٤ دأباً: دائماً باستمرار .

يَا إِمَامَ الْإِنَامِ هَلْ أَنْتَ تَذَرِي
 كَيْفَ يَحُلُّو لَطْرَفِ عَيْنِي مَنَامٌ
 مِثْلَ رَنْجِ أَبْكِي عَلَيْهِ انْتِحَاباً
 أَيُّهَا السَّيِّدُ الَّذِي قَدْ حَبَّاهُ
 هَلْ تَرَى مَنْ أَتَى لِبَابِكَ يَرْجُو
 دَعْوَةً قَدْ أَنَاخَ عِنْدَكَ فِيهَا
 مِنْ غَرَامِ أَلَمٍ فِيهِ بِشَوَقٍ
 أَنْتَ مَا شِئْتَنِي بِبَابِكَ يَوْمًا
 أَيُّهَا السَّيِّدُ الْجَلِيلُ رُويْدًا
 أَنْتَ نُورٌ وَرَحْمَةٌ وَسُرُورٌ
 إِنْ لِي حَاجَةٌ لَدَيْكَ زَمَانًا
 نَبْتَغِي قُرْبَكُمْ جَمِيعَ الزَّمَانِ
 مَا تَرَى مَا اعْتَرَى قُودِي وَجِسْمِي
 وَكِتَابِ وَلَوْعَةٍ وَغَرَامِ
 حَاشَا لِلَّهِ أَنْ تُخَيِّبَ عَبْدًا
 مِنْ غَرَامٍ لَوْ حَلَّ مِثْلُهُ طُودًا
 كَيْفَ يَحُلُّو لَهُ الْمَنَامُ بَلِيلُ

بَاكِتَابِ الْكَيْبِ وَالْحَبِيرَانِ
 وَقَلْبِي يَطِيرُ بِالْخَفَقَانِ
 بِدُمُوعِ تَفِيضٍ كَالْغُدْرَانِ
 رَبُّهُ بِالْهُدَى مَعَ الْإِحْسَانِ
 مِنْ نَوَالِ يَفِيضُ كَالطُّوفَانِ
 رَحْلُهُ قَلْبُهُ عَلَى النَّيْرَانِ
 زَائِدٍ وَجُدُهُ إِلَى الْأَوْطَانِ
 خَاضِعًا بَاكِيًا لِمَا قَدْ عَرَانِي
 كَيْفَ تَرْضَى إِيَّاي بِالْحِرْمَانِ
 صَاغَكَ اللَّهُ بُغْيَةَ الْإِنْسَانِ
 / كَمْ أَرَاهَا^(١) / تَذُوبُ بِالنَّيْبَانِ
 لِنَرَى وَدَّكُمْ وَيُجَلِّي كَمَانِي /^(٢) i - ٥٩
 مِنْ خُمُولٍ وَأَعْظَمَ الْأَشْجَانِ
 طَارَ قَلْبِي بِهَا إِلَى الْأَذْهَانِ^(٣)
 خَاضِعًا بَاكِيًا عَلَى الْإِخْوَانِ
 دُكَّ ذَا الطُّودِ - سَيْدِي - بَعِيَانِ
 يَرْعَى فِيهِ النَّجْمُ^(٤) فِي النَّيْرَانِ

١ - كَمْ أَرَاهَا: ساقط من ب .

٢ - الكمان: اللسكة التي يحرث بها الأرض، وجلاء الكمان كتابة عن الغنى .

٣ - في ب: وبه إلى الأوان .

٤ - في ب: والنجوم .

لَوْ تَرَانِي عَلَى الْفِرَاشِ عَلِيلاً
إِي ! وَحَقُّ الْإِلَهِ مَا لَكَ مِنِّي
كَيْفَ يَخْفَى عَلَيْكَ أَمْرِي وَحَالِي
عَادَ شِعْرِي بِمَا مَدَحْتُكَ دُرّاً
طَابَ لَفْظاً إِلَى الْقُلُوبِ كَمَاءٌ
كَيْفَ لَا سَيِّدِي وَمَدَحُكَ^(١) يَحُلُو
وَلَهُ أَيْضاً^(٢) : /

لَكَ الْحَمْدُ يَا مَنْ أَدْخَلَ الْأَمْرَاءَ فِي
قَبَابٍ مُخَدَّرَاتٍ^(٣) فِيهَا نَصِيبُ
وَعَاطِرَةِ الْأَنْفَاسِ أَمَّا قِيَامُهَا
فَقُصْنٌ وَأَمَّا رِدْفُهَا فَكَيْبُ^(٤)
مُورَدَةِ الْخَدَّيْنِ كَالْبَدْرِ وَجْهَهَا
بَدَا تَحْتَ لَيْلٍ مَا أَرَاهُ يَغِيبُ
أَدْرُ - بِفِيهَا مَا أَرَاهُ - مُنْضَدُّ^(٥)
حَوَاهُ عَقِيقُ الْمُرْشَفَيْنِ شَنِيبُ^(٥)

١ في ب : « بمدحك » .

٢ القصيدة من البحر الطويل المقبوض العروض المخلوف الضرب .

٣ حذف التنوين من « مخدرات » ليقيم الوزن .

٤ الردف : - بكسر الراء - آخر كل شيء ، ويراد به - هنا - عجز المتغزل بها . الكتيب : التل من الرمل .

٥ العقيق : خرز أحمر ، ويراد به - هنا - اللحم الماسك للأسنان ، الشنب : شدة بياض الأسنان .

حَلَّتْ وَتَحَلَّتْ بِالْجَمَالِ عُقُودُهَا
 إِذَا مَا رَأَتْ بِالْمُقَلَّتَيْنِ نُصِيبُ^(١)
 رَنْتَ وَانْتَشْتَ كَالْغُصْنِ (عِنْدَ مَيُولِهِ)^(٢)
 عَدَتْ وَاعْتَدَتْ ذَاتَ الْجَمَالِ رَيْبُ
 لَهَا مُقْلَةٌ حَوْرَاءُ حِرْتُ بِوصفِهَا
 عَلَى وَجْنَةٍ فِيهَا الشَّقِيقُ خَصِيبُ^(٣)
 وَنُونَانٍ فَوْقَ الْمُقَلَّتَيْنِ تَقُوسًا
 عَرَانِي غَرَامٌ مِنْهُمَا وَلَهِيْبُ
 وَغُرَّتُهَا الْغَرَاءُ غُرَّتْ بِنُورِهَا
 غَرِيْبًا غَدَاً فِي الْعُشُقِ كَادَ يَذُوبُ
 إِذَا مَا مَشَتْ تَخْتَالُ مِنْ فَرْطِ عُجْبِهَا
 بِقَامَتِهَا الْهَيْفَاءُ كَيْفَ أُتُوبُ / ؟
 ٦١ - ا
 تَعَاظَمَ وَجْدِي إِذْ بَدَا بِخُدُودِهَا
 نُضَارٌ عَلَى أَصْفَى اللَّجَيْنِ مَشُوبُ^(٤)
 سَمَائِلُهَا فِي الْعَقْلِ أُسْرَى مَدَامَةً
 شَذَى قَدْ حَوَى فُوهًا فَأَرْجَ طَيْبُ^(٥)

١ نصيب: تؤثر في من نظرت إليه فتصيبه بهم لحظها الفتاك .

٢ في ب: «رنت وانتشت الغصن إذ بدت» .

٣ حوراء: شديدة البياض والواد، الشقيق: ضرب من النبات شديد الحرارة، ويقال له أيضاً «شقائق النعمان» .

٤ النضار: الذهب الخالص، اللجين: الفضة والكلمة ملازمة للتصغير .

٥ اسرى مدامة: أسرع من سريان المدامة في العقل، والمدامة - بضم أوله -: الخمر، الشذا: قوة ذكاء الرائحة، الفوه: نوافح الطيب .

وَأَطِيبُ مِنْ ذَاكَ الَّذِي أَنَا ذَاكِرُ
 مَدِيحِي مَوْلَى لِلْأَنَامِ حَيْبُ
 إِمَامٍ جَلِيلٍ جَلَّ فِي الْخَلْقِ قَدْرُهُ
 كَرِيمٌ لَهُ فِي النَّائِبَاتِ أُنَيْبُ
 حَبِيبِي أَبُو الْفَتْحِ مُحَمَّدٌ فَضْلُهُ
 عَزِيزُ جَنَابٍ قَدْ حَوَاهُ رَحِيبُ
 عَلِيمٌ بِأَسْرَارِ الْقُلُوبِ مُنْبَأُ
 عَنِ الْغَيْبِ فِيمَا قَالَهُ فَيْصِيبُ
 يَحُلُّ رُمُوزَ الْمَشْكَلَاتِ بِسُرْعَةٍ
 بِأَيِّ عُلُومٍ إِنْ تَسَلَّهُ يُجِيبُ
 رَحِيمٌ رَوْفٌ فَاضِلٌ مُتَوَاضِعٌ
 سَخِيٌّ شُجَاعٌ لِلْقُلُوبِ طَيْبُ
 إِذَا جَاءَهُ الْمَلْهُوفُ عَادَ بِسُؤْلِهِ
 وَكَمْ فِي حِمَاهُ طَالِبٌ وَغَرِيبُ
 وَفِي وَجْهِهِ الْأَسْنَى الْكَرِيمِ مِنَ الْوَرَى
 سُرُورٌ وَنُورٌ لَا عَرَاهُ قَطُوبٌ ! (٧)
 يَسِيعُ نَدَاهُ كُلَّ يَوْمٍ بِرَاحَةٍ
 سَحَابٌ حَكَاهُ فِي الْوُجُودِ سَكُوبُ

تَعَطَّرَ الْأَرْجَاءُ مِنْ عَرَفِ نَشْرِهِ
وَعَمَّتْ عَلَى الْأَفَاقِ مِنْهُ هُبُوبُ /
نَهَارٌ بَدَأَ كَالشَّمْسِ يَنْطَعُ نُورُهُ
وَفِي اللَّيْلِ مِنْ بَدْرِ التَّمَامِ يَتُوبُ
تَرَى النَّاسَ سَرَعَى يَسْأَلُونَ بِجَاهِهِ
إِذَا نَالَهُمْ ضَيْمٌ وَزَادَ خُطُوبُ
حَوَى الْمَجْدَ عَنْ آبَائِهِ وَعَلَا بِهِ
وَلِيٌّ عَلَى ذِكْرِ الْإِلَهِ طُوبُ
فَكَمْ فِكَ مِنْ أَمْرِ تَعَاظَمَ شَأْنُهُ
«جَزَائِرُ» عِنْدَ الْأَوَّلِينَ صَعِيبُ
وَقَطَّرَ حَوَاهُ فَهُوَ لِلشَّمْلِ جَامِعُ
فَبَاهَى عَلَى كُلِّ الْبِلَادِ خَصِيبُ
لَهُ الْمَجْدُ فِي أَفْقِ السَّمَاءِ مَنَارُهُ
تَسَامَى عَلَى كُلِّ الْأَنَامِ حَسِيبُ
وَشِعْرِي بِهِ دُرٌّ تَلَالُ نُورُهُ
عَلَى جِيدِ ذَاتِ الْحُسْنِ ذَاكَ عَجِيبُ
نَبَسَرُ كَالْمَاءِ الزُّلَالِ لِسَائِفِ
وَكَمْ حَارَ فِيهِ شَاعِرٌ وَأَدِيبُ
وَذَاكَ بِحَمْدِ اللَّهِ مِنْهُ كَرَامَةٌ
تَحَقَّقَهَا صَاحِبِي فَلَسْتُ أَرِيبُ

وكاتبه - مادحاً، ومستعظفاً، برسالة، وقصيدة - أبو عبد الله محمد،
ابن محمد القالي - شفاه الله تعالى من مرضه المتوالي - يشكو له من
٦٣ - أ - الألم، وما أصابه من الدهر حين / كرّ عليه بخطوبه وألم، فجعل له أمير
المؤمنين خراجاً من سبل الخيرات، يعالج به داء النكبات، فجزاه الله
خيراً من أمير، يعرف قدر البائس الفقير، ونصّ الرسالة التي كاتبه بها
وأبدع في انشائها، وهي :

الحمد لله تعالى، والصلاة والسلام على سيدنا محمد كل منهما
يتوالى، وعلى آله ومن تبع ووالى، حمداً لله تعالى أجمل ما تزينت به
الطروس، وتجملت به الاسطار، وثناؤه جل جلاله أفضل ما لهجت^(١) به
النفوس، وعمرت به الأفكار، وهو القديم الذي لا تغيره الحوادث ولا
تلحقه الاغيار، ولا تحيط به العقول ولا تدركه الأبصار، فله الحمد
على ما ألهمنا إليه من علاء^(٢) شأنه وحمده، وله الشكر على ما أولانا من
سوابغ آلائه ورفده، حمداً وشكراً كما يجب بجلاله، وكما يحق لمجده
وكماله، وكما ينبغي لذاته العالية من التعظيم والاكبار، جلّ الله تعالى
٦٤ - أ - مالك الملك، ومقيم قسطاس العدل بما أراده من اغراس^(٣) السيادة في
الترك، ومطلع اقمارهم / السعيدة في آفاق المعالي، فأنجلت بهم غياهب
الظلم الحالك، عبرة لنوي البصائر ونزهة لأولي الأبصار، جمع - سبحانه
وتعالى - بهم كلمة الدين الحنيف، وأثرهم بهذا الملك الكبير وهذا الغر

١ في ب: ولجت .

٢ في ب: على .

٣ في ب: إعزاز .

المنيف، وشرفهم بما وهبهم من الرتب العالية وهم أهل للرفعة والتشريف،
 وخصهم بمكارم الأخلاق ونزاهة الأقدار، وجعلهم - بهذا القطر -
 رحمة للعباد، وأحمد بشوكتهم نار الفتنة والعناد، فسلكت بهم السبل
 وأمنت بهم البلاد، لطفاً منه - سبحانه - بهذه الاقطار. فنسأل الله
 - تعالى - وهو أفضل من دعي فأجاب، وأكرم من استيب فأتاب - ان
 يبقى جنابهم السعيد عالياً^(١) على كل جناب، وأن يخلد الملك فيهم
 على مرور الدهور وانقضاء الاعمار، وأفضل الصلاة والسلام على المبعوث
 رحمة للأنام - صلى الله عليه وعلى آله ما ترادفت الدهور وتعاقبت
 الاعصار - . /

وبعد: فإن الله تعالى منّ على المسلمين بسيدنا ومولانا سلطان الملوك
 والاكابر، المخصوص بأفضل الشمائل والمآثر، الإمام العادل، السلطان
 الفاضل، العالم العامل، صلاح الدنيا والدين، سلطان الإسلام والمسلمين،
 الذي اطلعه الله في سماء الجلالة بدرأ، ورفع له في درجات الأمراء قدراً.
 وأجرى له على السنة الخلق ثناء جميلاً وذكر، فأصبح الدين مبتهجاً
 بكريم دولته، وجناب الكفر مهتضماً في صولته. مولانا وسيدنا محمد
 خوجة^(٢) اللواتلي^(٣) أبقى الله تعالى أيامه، وأصبح النصر والتمكين
 الويته وأعلامه، وهو - نصره الله - أجل من استعين به فكان خير معين،

١ في ب: «عليه» .

٢ خوجة: كلمة تركية معناها: المسجل، أو الكاتب، أو الناسخ، أو المتعلم، أو المعلم الخاص .

٣ اللواتلي: ذو الجلالة، صاحب القوة والنفوذ، صاحب السعادة، وتطلق على رؤساء الأتراك وفوي الرتب العالية. والكلمة تركية .

وأعطي مفاتيح اليمن فتلقاها باليمن، وأفضل من امتثل قوله - صلى الله عليه وسلم: «مَنْ فَرَّجَ عَلَى أَخِيهِ الْمُؤْمِنِ كُرْبَةً مِنْ كُرْبِ الدُّنْيَا، فَرَّجَ اللَّهُ عَلَيْهِ كُرْبَةً مِنْ كُرْبِ الْآخِرَةِ»^٣ إلى غير ذلك من الأحاديث النبوية، والآيات القرآنية، حسبما أحاط به / علم مولانا - نصره الله - من مروي ومنقول، وهو - أيده الله - أفضل من في مدحه واستنجاهه أنشد وأقول^٤ :

دَامَ لَكَ الْعِزُّ وَالْبَقَاءُ	كَمَا لِأَعْدَائِكَ الْعَنَاءُ
وَلَمْ تَزَلْ فِي رَغِيدِ عَيْشٍ	يَخْدِمُكَ السَّعْدُ وَالْهَنَاءُ
لَوْ حَاتِمٌ ^٥ كَانَ حَبِيبًا	لَزَادَ مِنْهُ لَكَ الثَّنَاءُ
أَهْلُ السَّخَا ^٦ فِي الْوَرَى نُجُومٌ	وَأَنْتَ مِنْ قَوْقِهِمْ سَمَاءُ
سُلْطَانُ كُلِّ الْكِرَامِ جَمْعًا	فِي بَابِكَ الْخَيْرُ وَالْعَطَاءُ
وَلَا تَكَلَّفْتَ فِي عَطَاءٍ	فَكَانَ مِنْ طَبْعِكَ السَّخَاءُ
إِنْ قُلْتَ قَوْلًا فَعَلْتَ حَقًّا	فَكَانَ مِنْ شَأْنِكَ الْوَفَاءُ
وَمَنْ غَدَا فِي حِمَاكَ ضَيْفًا	لَهُ بِإِنْعَامِكَ الرِّضَاءُ
وَمَنْ أَتَى يَشْتَكِيكَ ضَيْمًا	وَأَنَّهُ حَقُّهُ الْعَنَاءُ

٣ جاء في صحيح مسلم: عن أبي هريرة رضي الله عنه عن النبي ﷺ: قال: «مَنْ نَفَسَ عَنْ مُؤْمِنٍ كُرْبَةً مِنْ كُرْبِ الدُّنْيَا نَفَسَ اللَّهُ عَنْهُ كُرْبَةً مِنْ كُرْبِ يَوْمِ الْقِيَامَةِ...» وخرج الطبراني من حديث كعب بن عجرة، عن النبي ﷺ قال: «... وَمَنْ فَرَّجَ عَنْ مُؤْمِنٍ كُرْبَةً فَرَّجَ اللَّهُ عَنْهُ كُرْبَةً». وجاء في الصحيحين من حديث ابن عمر عن النبي ﷺ قال: «... وَمَنْ فَرَّجَ عَنْ مُسْلِمٍ فَرَّجَ اللَّهُ عَنْهُ كُرْبَةً مِنْ كُرْبِ يَوْمِ الْقِيَامَةِ»، ولم أعر على رواية المصنف، من حيث اللفظ والصيغة، ولعلها محرفة.

٤ القصيدة من بحر البسيط المجزوء، المقطوع العروض والضرب.

٥ حاتم الجود: حاتم الطائي، الشاعر المشهور الذي ضرب المثل بسخاله وكرمه حتى قيل: «أجود من حاتم»، توفي حوالي ٦٠٥ م وله ديوان شعر مطبوع.

٦ السخا: حذفت همزة المد منه للوزن.

يَعُودُ بِالأَمْنِ فِي سُورٍ وَزَادَ مِنْهُ لَكَ الدَّعَاءُ
لَا زِلْتَ بِالْعِزِّ فِي نَعِيمٍ بِدَوْلَةٍ مَا لَهَا انْقِضَاءُ / ١ - ٦٧
وَلَمْ تَزَلْ فِي هَنَاءٍ بِشَرِّ مَا أَقْبَلَ الصُّبْحُ وَالْمَسَاءُ
بِخَاتِمِ الأنبياءِ طَه وَمَنْ لَهُ الْحَوْضُ وَاللَّوَاءُ

ومع هذا فولانا - أدام الله له الاسعاد، وبلغه في الدارين غاية
المراد - ، جدير بأن يقال فيه أعظم من هذا، ولكن شدة الآلام^(١) ، وسوء
آثارها^(٢) منغني من الانبساط في الكلام، على اني أقول من كبد معلول
شعرا^(٣) :

وَإِنِّي وَإِنْ بَالَفْتُ فِي الشُّكْرِ وَالثَّنَا
عَلَيْكَ مُقِرٌّ بِالْقُصُورِ وَبِالْعَجْزِ
وَلَكِنَّ رَبِّي - بِالذِّى قَدْ صَنَعْتُهُ
- يُجَازِيكَ عَنِّي فَهوَ أَكْرَمُ مَنْ يُجْزَى

اسأل الله الكريم^(٤) ، رب العرش العظيم ، أن يتولى مكافأة احسانك^(٥) ،
وأن يديم علي جزيل فضلك ، وجميل امتنانك ، انه ولي ذلك ، والقادر
عليه. جمع الله على التقوى أمركم ، وأعد للإسلام نصركم ، والسلام.
من العبد العليل ، الراجي لطف الله الجميل ، خديم مولانا العالي ، محمد

١ في ب: «الالم» .

٢ في ب: «آثاره» .

٣ البيتان من بحر الطويل المقبوض العروض الصحيح الضرب .

٤ في ب: «العظيم» .

٥ في ب: «مكافاة احسانه» .

٦٨ - أ ابن القالي، لطف الله به اللطف المتوالي، ولنا في مولانا هذان البيتان وهما^(١) : /

أَيَا قِبْلَةَ الْأَمَالِ يَا حَرَمَ النَّدَى
وَيَا كَعْبَةَ مَا خَابَ سَاعِ نَوَالِهَا
إِلَى بَيْتِكَ الْمَعْمُورِ قَدْ جِئْتُ قَاصِدًا
فَلَا بَرَحَتْ أَيْدِيكَ تُؤَلِّي نَوَالِهَا

وكاتبه أبو عبد الله محمد بن أحمد البوني، وقد أجبره السلطان على الفتياء^(٢). وكان في ذلك خيراً، وعزم على ما فيه العزم الذي لم يستطع معه في مخالفته صبراً، وكان ممن طلق الدنيا بتاتاً، وركن إلى الورع والزهد انقطاعاً بهجر هذا الزخرف المضمحل وانبثاتاً، فنقذ الأمر عليه من المستعين نصره الله - بمراجعة مطلقته المبتوتة، واستنشاق^(٣) أرج الحياة المشتهاة من أنواع طيبها المفتوتة، فاجتهد في امضاء الحكم الفصل، واجراء الفرع من القضايا الواقعة على الأصل، والاحراز في شأو العدالة المطلوبة للخصل، والتشهير في ميدان الجزالة من النص الصريح^(٤) للنثر. فبز القضية الجلة وقاراً، وأزرى بالشم الشوامخ احتقاراً، وأعلت به الخطة سمو مكانة، واسندت منه إلى طود جلال فلم تخضع لسواه باستكانة، وهو شئ قد وافق منها طبقة^(٥)، / ومجل في حلبة عزمها لم يلف فيه من سبقه، وله

-
- ١ البيتان من بحر الطويل المقبوض المروض والضرب .
 - ٢ في ب : «الفتياء بحذف همزة المد .
 - ٣ في ب : «انتشاق» .
 - ٤ النص الصريح ما لم يزول من نصوص الآيات والاحاديث .
 - ٥ الشن - بفتح الشين - : وعاء من جلد كان قد تشن، أي تقبض، فجعل له طبق، أي غطاء فوافقه.

شعر يضرب في الاجادة بسهم مصيب، ويفوز من الجزالة بحظ وافر ونصيب. وقدم في رسالته - فوق نظمه - أبياتاً، لكونها مستحسنات. وكان اطلاقها على مولانا - نصره الله - عين الانصاف، ولو قبلت في بعض الاسلاف. وهي^(١) :

دَامَتْ عَلَيْكَ سَوَائِغُ النِّعْمَاءِ وَتَزَايَدَتْ يَا سَيِّدَ الْأَمْرَاءِ
يَا مَنْ لَهُ فِي كُلِّ قَلْبٍ مَثَرٌ وَمَقَامُهُ يَعْلُو عَلَى الْجَوَازِ
اللَّهُ أَغْطَاكَ الشَّجَاعَةَ وَالْبَهَا يَا كَامِلاً فِي دَوْلَةِ الْأَمْرَاءِ
مَنْ رَامَ بَحْراً بِالْمَكَارِمِ طَافِحاً يَسْعَى لِبَابِ خُصٍّ بِالْعِلْيَاءِ
يَجِدُ الَّذِي مَا مِثْلُهُ فِي عَصْرِنَا كَلاً، وَلَا فِي السَّادَةِ الْقُدَمَاءِ
وهذا قوله^(٢) :

يَا رَبَّنَا بِالْمُصْطَفَى الْعَدْنَانِ وَبِآلِهِ وَبِصَحْبِهِ الْأَعْيَانِ
وَالْأَنْبِيَا وَالرُّسُلِ وَالْقُرْآنِ وَالْأَوَّلِيَا أَهْلِ التَّقَى وَالشَّانِ
مَنْعُ عِبَادِكَ بِالَّذِي أَمَرْتَهُ فِينَا بِلَا ضُرٍّ وَلَا نُقْصَانِ / i - ٧٠
وَهُوَ الْأَمِيرُ مُحَمَّدٌ ذُو الْمَجْدِ وَالْأَعْظَمُ الْأَعْلَى الْأَعَزُّ الْأَزْ
فِيهِ الشَّجَاعَةُ وَالْبَرَاءَةُ وَالْوَفَا أَسْرَارِ وَالْآلَاءِ وَالْإِحْسَانِ
جُمِيعِ التَّقَى وَالْعِلْمِ فِيهِ بِلَا خَفَا فَعُ الشَّانِي الَّذِي مَا مِثْلُهُ مِنْ ثَانِ
فَاقْصُدْهُ^(٣) صَاحِ تَجِدْهُ بِالْبَرْهَانِ وَالْحِلْمِ وَالْمَعْرُوفِ قُلْ إِخْوَانِي

فضرب به المثل للشينين المتفقين قليل : « وافق شن طبقه » - يسكون الباء وفتحها - .

١ الأبيات من بحر الكامل الصحيح العروض المقطوع الضرب .

٢ من بحر الكامل الصحيح العروض المقطوع الضرب .

٣ في ب : « فاعبه » .

مَلِكٌ يَزِينُ مَدِيحُهُ مُدَاخَةً^(١)
 يَرْتَاحُ قَلْبِي عِنْدَ ذِكْرِ حَدِيثِهِ
 لَا عَيْبَ فِيهِ سِوَى الْمُجُومِ - أَخِي - عَلَى
 يَا صَاحِبِ هَذَا الْأَمْرِ مِمَّا قَدْ خَبَى^(٢)
 يَا رَبِّ عَجَّلْ أَخَذَهَا بِمُحَمَّدٍ
 بُشْرَاكَ يَا بَكَدَاشُ قَدْ نِلْتَ الْمُنَى
 قَالَهُ يُبْقِي ذِكْرُكُمْ حَسَنًا وَيُعْزِ
 ثُمَّ الصَّلَاةُ مَعَ السَّلَامِ^(٣) عَلَى حُسَا
 وَأَلَالِ وَالْأَصْحَابِ وَالْأَزْوَاجِ مَا

هَيْهَاتَ لَا يُخَصِّبُهُ^(٤) مِنْ إِنْسَانٍ
 فَالَسَّقَمُ عِنْدِي ضِدَّةً^(٥) سِيَّانٍ
 وَهَرَانَ ذَاتِ الْكُفْرِ وَالطُّغْيَانِ
 رَبِّي لَهُ فِي سَابِقِ الْأَزْمَانِ
 الْغَالِي وَالْكَرْخِي وَالْجِيلَانِي^(٦)
 عَمَّرَتْ^(٧) أَرْضَ الْكُفْرِ بِالْإِيمَانِ
 لِي قَدَرُكُمْ وَيَجُودُ بِالرُّضْوَانِ
 م^(٨) الرُّسُلِ وَالْآيَاتِ وَالْبَرْهَانِ /
 هَبَّ النَّسِيمُ بِسَاحَةِ الْبُسْتَانِ

أمدنا الله تعالى بقبس من أنواركم الشريفة^(٩)، وأيدنا بنفس من

١ مديحه فاعل «ليزين»، ومداحه - بضم الميم - مفعول به .

٢ في ب: «ان يحصبه» .

٣ في ب: «وضده» .

٤ خبي الشيء: لغة في خباة إذا أخفاه وستره .

٥ يريد «بمحمد الغالي» سيدي محمدا الهواري دفين وهران، المتقدم الذكر. وب «الكرخي» أبا محفوظ

معروفا ابن فيروز الكرخي الصوفي المشهور، المتوفى سنة ٢٠٠ هـ / ٨١٦ م ببغداد وقبره يزار هناك .

وب «الجيلاني» عبد القادر الجيلاني صاحب الطريقة القادرية المشهورة، والمتوفى سنة ٥٦١ هـ / ١١٦٦ م

ببغداد، وما زال قبره يزار هناك. (أ - أبو عبد الرحمن السلمي، طبقات الصوفية بتحقيق نور الدين

شريعة، القاهرة: دار الكتاب العربي، ١٩٥٣ م، ص: ٨٣. ب - محيي الدين بن عبد القادر، كتاب

القلائد في مناقب الشيخ عبد القادر. القاهرة: مطبعة البابي الحلبي، ١٣٣١ هـ. ص: ٣ - ١٤٠) .

٦ في ب: «وعمرت» .

٧ في ب: «والسلام» .

٨ في ب: «حام» .

٩ الشريفة: المشرقة .

أنفاسكم المريقة^(١). وبسط لنا مائدة من موائد كرمكم العميمة، ومنحنا موهبة من مواهب نعمكم العظيمة، عنصر^(٢) المكارم، ونخبة العوالم، الصدر الشهير، والطالع المنير، الخليفة الأمير، تاج الأكابر الفخام، وفخر الأمراء العظام، والمورد العذب للخاص والعام. أبي عبد الله مولانا سيدي محمد أدام الله تعالى أيامه، ووالى عليه فضائله وإكرامه.

وهنا الأديب أبو عبد الله محمد، الملقب «بابن يوسف الجزائري»، وهو لم يكن أفسح منه في الشعر باعا، وأتم باللغة اطلاعا، وكان يتعاطى في شبيبته من الشعر ما يشهد له بالنبل، وسلوكه من طرقه المختلفة على أقوم السبل، وأخذه من فنونه بما شاء الابداع، وتعاطيه من صنوفه لكل ما تستلذه الاسماع. فكرع في سلسيله العذب، وحلى جيد نجابته بلؤلؤها الرطب، وامتدح / - بقلائده متوسلا، ولاغراضه الطلية متوصلا، بقصيدة من ماجد كامل، من بحر الكامل - وهي^(٣) :

بُشْرَى لِمَنْ بِقُدُومِهِ خُذِلَ الْعِدَا	وَانْزَا حَتِ الْبُاسَاءُ وَاَنْزَا حَ الرِّدَا
وَبَدَتْ بُدُورُ السَّعْدِ فِي أَفْقِ الْهَنَا	وَبِحَيْنَا حَادِي الْمَسْرَةِ قَدْ حَدَا ^(٤)
وَبَلَابِلُ الْأَفْرَاحِ فِي رَوْضِ الْمُنَى	فَرَحًا وَاجْلَالًا لَهُ كُلُّ شَدَا ^(٥)
وَحَدَائِقُ الْإِحْسَانِ فَاحَ أَرِيحُهَا	وَهَمَى عَلَى أَرْجَائِهَا فَبِضُّ النَّدَا

١ المريقة: الخارجة .

٢ في ب: عنصر .

٣ من بحر الكامل الصحيح العروض والضرب معا .

٤ حادي المسرة: المتغني بها .

٥ في ب: شذا .

فَتَعَطَّرَتْ أَرْجَاؤَهَا وَتَزَخَّرَفَتْ
 مَنَعَ النَّسِيمُ غَيْرَهَا لِذَوِي النَّهْيِ^(١)
 وَالْأَرْضُ رَوْضُهَا^(٢) الْهَنَا بِقُدُومِهِ
 قَدْ فَاضَ فِي الْأَفَاقِ نُورُ سُعُودِهِ
 قَمَرٌ جَلَى الْمَوَلَى بِهِ مَا قَدْ دَجَى
 فَاعْمَلْ بِأَوْصَافِ الْكَمَالِ كَمَالَهُ
 مَنْ قَدْ يُقْرِضُ مَنْ عَدَاةُ فَقَدْ يَكُنْ
 أَزْكَى وَلِيٌّ فِي الْعِبَادِ وَمَنْ بِهِ
 مُسْتَنْصِرٌ بِاللَّهِ فِي حَرَكَاتِهِ
 مَنْ يَتِمُّ السَّلَفَ السَّعِيدَ وَأَمَّهُ
 أَبَدَى أَمِيرُ الْمُؤْمِنِينَ مُحَمَّدٌ
 وَعَلَا عَلَى مُلْكِ الْجَزَائِرِ وَاسْتَوَى
 فَاهْتَزَّتْ الْأَرْجَاءُ مِنْ فَرَحٍ لَهُ
 طَابَتْ بِهِ الْأَيَّامُ لِي فَكَأَنَّهَا
 وَأَرَى الزَّمَانَ النَّاصِرَ الطَّلُقَ الْهَنَا
 حَتَّى تَرَأَتْ آيَةَ اللَّهِ الَّتِي

٧٣ - i

وَالْعِزُّ فِيهَا لَمْ يَدْعُ شَيْئاً سُدَى
 فِي كُلِّ مُغْتَبِقٍ^(٣) يَفُوحُ وَمُغْتَدَى
 وَالْكُونُ أُرْدِيَةُ السَّرُورِ بِهَا ارْتَدَى
 وَأَمَامَهُ نَصْرُ الْمُهَيِّمِينَ قَدْ غَدَا
 طَوْدٌ بِهِ أُرْسَى الْبِلَادُ وَقَدْ هَدَى
 وَأَمْدَحُ بِأَنْوَاعِ الْقَرِيبِ مَدَى الْمَدَى
 مُسْتَشْنِئاً فِيمَا يَقُولُ بِهِ مَا عَدَا
 بِالنَّصْرِ عَنْ أَعْدَائِهِ فَتَعَوَّدَا
 وَمُؤَيَّدٌ بِالْعِزِّ مِنْهُ فَأَبْنَا
 وَاقْتَصَرَ أَثَارَ السَّعَادَةِ وَالْهُدَى
 لِلنَّاسِ مِنْ شَيْمِ الْأَفَاضِلِ مَا بَدَا
 مَذْ سُلَّ سَيْفُ الْعَزْمِ مِنْهُ وَجُرْدَا
 وَبَدَا السَّرُورُ لَنَا بِهِ وَتَجَرَّدَا
 أَعْيَادُ^(٤) وَالسَّرَّاءُ فِيهَا أُخْلِدَا
 لِذَوِي النَّهْيِ^(٥) مِنْ حِزْبِهِ وَمَنْ اقْتَدَى
 نَادَى مُنَادٍ فِي الْعِبَادِ بِهَانِدَا^(٦)

١ في ب: «لأهل النهي».

٢ مغتبق: مكان شرب الخمر مشية، والمغتدى: مكان شربها صباحاً.

٣ روضها: جعلها روضة غناء.

٤ أعياد: بحذف التنوين منه لقتضى الوزن.

٥ في ب: «لأهل النهي».

٦ ندا: جمعهم يقال: ندا القوم إذا جمعهم في النادي، أي جمعهم تحت لواء شريعة الله ورسوله.

وَجَرَى مِنَ الْعَلْيَاءِ اقْصَاءَ مَدَى
 مِنْهَا الْمَكَارِمُ وَالْفَضَائِلُ تُجْتَدَى ^(١) /
 وَلَا مَرَهُ يَتَنَ الْعِبَادُ مُقْبِدًا
 لِمَنْ اهْتَدَى وَغَصَائِصٍ ^(٢) لِمَنْ اعْتَدَى
 لَا تُشْتَكَى فِيهَا الْإِسَاءَةُ وَالصَّدَى ^(٣)
 مَا لَيْسَ يُوصَفُ مِنْ نَوَالٍ مَعَ جَدَى ^(٤)
 يَكْفِيكَ مَكْرُوهَ السُّؤَالِ مِنَ النَّدَى
 فِي الْمُغْضِلَاتِ بِهِمْ يُعْزَى وَيُهْتَدَى
 وَجَهَ الْعَدُوَّ إِذَا رَأَاهُ تَوَجَّدَا ^(٥)
 نَصْرٌ مِنَ اللَّهِ الْكَرِيمِ عَلَى الْعِدَا
 سَاقَ الْجِيُوشِ إِلَى الْجِهَادِ وَمَهْدَا
 أَضْحَى بِهَا الْإِشْرَاكُ مُلْتَحِمَ السَّدَى

وَلَقَدْ عَلَا بَيْنَ الْمُلُوكِ بَعْدِلِهِ
 فَرَعٌ زَكَا مِنْ تَبِعِهِ بَيْنَ الْوَرَى
 وَالْدَّهْرُ أَصْبَحَ مُقْتَنَى ^(٦) آثَارُهُ
 قَدْ قَسَمَ الْأَيَّامُ بَيْنَ نَعَائِمٍ ^(٧)
 حَلَّ الْبَرَايَا مِنْ ذَرَاهُ بِجَنَّةٍ ^(٨)
 مِنْ كَوْنٍ الْإِحْسَانِ فِي أَرْجَائِهَا
 فَنَوَالُهُ قَبْلَ السُّؤَالِ مُقَدَّمٌ
 فِي عَسْكَرٍ مِنْ حِزْبِهِ ذِي نَجْدَةٍ
 مِنْ كُلِّ ضِرْغَامٍ ^(٩) بِصِيرٍ بِالْوَغَى
 وَالنَّصْرُ مَكْتُوبٌ عَلَى رَايَاتِهِمْ
 فَوْزِيرُهُ ^(١٠) وَكَفِيلُهُ «حَسَنُ» الَّذِي
 يُزْجِي عَسَاكِرَهُ لِوَهْرَانِ السَّنَى

-
- ١ مجدى: نطلب ونلتبس .
 - ٢ مفتى: صوابه مفتىا .
 - ٣ نعائم: بالتونين لفتضى الوزن، والمعروف في «النعمة» تجمع على نعم .
 - ٤ غصائص: بالتونين لفتضى الوزن، والمعروف في «الغصة» تجمع على غصص كغرفة وغرف، والمراد بالغصة - هنا - الهم والحزن المستمران .
 - ٥ في الشطر الأول من البيت داره، في جميع النسخ التي بين يدينا. ولعل الأصل ذراه بمعنى كنف .
 - ٦ الصدى: الصوت المزعج .
 - ٧ في ب: «ومن جلا» .
 - ٨ في جميع النسخ «ذرعام» والتصويب من قلنا .
 - ٩ توجد حزن ودهب لرؤيته .
 - ١٠ فوزيره: في ب: «وزيره» .

٧٥ - ا يَا رَبُّ يَسِّرْ عَنْ أَيْدِيهِمْ فَتَحَهَا
وَتَعُودُ لِلْإِسْلَامِ دَارَ مُقَامِهِ
وَيَزُولُ مِنْ بَعْدِ الضَّلَالَةِ بِالْهُدَى
بِمُحَمَّدٍ وَبِآلِهِ وَبِصَحْبِهِ
تَمِّمْ بِفَضْلِ مِنْكَ مَا أَمَلْتُهُ
خُذْهَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ عَقِيلَةً
فِي خِدْرِهَا تَتَجَلَّى مُخْفِرَةً أَنْتَ^(١)
وَتُقَبِّلُ الْكَافِّرِينَ مِنْكَ تَوَاضِعاً
رَبِّي وَكُنْ لَهَا^(٢) مُعِيناً مُنْجِداً
وَبِهَا مَنَارُ الْمُسْلِمِينَ مُشِيداً /
مَا غَيْرَ الْإِشْرَاكِ - قَبْلُ - وَأَفْسَداً
وَبِكُلِّ مَنْ قَامَ الدُّجَى وَتَهَجَّداً
بِالْفَتْحِ وَالنَّصْرِ الْمُبِينِ وَبِالْهُدَى
دُرّاً مُقْلَداً الْأَيْقِ تَقْلَداً
فِي ثَوْبٍ تَأْيِيدِ أُنْتُكَ مُؤَيِّداً
فَالرُّوحُ مِنَّا وَالنَّفُوسُ لَكَ الْفِداً

وهنا ابن عبد الله محمد المستغانيمي، وهو رجل محقق النظار،
وأستاذ فرائد لجين ونضار: كلا، بل جواهر وبقايت، ومناسك أهدى
لها من السعادة موقايت، فحسب الطالب الموثوق بفهمه، المصروف لتحصيل
مطامح مواقع سهمه، أن يلزم حلقة تعليمه، وإن يشد يد الضنة^(٣) بما
يلقن من محصول تفهيمه، فأكسير^(٤) الافادة إنما حصله الواصلون من
٧٦ - ا جابر صنعته، وكمياء السعادة إنما يلقفها / الظافرون في نضارة روضه
المخضل ونبعته، وقريض الشعر مما يمكن دخله تحت طوعه، ويندرج
تحت قدرة تصرفه بجنسه ونوعه، إلا أنه لما يصدر منه عن قريحة كاتم،

١ لها ضمير المثنى يعود على محمد بكداش وصهره ووزيره حسن أوزن. والوزن يستقيم بكلمة يديهم بدل
أيديهم ويمكن عندها ارجاع الضمير إلى يديهم.

٢ مخفرة: مستحياة أشد الحياة.

٣ الضنة: كل ما يفضن به ويخلل باعطائه، وفي ب: «الظنة» بظاء مثالة.

٤ الإكسير: مادة معدنية، تلقى على القضة فتحولها إلى ذهب خالص حسب زعم بعض الكيميائيين القدامى
والكلمة يونانية الأصل.

وقد سلك من البخل^(١) به على طرف النقيض مما سلكه حاتم. بقصيدة سماها بـ «الكوكب النائر»، في مدح أمير الجزائر، وهي^(٢) :

أَطْلَعَةَ^(٣) الْبَذْرِ قَدْ نُوتِيتُ^(٤) عَنْ نَظَرِي
فَهَلْ سَبِيلًا لِرُؤْيَاكُمْ بَقِيَ ضَرَرِي
كَتَمْتُ دَمْعِي فَأَلْقَيْتُهُ مَحَاجِرُهُ^(٥)
وَصُنْتُ سِرِّي فَأَبْدَيْتُهُ^(٦) يَدُ الْقَدَرِ
فَلَمْ أَجِدْ لِكَيْتَامِ الدَّمْعِ مَمْلَكَةً
وَلَمْ أَجِدْ لِظَلَامِ الْحُبِّ مِنْ قَدَرٍ
إِذَا بِرِيحِ الصَّبَا هَبَّتْ وَقَدْ سَكَنْتُ
رِيحُ الدُّبُورِ فَرَالَ الْغَيْمُ عَنْ بَصَرِي
لَا زِلْتُ أَقْبِسُ الْآثَارَ حَيْثُ^(٧) بَدَا
لِمُقَلَّتِي كَوْكَبُ بِالنَّصْرِ مُتَزَرٍ^(٨)
إِمَامٌ عَدْلٍ حَمَاهُ الرَّبُّ حَيْثُ غَدَا
مُعْتَصِمًا صَابِرًا لِلَّهِ مُتَّصِرٍ^(٩)

١ في ب: «النجد» .

٢ من وزن البحر البسيط مخبون العروض والضرب معا .

٣ في ب: «اطلعت» .

٤ في ب: «نوتيت» . وفي الأصل نابت .

٥ في ب: «محاجري» .

٦ في ب: «فابنده» .

٧ في ب: «حتى» .

٨ مترر: منصوب على الحال، وقد ضحى الناظم بالقاعدة النحوية في سبيل قافيته .

٩ في ب: «متنصر»، ومتنصر منصوب على الحال، إلا أن الناظم أدخل بالقاعدة النحوية من أجل سباق

ثُمَّ وَفَّنِي يَدُ الْإِسْعَادِ فَاتَّضَعْتُ
 مَعَالِمُ الْوَصْلِ قَدْ نِيلَتْ بِلاَ فَخْرِ /
 نَجْمُ الصَّبَاحِ لَقَدْ أَقْبَلْتُ بِالْبَشْرِ
 بِعِزَّةِ اللَّهِ لَا بِعِزَّةِ الْبَشْرِ
 نِعْمَ الْمَجِيءُ وَرَبِّحُ النَّصْرِ قَدْ وَرَدَتْ
 أَمَامَ مَجْدِكُمْ بِالْخَيْرِ وَالظَّفَرِ
 وَأَنْجُمُ السَّعْدِ أَقْبَلْتُ^(١) بِأَجْمَعِهَا
 وَأَنْجُمُ النَّحْسِ أَدْبَرْتُ مَعَ الْأَثَرِ
 إِنَّ «الْجَزَائِرَ» قَدْ عَن سَاقِهَا كَشَفْتُ
 وَاسْتَبَشَرْتُ أَقْبَلْتُ عَنْكُمْ بِلاَ نَكْرِ
 فَكُنْ لَهَا مُكْرِمًا وَنَاصِحًا قَائِمًا
 بِالْقِسْطِ عَنْ حَاسِدٍ تَكْفِي وَعَنْ مُنْكَرٍ^(٢)
 أَدَارَ مُلْكِ الْوَلَاةِ فَأُبَشِّرِي فَرَحًا^(٣)
 إِذْ حَلَّ فِيكَ سَدِيدُ الرَّأْيِ وَالنَّظَرِ
 سُلْطَانُنَا الْمُرْتَضَى دَامَتْ سَعَادَتُهُ
 وَازْدَادَ نَصْرًا عَلَى نَصْرِ مَدَى الْعُمُرِ

١ في ب: «قد اقبلت» .

٢ القسط :- بكر أوله وسكون ثانيه - العدل ، والقسط بضم أوله وسكون ثانيه - : عود بتداوى به ، والقسط

- بفتح أوله مع ثانيه - : التصلب والتبسر .

٣ ضمير المخاطب يعود على «دار الملك» .

فَقَدْ أَتَى وَاحِدًا فِي عَصْرِنَا رَافِعًا
 لِرَايَةِ الْعِلْمِ وَالشَّرْعِ الْقَوِيمِ حَرِي^١
 أَبْهَجَةَ الْمُلْكِ قَدْ كُتِبَتْ^٢ ثُوبَ هُدَى
 وَقَدْ صَفَا شُرْبُ مَائِكَ مِنَ الْقَدْرِ
 أَيَّامُكُمْ أَقْبَلَتْ وَدَوْلَةُ سَعِدَتْ
 وَرَحْمَةُ وَسِعَتْ فِي الْبَنُو وَالْحَضَرِ
 بِحَاكِمٍ فَاضِلٍ وَعَالِمٍ عَامِلٍ
 أَحِبًّا الْحَنِيفِيَّةَ^٣ السَّنَاءِ كَالْمَطَرِ
 أَدَارَ مُلْكٍ فَلَا تَخْشَوْنَ مِنْ أَحَدٍ
 فِكْلٌ أَعْدَائِكُمْ مِنْكُمْ عَلَى حَذَرٍ / ٧٨ - ١
 أَبْوَابُ «وَهْرَان» قَدْ أُلْقَتْ فَلَايِدَهَا
 وَقَدْ غَدَا جَيْشُهَا كَهَائِمِ الْحُمُرِ
 وَأَدْخَلَ الرُّغْبَ فِي قَلْبِ الْعُدَاةِ^٤ وَقَدْ
 مِنْ السَّمَاءِ^٥ مُطِرُوا بِالشُّهْبِ وَالْحَجَرِ
 يَا جَيْشَنَا فَأَبْشِرُوا بِالْحُسَيْنِ لَكُمْ
 أَجَنَّةُ الْخُلْدِ أَوْ فَتْحًا هَنِئًا مَرِي^٦

١ حري: أجدر .

٢ في ب: «كوسيت» .

٣ الحنيفة: الدين الإسلامي على العموم، أو مذهب أبي حنيفة النعمان الذي كانت الحكومة الجزائرية تابعة له وعاملة بمقتضاه .

٤ في ب: «الكفور» .

٥ حذفت همزة المد من «السماء» لمقتضى الوزن .

٦ مري: صفة لـ «فتحا» وقد خالف الناظم القاعدة النحوية نزولا عند رغبة قافيته .

رَبِّي بِأَسْمَائِكَ الْحُسْنَى فَكُنْ نَاصِرًا
 لَهُمْ بِرِيحِ الصَّبَا يَا خَيْرَ مُنْتَصِرٍ
 وَاهْزِمِ وُلاَةَ الصَّلِيبِ هَزِمَ بَدْرٌ كَمَا^(١)
 هَزَمْتَهُمْ بِحُنَيْنٍ سَلَّ عَنِ الْخَبَرِ
 بِجَاهِ مَنْ خَضَعَتْ لَهُ الْمُلُوكُ وَمَنْ
 تَوَرَّمَتْ قَدَمَاهُ فِي دُجَى السَّحَرِ^(٢)
 وَجُمَلَةِ الْخُلَفَاءِ وَالتَّابِعِينَ وَمَنْ
 أَتَى لِمَكَّةَ قَاصِدًا لِيَعْنَمِرِ^(٣)
 خُذَهَا بِكَفِّكَ قَدْ جَاءَتْ عَلَى قَدَمِ
 تَسْعَى لِبَابِ الْمُلُوكِ سَعْيَ مُفْتَقِرٍ
 وَبِاسْمِ قَائِدِهَا مُحَمَّدٍ نَطَقَتْ
 وَسَلَّمَتْ بَايَعَتْ طَوْعًا لِمُنْتَصِرٍ

ومن مدح المولى، ورفع على علم شعره علم شكر ما أولى، واثنى عليه
 i - ٧٩ فأجاد، وأفادنا بشناؤه انه غرف من نيل فوائده واستفاد. / الكاتب اللوذعي،
 العالم الالمعي، أبو زيد السيد عبد الرحمن بن عبد الله الجامعي نسبا،
 الفاسي منشأ، الجزائري داراً، وهو رجل وحيد الدهر، بل فريد العصر.
 لا أعلم اني لقيت مثله في طريق الآداب، ولا أشد كاهلاً منه في الانتخاب،

١ بدر: بدون تنوين لمقتضى الوزن.

٢ اشارة إلى ما جاء في الاثر: أن النبي ﷺ كان يقوم الليل حتى تورمت قدماه.

٣ يعنمر: منصوب بان مضرة بعد لام التعليل، بيد أن الناظم جره لمقتضى القافية.

ولو أدركه الصاحب^(١) والبديع^(٢)، لاخذاً عنه كل معنى بديع، وإذا قصد، وأخذ للشعر بمرصد، وشطر^(٣) وصرع^(٤)، وجنس^(٥) وصرع^(٦)، وطابق^(٧) وقابل^(٨)، ووازن^(٩) ومائل^(١٠)، واقتنص ولح^(١١)، وأوما^(١٢) وملح،

- ١ صاحب: هو كافي الكفاة أبو القاسم اسماعيل المعروف بـ (الصاحب بن عباد) ولد سنة ٣٢٦ هـ - ٩٣٨ م، وتوفي سنة ٣٨٥ هـ - ٩٩٥ م، كان بحراً طافحاً بعلوم عصره، ونما زاهراً بمعارف وقته، وله مؤلفات كثيرة في شتى الفنون، منها: (المهبط) في اللغة في عشر مجلدات، وعنوان المعارف في التاريخ وغير ذلك.
- ٢ البديع: هو أبو الفضل أحمد بن الحسين الهمداني المعروف بـ (بديع الزمان) صاحب المقامات المشهورة بـ «مقامات الهمداني» توفي سنة ٣٩٣ هـ - ١٠٠٣ م.
- ٣ التشطير - في الشعر - : زيادة شطر آخر على كل شطر منه.
- ٤ التصريح - في الشعر - : جعل البيت منه ذا مصرعين.
- ٥ الجناس - في فن البديع - : تشابه الكلمتين في اللفظ لا في المعنى، في كله نحو: العين للباصرة، والعين لتبوع الماء. أو في بعضه نحو: قارب وقالب.
- ٦ الترصيع: التنظيم، والترتين. وهو فن من فنون السجع. فالرصيع ما اتفقت ألفاظ إحدى الفقرتين. أو أكثرها في الوزن والتقفية.
- ٧ المطابقة - عند علماء البديع - : الجمع بين معنيين متقابلين، سواء كان ذلك المعنى حقيقياً أو مجازياً.
- ٨ المقابلة: نوع من الطباق، وهو أن يوتى بمعنيين متوافقين، أو أكثر، ثم يوتى بما يقابل ذلك على سبيل الترتيب.
- ٩ الموازنة - عند علماء البديع - : أن تكون الفاصلتان متساويتين في الوزن دون التقفية، كقوله تعالى: «وَنَمَارِقُ مَصْفُوفَةٌ، وَزَرَابِيُّ مَبْثُوثَةٌ».
- ١٠ المائلة: المشاكلة، وهي - عند علماء البديع - : ذكر الشيء بلفظ غيره لوقوعه في صحبته تحقيقاً أو تقديرًا، نحو قوله تعالى: «وَجَزَاءُ سَيِّئَةٍ سَيِّئَةٌ مِثْلُهَا».
- ١١ التلميح: قسم من أقسام الكناية، ويقال له: «التعريض» أيضاً، وهو ما أشير به إلى غير المعنى بدلالة السياق، نحو: «الْمُسْلِمُ مَنْ سَلِمَ الْمُسْلِمُونَ مِنْ يَدِهِ وَلِسَانِهِ».
- ١٢ الإيماء: قسم من أقسام الكناية أيضاً، وهي كناية قُلتَ وسائطها مع وضوح الدلالة، كقول أبي تمام يصف أبله مادحاً أبا سعيد بن يوسف الثغري:

ابن فما يزن سوى كريم وحبك ان يزن أبا سعيد

ووشع^(٧) ، واستعار^(٨) ، ورشح^(٩) ، وكمل وتمم^(١٠) ، وفوق^(١١) وسهم^(١٢) ، وأوضح وأدمج^(١٣) ، وسمط^(١٤) ودبج^(١٥) ، وجمع وفرق^(١٦) ، وبالغ^(١٧) وأعرق^(١٨) ، والتفت^(١٩) / واحترس^(٢٠) ، وضمن^(٢١) واقتبس^(٢٢) ، وأبدع وطرز^(٢٣) ، وأعجب وأعجز فالسحر الحلال ، وماء الزلال ، والمنهل العذب ، والمنزل الرطب ، والطيب المفتوت ،

١ التوشيح : فن من فنون الشعر ينظم على تقاطيع وفواف معلومات ، بحيث لا يتقيد فيه الناظم بقافية واحدة ، وهو من اختراع الأندلسيين ، وسمي بالتوشيح لأنه يشبه الشاح بأشكاله ، وتسمى القصيدة منه : موشحة .
٢ الاستعارة : هو لفظ استعمل في غير المعنى الموضوع له لمناسبة بين المعنى المنقول عنه والمعنى المستعمل فيه ، مع قرينة تصرفه عن ارادة المعنى الأصلي . كقولك : رأيت أسداً نغي رجلاً شجاعاً .

٣ الترشيع - عند علماء البيان - : هي أن تقرن الاستعارة بما يلائم المستعار منه ، كقول كثير عزة :
رمني بسهم ريشه الكحل لم يضرب ظواهر جلدي وهو للقلب جراح
فقد استعار السهم للنظر ، بجامع التأثير في كل . ثم رشح الاستعارة بذكر الريش الملائم للسهم .
٤ يقال : فوق السهم ، إذ جعل له فوقاً ، والفوق مشق رأس السهم ، حيث يقع الوتر .
٥ الإدماج - عند علماء البديع - : أن يجعل المتكلم الكلام الذي سبق المعنى من مدح أو غيره - متضمناً - معنى آخر .

٦ سمط : نظم الشعر مسطاً ، والتسميط - في الشعر - : هو أن تضم شطراً من شعرك إلى شطر شعر غيرك .
٧ التدبيج - عند علماء البلاغة - : تحسين اللفظ وتزيينه بواسطة التورية ، أو الكناية .
٨ الجمع مع التفريق - عند علماء البديع - : هو أن يجمع بين شيئين في معنى ، ويفرق بين جهتي الإدخال ، كقول رشيد الدين الوطواط :

فرجهك كالنار في ضوئها وقلبي كالنار في حرها

فقد شبه وجه الحبيب وقلبه - هو - بالنار ، ثم فرق بين وجهي المشابهة بأن جعله في الوجه الضوء واللمعان ، وفي القلب الحرارة والاحتراق .

٩ المبالغة - عند علماء البديع - : هو أن يدعى لشيء وصف يزيد عما في الواقع .
١٠ الالتفات : رجوع المتكلم إلى الكلام السابق بنقضة وإبطاله لنكته ، كالتحسر والتعزن في قول زهير بن أبي سلمى :

قف بالديار التي لم ينفها القدم بلى وغيرها الأرواح والديم

١١ التضمن : هو أن يأخذ الشاعر شطراً من شعر غيره بلفظه ومعناه .
١٢ الاقتباس : أن يضمن الكاتب أو الشاعر كلامه آية قرآنية ، أو حديثاً نبوي ، أو حكمة مأثورة ، أو قاعدة علمية .

والفستق الملتوت^(١) ، والفواكه والقوت ، والدّر والياقوت ، والوشي المرقوم ، / i - ٨٠ .
والرحيق المختوم ، والصبغ الاقمر^(٢) ، والكبريت الأحمر ، والمسك والعنبر ،
والاكسير^(٣) الأكبر ، صدر عنه الشعر المعجب ان لم نقل المعجز ، والنظم
الذي هو لوعده صدق براعته منجز ، من ذلك قوله^(٤) :

لَقَدْ فَتَكَتْ بِالْقَلْبِ فَتْكَ الْبَوَائِرِ
عُيُونُ الظُّبَاءِ الْآنِسَاتِ الْجَاذِرِ^(٥)
وَقَدَّتْ بِقَدِّ السَّمْهَرِيِّ^(٦) حَشَاشَتِي
فَقَاضَتْ عُيُونِي بِالْذُّمِّ وَمَحَاجِرِي
رَعَى اللَّهُ ظَنِيّاً قَدْ رَعَى حَبّاً مُهْجَتِي^(٧)
وَلَمْ يَرَعْ فِي نَجْدٍ عَرَاراً وَحَاجِرِ^(٨)
وَمَا زِلْتُ أَرْعَاهُ وَيَخْسِبُ أَنِّي
أُخُونُ لَهُ عَهْداً فَيُصْبِحُ هَاجِرِي
وَيُظْهِرُ إِحْسَانِي إِلَيْهَا إِسَاءَةً
وَبِالْعَكْسِ مَا يُنْدِيهِ يَنْدُو لِنَظِيرِي

-
- ١ الملتوت: المدقوق، المسحوق .
 - ٢ الاقمر: الأشد بياضاً والصبغ كل ما يصبغ به .
 - ٣ الاكسير: تقدم تفسير معناه .
 - ٤ من بحر الطويل المقبوض المروض والضرب .
 - ٥ الجاذر: مفردة جودر، وجؤذر، وجؤذر: ولد البقرة الوحشية .
 - ٦ السمهري: الرمح الصلب، ويطلق أيضاً على السيف الحاد .
 - ٧ حب المهجة - بفتح الحاء المهملة - : سويداء القلب .
 - ٨ الحاجر: معطوف على « نجده » وهو موضع قبل معدن النقرة بطريق مكة المكرمة . (مراسد الاطلاع ، ج ١ ، ص : ٣٧٠) .

بِذَا حَكَمَ الْحُسْنُ الْبَدِيعُ لَهُ وَلِي
 وَمَا حَاكِمُ الْحُسْنِ الْبَدِيعِ بِجَائِرِ
 وَإِنِّي وَإِنْ أَبْذَلْتُ عُذْرِي فِي الْهَوَى
 فَمَا عَاذِلِي فِيمَا أَرُومُ بِعَاذِرِي
 أَيْحَسَنُ عَذْلٌ فِي ظِبَاءٍ عَيُونُهَا
 ظُبَى شَرَعَتْ فَتَكَ الْأَسُودَ الْخَوَادِرِ
 تَهْزُ قُدُوداً فِي دَعْوَصٍ^(١) كَانَتْهَا

بُنُودٌ تَشَّتْ فِي جُنُودٍ «الجزائر» / ٨١ - ١

جُنُودٌ بِهَا الْإِسْلَامُ عَزَّ مَنَالُهُ
 عَلَى كُلِّ جَبَّارٍ عَنِيدٍ مُنَافِرٍ^(٢)
 حَمَوْا بِالصَّفَاحِ الْبَيْضِ مِنْ كُلِّ عَابِثٍ^(٣)
 حِمَاهُ فَلَمْ يَعْثُ بِهِ كَفُّ فَاجِرِ
 فَكَمْ كَسَّرُوا ثَغْراً بِهِ كَانَتْ الْعِدَا
 تَبَسَّمُ فِي وَجْهِهِ مِنَ الدِّينِ كَاثِرٍ^(٤)

١ الدعوص: كتمان من الرمل .

٢ في ب: «مناصري» .

٣ الصفاح: عرض السيوف، وفي ب: «الصباح» .

٤ الضمير في «تبسم»: يعود على «ثغرا»، و «كاثر»: صفة لـ «وجه» .

فَيَا حَادِيَّ الْأَضْعَانِ حُتُّ بِرَاكِبٍ
 يَوْمُ حِمَاهُمْ رَغْبَةٌ فِي الذَّخَائِرِ
 وَسِرُّ بِي إِلَى ذَاكَ الرُّبَاطِ فَإِنَّهُ
 ذَخِيرَةٌ سَاعٍ لِلْجِهَادِ وَزَائِرٌ^(١)
 وَإِنَّكَ مَهْمَى جِثَّةِ جِنْتِ رَوْضَةٍ
 مُؤَرَّجَةٍ أَرْجَاؤُهَا بِالْأَزَاهِرِ
 دِيَارُ بَنِي عُثْمَانَ - حَيْثُ نَأَلَفْتُ
 ضِيَابُ وَنُورٌ - مُسْتَقَرُّ الْمُسَافِرِ
 بِلَادُ بِرَاسِ الْغَرْبِ تَاجٌ مَكَلَّلٌ^(٢)
 وَخَلْخَالُ سُوقِ الشَّرْقِ غَيْرِ ضَوَامِرِ^(٣)
 بَدَتْ بِمِنْصَّاتِ الزَّمَانِ كَأَنَّهَا
 عُرُوسٌ نَجَلَتْ فِي أَعَالِي الْمَنَابِرِ

١ في ب: «وزافر» .

٢ يقصد بالبلاد - هنا - مدينة الجزائر بدليل قوله فيما بعد :

فدعني من غرناطة وربوعها وشيل فالحسن انتهى للجزائر

٣ سوق: ج ساق .

وَقَدْ قُلِدَتْ مِنْ بَحْرِهَا بِمَوْشَعٍ
وَصِيغَتْ لَهَا الْأَمْوَاجُ خَلْخَالَ حَاسِرٍ^(١)

وَلَا حَ بِهَا بَابُ الْجَزِيرَةِ مِثْلَمَا
تَبَسَّمَ ثَغْرٌ فِي وُجُوهِ الْبَشَائِرِ
كَأَنَّ مَجَازَ الْبَحْرِ مِغْصَمٌ غَادَةٌ

تَحَلَّى سَوَارًا وَاكْتَسَى بِجَوَاهِرٍ^(٢) / ٨٢ -

وَلِلَّهِ أَبْرَاجٌ بِشَاطِئِ بَحْرِهَا
تُحَاكِي النُّجُومَ الزُّهْرَ فِي عَيْنِ خَازِرٍ
كَأَنَّ الرِّيَاضَ الْخُضَرَ مُخْدِقَةٌ بِهَا

ذَوَائِبُ أَسْدَاعِ الْوُجُوهِ النَّوَاضِرِ
غُصُونٌ وَأَنْهَارٌ وَتِلْكَ لَهَذِهِ
تَحِينُ فَتَحْنُو لَاسْتِلامِ الْغَزَائِرِ^(٣)
فَتَبْدُو وَقَدْ حَاكَ النَّسِيمُ بُرُودَهَا
نِصَالٌ رِمَاحٍ فِي زُرُودِ مُشَاجِرِ

١ حاسر: المرأة التي حسرت خمارها وكشفت عن وجهها .

٢ في ب: واكتسى، بدون واو العطف .

٣ الغزائر - من البنايع - : الماء الكثير المتدفق. وفي ب: والغدائر .

وَلِلَّهِ مَا ضَمَّتْهُ مِنْ كُلِّ مَنْظَرٍ
 حَلَاوَتُهُ مَا مَرَّ تَلْفَى بِخَاطِرٍ
 فَدَعْنِي^(١) مِنْ غَرْنَاطَةٍ وَرُبُوعِهَا^(٢)
 وَشَيْلٍ فَالْحُسْنُ انْتَهَى لِلْجَزَائِرِ^(٣)
 فَمَا تَفْصِلُ الْحَيَاءُ^(٤) بَيْضَاءَ غَادَةٍ^(٥)
 مَقْرَظَةً بِالْبَدْرِ ذَاتَ غَدَائِرِ^(٦)

- ١ فدعني: بفتح باء المتكلم ليستقيم الوزن .
- ٢ غرناطة - بالتثنية - : لضرورة الوزن: معناه باللغة الاسبانية «الرمانة» التي هي شعار مدينة غرناطة التاريخية، وما زال هذا الشعار ماثلا فوق قسبة - الحمراء الرئيسي في شكل ثلاث رمانات صخرية كبيرة، وكانت غرناطة آخر المدن الأندلسية التي سقطت بالتسلم في الثاني من شهر ربيع الأول سنة ٨٩٧ هـ الموافق لاثني من يناير سنة ١٤٩٢ م، وهي نفس السنة التي اكتشف فيها (كولومبوس) العالم الجديد - امريكا - .
- ٣ شيل - بتشديد النون - : نهر بفتح « غرناطة » يسقي أجتها ورياضها، وقد أكثر الشعراء في وصفه والتغني بمحاسنه، وقال فيه لسان الدين بن الخطيب: « ما سمي شيل إلا لكونه فيه ألف (نيل) يقصد بذلك أن الشين يساوي عدده ألفاً، بحساب الجمل على طريقة المغاربة، فاذا جعلنا في محله ألفاً وأضفناه إلى (نيل) أصبح ألف نيل. وقول الشاعر فيما بعد: (وما ألف شيل ككف محمد) من المبالغة كأنه قال: « وما ألف نيل ككف محمد ». (١ - أحمد المقري، نفع الطيب، طبعة أوروبا. ج: ١ ، ص: ٩٤ . ب - لسان الدين بن الخطيب، الاحاطة في أخبار غرناطة، مطبعة مصر، ١٣٢٩ هـ . ج: ١ ، ص ٢٦) .
- ٤ الحمراء قصور شامخة وأبراج منيفة وحدائق غناء تقع على هضبة تشرف على مدينة غرناطة من الركن الجنوبي الشرقي فتسبح على المدينة آيات من الروعة والجلال .
- ٥ بيضاء غادة: هي مدينة الجزائر وقد أطلق هذا الاسم على مدينة الجزائر لكونها كانت ذات قب وأبنية بيضاء وما زالت تتمتع بهذا اللقب حتى الآن، فيقال: « الجزائر البيضاء » وقد اشتهرت بهذا الاسم ، لا سيما عند الفنانين والمغنيين .
- ٦ الغدائر - جمع غديرة - : وهي ظفائر الشعر المستطيل .

وَمَنْ لِرُبُوعٍ بِالْجَمَالِ وَقَدْ غَدَتْ
 كَخَطِّ زُبُورٍ فِي قَدِيمِ الدَّفَائِرِ^(١)
 وَهَذِي رُبُوعٌ حَاطَهَا بِحَاطَةٍ
 مُؤَلَّفَةٌ مِنْ سِتْرِهِ خَيْرِ سَائِرِ
 وَمَا أَلْفُ شَنْبِلٍ كَكَفِّ «مُحَمَّدٍ»
 سَلِيلِ «عَلِيٍّ»^(٢) ذِي الْأَكُفِّ الْمَوَاطِرِ
 جَرَى وَجَرَى الْبَحْرُ الْمُحِيطُ فَكَانَ ذَا
 أُجَاجًا وَمَا أُجْرَاهُ حُلُو الْعَنَاصِرِ
 فَلَوْ خَضِبْتُ كَفَّاهُ شَيْبَ جَدِيَّةٍ^(٣)
 مِنْ الْأَرْضِ شَبَّتْ بَعْدَ شَيْبِ الظَّفَائِرِ /
 وَلَوْ قَابَلَ الْبَدْرَ الْمُنِيرَ^(٤) بِوَجْهِهِ
 لَمَا زَالَ يَحْكِي السَّرَّ عِنْدَ السَّرَائِرِ^(٥)
 وَلَوْ شَاءَ إِغْنَاءُ الْوَرَى عَنْ شُمُوسِهَا
 بِشَمْسِ الْحِجَى لَمْ تَفْتَقِرْ لِلظَّهَائِرِ

٨٣ - أ

-
- ١ الزبور : كتاب سيدنا داود - عليه السلام - وهو كتاب يتضمن أناشيد ونرائيل . وهو خلو من الأحكام الشرعية .
 ٢ علي يريد علي بن أبي طالب - كرم الله وجهه - لأن محمدا بكداش يسمي إليه ، أو أباه مباشرة .
 ٣ في ب : « جذية » والجديب من الأرض : الماحل .
 ٤ أوجه الأرض المقابل للشمس .
 ٥ في ب : « لما زال يحكي في السرار سائر » .

تَبْلَجَ صُبْحُ الرَّأْيِ مِنْهُ وَقَدْ عَسَتْ^(١)
 عَلَيْهِ لَيَالٍ مِنْ خُطُوبِ عَوَاقِرِ
 فَمَا أَقْبَلَتْ حَتَّى تَوَلَّتْ صُدُورُهَا
 صِرَاعاً عَلَى أَعْجَازِهَا جَرِي نَافِرِ
 فَأَصْبَحَ فِي أَوْجِ السَّعَادَةِ رَاقِياً
 وَمَا كَانَ عَنْ نَيْلِ السُّبَاقِ بِفَائِرِ
 فَلِلَّهِ مِنْهُ هِمَّةٌ عَلَوِيَّةٌ
 تَفَانَتْ عَلَى دَرْكِ الْعُلَا وَالْمَفَاخِرِ
 وَلَمْ تَرْضَ غَيْرَ الْمُلْكِ مُلْكاً وَلَا أَيْتَ^(٢)
 رُكُوباً سِوَى ظَهْرِ الْجِيَادِ الْحَرَّائِرِ^(٣)
 كَمَا أَنِّي لَمْ أَرْضَ^(٤) مَذْجِي مَالِكاً
 سِوَاهُ وَلَا عَادَتُ عَلَيْهِ ضَمَائِرِي
 وَلَا وَطِئْتُ^(٥) رِجْلِي رُؤُوسَ الْفَلَا وَلَا
 حَفَّتْ عَيْنُ شِعْرِي نَحْوَ غَيْرِ عَشَائِرِي^(٦)

١ عا الليل بعسو - عساء، وعسوا: اشتدت ظلمته .

٢ ملكا - بكسر أوله - ما يملكه الإنسان .

٣ هذا الشطر لم يؤد المعنى المراد، فلو حذفت لا النافية من «ولا أيت» لاستقام المعنى وانتفى الاشكال .

٤ في ب: «نرض» .

٥ في ب: «ولا ثبيت» .

٦ حفت: من حفا البرق يحفو حفوا، إذا لمع ضعيفا معترضا في نواحي الغيم، وفي ب: «خفت» .

وَمَا أُنْذَا يَمْنُهُ بِنْتَ فِكْرَتِي^(١)
تَجَرُّ حَبَاءَ مِرْطَها جَرَّ حَائِرِ^(٢)
وَلَا زِلْتُ ادْعُو كُلَّ رَائِدِ جَنَّةِ
وَسَاعِ لِنَيْلِ الْمَجْدِ أَوْ كُلِّ شَاعِرِ
خَلِيلِي . يَمُّ رَوْضَهُ فَهَوَ يَانِعُ
نَضِيرُ شَهِي نُورُهُ لِلنَّوَظِرِ /
وَرِدَ حَوْضَهُ فَهَوَ الْفَرَاتُ وَلَذَّ بِهِ
تَجِدُهُ حِمَى مِنْ كُلِّ طَاغٍ وَجَائِرِ
وَكَيْفَ يَخَافُ الدَّهْرَ مَنْ حَطَّ رَحْلَهُ
بِسُلْطَانِ جُنْدٍ مِنْ أُسُودِ كَوَاسِرِ
إِمَامٍ حَوَى عِلْمًا وَفَضْلًا وَسُودَدًا
فَحَقُّ لَهُ تَقْدِيمُهُ فِي الْمَآثِرِ
سَرَى^(٣) فِي جَمِيعِ الدُّوَرِ أَزْكَى حَدِيثِهِ
فَحَدَّثَ عَنِ الْعِلْمِ الصَّحِيحِ التَّوَاتُرِ^(٤)
شَرِيفُ زَكَأً أَصْلًا وَفَرَعًا وَمَحْتَدًا
إِلَى هَاشِمٍ بَنِي^(٥) كَبِيرِ الْأَكَابِرِ
أُتِيحَ لَهُ فَتْحُ جَدِيدٍ تَطَاوَلَتْ
لَهُ هِمَمُ الْأَمْلاكِ بَاقٍ وَغَايِرِ

١ بنت : منصوب على رَج الحافض ، أي : بنت .

٢ المِرْط - بكسر أوله - : ثوب يوترر به .

٣ في ب : « يراسري » .

٤ في ب : « تواتر » بدون الألف واللام .

٥ بني - بالبناء للمجهول - : بمعنى ينتمي .

فَلَمْ يَنْلِ الْأَعْدَاءُ مِنْهُ مُرَادَهُمْ^(١)
 وَمَا رَجَعُوا إِلَّا بِصَفْقَةِ خَاسِرٍ
 إِلَى أَنْ أَرَادَ اللَّهُ نُصْرَةَ دِينِهِ
 فَنَبَّهَهُ نَبِيَّهُ بِقِطْطَانٍ خَاسِرٍ
 وَجَرَّدَ مِنْهُ الْحَزْمُ^(٢) سَيْفًا قِرَاعُهُ
 يَفْتُ صِمَامَ الصَّخْرِ يَوْمَ التَّشَاجُرِ
 فَأَضْفَى^(٣) عَلَى «وَهْرَان» جَيْشَيْنِ مِنْ نَدَى^(٤)
 وَآخَرَ مِنْ رَأْيٍ سَدِيدٍ مُؤَاوِرٍ
 وَجَرَّ لَهَا الْإِسْلَامُ جُنْدًا مُؤَيَّدًا
 بِتَأْيِيدٍ مَنْصُورٍ مِنْ اللَّهِ نَاصِرٍ
 فَطَهَّرَهَا مِنْ رِجْسِهَا وَأَعَادَهَا
 عُرُوسًا تَجَلَّتْ فِي مَرَاقِي الْمَنَابِرِ / ٨٥ - ١
 فَلِلَّهِ مَا قَدْ كَانَ مِنْهُ وَأَجْرُهُ
 عَلَيْهِ وَخَيْرُ الْأَجْرِ نِعْمَةٌ شَاكِرٍ
 وَصَلَّى إِلَهُ الْخَلْقِ مَا هَبَّتِ الصَّبَا
 عَلَى مَرَكَزِ التَّوْحِيدِ قُطْبِ الدَّوَائِرِ

١ في ب: « فلم يحصلوا من نبله فوق طائل » .

٢ في ب: « الحزم » .

٣ في ب: « فحاشى » .

٤ أي: أحد هذين الجيشين، عطاؤه الفياض .

وَلَا زَالَ غَيْثُ الْفَضْلِ يَنْهَلُ بِالرُّضَى
عَلَى الْآلِ وَالْأَصْحَابِ فِي كُلِّ خَاطِرٍ

وواصلها بنثر لا بأس من اثباته هنا، لما اشتمل عليه من البشارة بالهنا، وتكميلاً لفائدته، وجمعاً للموصول وعائده، وهو هذا :

هذه القصيدة - حلى الله طوقها بقلائد القبول - ، وسيلة للحضرة التي اقلامها موقعة لبلوغ المأمول، الحضرة السلطانية، والمثابة المولوية ، حضرة الامام المجاهد المشابر^(١)، الم رابط المشاغر^(٢)، الذي أدرك طائره الميمون أيك ادواح العلا بنحقق أجنحة الوية النصر وبنوده، ولاح بدره المقرون ببرج سعوده وحدا في صعوده، السلطان المنصورة بالله عساكره، المتمثلة في أقصى البلاد أوامره، الذي هادنته الملوك وهادته^(٣)، وتباهت ا - ٨٦ به الدول فتهادته^(٤)، ماليء سجال^(٥) / وفوده من بحر أحسانه، وحامل سلاح جنوده في شزر إنسانه^(٦) :

إِنْ تَلَقَّه لَمْ تَلَقْ إِلَّا جَحْفَلًا وَإِذَا نَظَرْتَ وَجَدْتَ ذَاتًا وَاحِدًا^(٧)

١ في ب: والمشاير .

٢ المشاغر: المطارد، والمهاجم .

٣ هادته: تبادلت معه الهدايا .

٤ نهادته: طلبت منه سبيل الهداية .

٥ السجال: جمع لسجل - بفتح السين وسكون الجيم - وهو الدلو الذي فيه ماء قليل أو كثير، وفي المثل: وفلان ملء الدلو، أي: كثير العطاء .

٦ شزر انسابه: الشزر: النظر بجانب العين، مع اعراض أو غضب، وانسان العين: النقطة السوداء من العين الخارجة .

٧ هذا البيت من البحر الكامل التام، صحيح العروض والضرب .

جواد أثقل حمل نعيمه الغارب^(١) من نوق عفات^(٢)ه الداي، أبو عبد الله محمد بن مولانا علي ضاي^(٣). نصره الله على من عصاه، وملكه ناصية من شق عصاه، ولا زالت أيامه المولوية بازغة الشمس، وسياسته العلمية رائضة الشمس^(٤). وسلام على سيدنا ورحمة الله وبركاته، اوجبت السنة ان تتلى في جامع ثنائكم الجميل آياته .

وبعد: فإنه لما أطلعني الانتقال المعذور في فلككم السعيد. واجلسني السعي المشكور، من بساطكم الرفيع غير بعيد، وجب علي ما يجب لأمثالكم على من فتق الله لسانه بالبيان، وملك تصريف أعنة الفصاحة بالبنان، فانشأ هذه القصيدة التي اشتملت على التزر من ثنائكم الجميلة أوصافه. إذ لا يسع أحداً نقل ماء البحر واغترافه، ولا يحسن بالعاجز إلا اعترافه. وسأشفعها - إن شاء الله - بكتاب، ولو وسعني القدر لكان مما ينوء بالنوق ذوات الاقتاب^(٥) / ومن وجد في محل القول لسانا قائلاً i - ٨٧ فليقل، ومن أراد الخوض في بحر المجرة^(٦) فليطل^(٧)، ما شاء سلمه وليطل^(٨)، على أن الباعث على ذلك محبة، أطارت إليكم الجسم من

- ١ الغارب: الكاهل، وهو ما بين الظهر والعنق .
- ٢ العفاة: مفردة عاف، وهو كل طالب فضل، أو رزق .
- ٣ ضاي: كلمة تركية، معناها المهم والنفيس من كل شيء .
- ٤ الشمس - بفتح الشين - : المتنوع الجامع من الخيل .
- ٥ الاقتاب: جمع قتب - بكسر القاف وسكون التاء وفتحها - وهو الرجل، وفي المثل: « هو قتب بعض بالغارب، أي: هو ملح كثيراً .
- ٦ المجرة: منطقة في السماء فيها نجوم كثيرة بحيث تبدو للرائي كأنها بقعة بيضاء متألقة .
- ٧ فليطل: فعل أمر من أطل الرباعي، نقبض قصر .
- ٨ وليطل: فعل أمر من أطل الرباعي، بمعنى أشرف .

عشه الذي درج فيه من غير جناح، وهل على محب طار فاطال من جناح^(١). وجدير بمن شحذت سبيكته الذهبية، المحن الزمانية، فخلصت من الشوب، وأذابت كورته التركيبية، فابرزت نصرها من لباب الذوب، - أن يستعمل تدبيره في انقاذ عبد ما زال فرارا من نار المحن، وهي تحله وتعقده، ومطارق النكبات تنتظر قبضه وترصده، فانه صدر لحكم من الله تعالى في إبداء أمركم الذي صاحبه السلامة، وأعقبته الكرامة، تعريف لكم بأحوال العباد، فتفقدونها في الشدة والرخا، والزعزاع والرخا^(٢). وها أنا لا منزل آوي إليه، ولا مال أعول عليه، وان نظرت إلى بعين الرحمة، فلا أمسي إلا أغنى هذه الأمة، أبقاكم الله محط الرحال، ومتجعج الآمال. ٨٨ - i والسلام عليكم والرحمة والبركة، حالي السكون والحركة . /

ومن ذلك قوله في معنى يفهم من نثره المتقدم عليها وهذا نصه: «الحمد لله الذي جعل الشعر وسيلة لا ترد، وجانباً لا يحد، وسائلاً لا ينهر، وقاهرراً، وأميناً يؤدى^(٣) الامانات إلى أهلها، ورسولاً يشفع في اخراج النفوس المصلية نار الهجر إلى جنة وصلها، والصلاة والسلام على المؤيد بأسرار البلاغة اعجازاً المقدم بهذا الدين القويم صدوراً من الملل، وعلى آله وأصحابه الذين أحرزوا قصبة السبق في ميدان الشجاعة والفصاحة احراراً، والنصر الذي تهتر لتوقيع أقلامه الأقاليم، وتضطرب لتتابع وقوعه ملل الاقانيم^(٤)، لمولانا الذي أنعش الله بديمه وجوده روض الإسلام أي

١ جناح - بضم أوله - : الريح اللينة التي لا تحرك شيئاً .

٢ الرخاء: بضم أوله: الريح اللينة التي لا تحرك شيئاً

٣ في ب: «يود» بدون ياء .

٤ الاقانيم: جمع اقنوم - بضم أوله - وهو الشخص والأصل من كل شيء، والكلمة سريانية الأصل .

انعاش ، المجاهد في سبيل الله أبي عبد الله مولانا محمد بن علي بكداش .
 فرع الشجرة النبوية السمحاء ، التي أصلها ثابت وفرعها في السماء ، لا زالت
 ألوية الفتح تحقق على تاجه ، وشفاه الملوك تؤدّ تقبيل رتاجه ، هذا وانه
 لما نظم السعد بعقدك الثمين صدقنا ، ورأينا من احسانك وترك ما عن
 مدح غيرك إلى مدحك صرفنا واحتفالك لذلك المحفل السعيد واتحافنا ،
 وتواضعك في شرفك الذي شرفنا ، قلنا نمدح تلك السيرة ، وتحريصاً على
 التمسك بعري هاتيك السريرة ، مع الاعتبار عما طوق الجفون منه ،
 حيث بلغ القلب مامنه ، ومعاذ السلام الذي تذكو نفحاته ، وتزكو غدواته
 وروحاته ، وهي ^(١) :

هَذِي - وَحَقُّكَ - سِيرَةُ الْأُمَرَاءِ	أَهْلِ النَّهْيِ وَذَوِي اللَّهْيِ ^(٢) الْكُرَمَاءِ
بَتَّارْحُونَ لِذِي الْحَدِيثِ فُكَاهَةً	لِعَبِيدِهِمْ كَتَّارِحِ الْخُلَطَاءِ
وَيُوطِّنُونَ لِضَيْفِهِمْ أَكْنَافَهُمْ	حَتَّى يَرَى مِنْ أَقْرَبِ الْقُرَبَاءِ
وَيُؤْنَسُونَ جَلِيسَهُمْ فِي وَخْشَةٍ	أَنْسَ الْبَيْنِ بِصُحْبَةِ الْأَبَاءِ
وَإِذَا اخْتَبَوْا فَلَسَدٌ تُغْرِ بِخَشْيِ	أَوْ فَتْحُهُ بِتَسْمٍ لِقَطَاءِ
أَوْ نُكْتَةٍ عِلْمِيَّةٍ أَوْ حِكْمَةٍ	أَدِيَّةٍ فِي عِفَةٍ وَوَفَاءِ /
وَإِذَا خَلَوْا فَلَذِكْرُ ذَنْبٍ صَادِرٍ	بِتَنْصِلٍ وَتَوْسَلٍ وَبُكَاءِ
وَتَعْلُقُ بِاللَّهِ فِي غُفْرَانِهِ	بِتَضَرُّعٍ وَتَخَشُّعٍ وَبُكَاءِ
وَتَوْسَلُ لِنَبِيِّهِ بِمَدِيحِهِ	نَظْمًا يُقَرِّطُ أَنْجُمَ الْجَوَازِ

١ على وزن البحر الكامل الصحيح العروض المقطوع الضرب .

٢ اللهى : جمع لهوة - بفتح اللام وضمها - هي أجزل العطايا وأفضلها .

مَا زَالَ ذَا هِجِيرٍ ^(١) كُلُّ مُبْجَلٍ
 لَا يَمْتَنِي الْمَلِكُ اللَّيْبُ مَطِيَّةً
 وَإِذَا الْمُلُوكُ تَسَابَقَتْ لِكْرِ يَمَةٍ
 وَلَقَدْ سَمِعْنَا أَنَّهَا شَمَسَتْ فَلَمْ
 حَتَّى أَتَيْتَ - مُحَمَّدٌ - فَدَعَوْتَهَا
 فَأَتَتْكَ طَائِعَةٌ كَأَنَّ لَمْ تَجْمَحْنَ
 فَأَعْرَجَ بِهَا السَّمَاءُ بِعِزٍّ دَائِمٍ ^(٢)
 أَنْتَ الْإِمَامُ بِجَامِعِ الْحَمْدِ الَّذِي
 أَحْيَيْتَ رَسْمَ الْمُلِكِ ^(٣) بَعْدَ إِمَاتِهِ
 يَا أَيُّهَا الْمَلِكُ الْإِمَامُ الْمُرْتَضَى
 أَصْبَحْتَ وَارِثَ مَجْدِ أَمْلَاكِ فَتَتْ
 فَبَلَغْتَ مَا لَمْ يَبْلُغُوا وَفَتَحْتَ مَا
 وَجَلَسْتَ فِي دَارِ الْخِلَافَةِ عَالِمًا
 فَرَوَيْتَ مِنْ مَأْمُونِهَا وَرَشِيدِهَا
 دُمُ رَاقِيًا أَوْجَ السَّعَادَةِ رَامِيًا
 لَوْ قِيلَ لِلْأَيَّامِ مَاذَا تَشْتَهِي
 يَا سَيِّدًا حَازَ السِّيَادَةَ بِإِفْعَاءٍ

مُتَخَلِّقٍ بِالْعَدْلِ غَيْرَ مُرَاءٍ
 مِنْ دُونِهَا تُذْلِيهِ لِلنُّعْمَاءِ
 فَلِمُتَنَظِّبِهَا السَّبْقُ دُونَ عَنَاءِ
 تُرَكِّبُ سِنِينَ تُجَلُّ عَنْ إِحْصَاءِ
 وَرَأَيْتُكَ أَنْجَبَ هَاتِكَ النُّجَبَاءِ
 مُنْقَادَةً لَمْ تَجْنَحْنَ لِإِبَاءِ
 مُتَقَدِّمًا بِمُلُوكِهَا الْعُظَمَاءِ
 أَعْيَى بِلَاغَةِ أُخْطَبِ الْخُطَبَاءِ
 فَمَلَكَتُهُ بِحَيَازَةِ الْأَحْيَاءِ /
 الْمُتَنَظِّقِ سَيْفًا عَلَى الْأَعْدَاءِ
 أَجْسَامُهُمْ وَهُمْ ^(٤) مِنْ الْأَحْيَاءِ
 لَمْ يَفْتَحُوا وَجَمَعْتَ كُلَّ ثَنَاءٍ
 بِحَدِيثِهَا لِلْفَصْلِ وَالْإِقْرَاءِ
 مُسْتَعَصِمًا بِاللَّهِ فِي الْأَوَاءِ
 بِشِهَابِ سَعْدِكَ مَارِدَ الْبَغْضَاءِ
 قَالَتْ بَقَاءُ مُحَمَّدٍ بِبَقَائِي
 نَسَبًا وَعِلْمًا ذَا سَنَاءٍ وَسَنَاءِ

١ الهجير - بكسر أوله وتشديد ثانيه - : الدأب والعادة .

٢ في ب : « السماء عز دائم » .

٣ رسم الملك : علامته وشعاره .

٤ وهم : باشباع الميم لاستقامة الوزن .

لُقِّبْتَ «بِكُدَاشًا»^(١) فَكُنْتَ عَلَى الْعِدَا
 لَوْ لَقَبُوكَ «يَوْمَشَقًا»^(٢) لَمْ يَذْهَبُوا
 دُمٌ رَاحِمًا لِلْمُؤْمِنِينَ وَرَاجِمًا
 إِنِّي - وَحَقُّكَ - مِنْ هَوَاكَ مَوْلَةٌ
 فَعَلْتَ سَمَائِلُكَ اللَّطِيفَةَ بِالْحِجَبِ
 مَا كَانَ نَوْمِي عَنْ سَمَائِلِكَ غَفْلَةً
 بَلْ لَمْ يَنْمَ طَرْفِي وَلَكِنْ رَدُّهُ
 لَا زَالَ قَائِمٌ سَيْفِ نَصْرِ الْحَقِّ فِي
 خُذَهَا إِلَيْكَ قِلَادَةً^(٣) مَا قَلَّدَتْ
 غَيْدَاءُ^(٤) تَرْفُلُ فِي حُلَى إِحْسَانِهَا

حَجَرًا أَصَمَّ مُفْتَتَ الْأَعْضَاءِ
 لَتَطَابُقِ الْأَفْعَالِ وَالْأَسْمَاءِ
 لِلْكَافِرِينَ بِوَارِسِ الْحَضْبَاءِ^(٥)
 زِدْنِي ! فِدَاءُ الْحُبِّ فِيكَ دَوَائِي / أ - ٩٢
 فِعْلَ الشُّمُولِ^(٦) وَفَعْلَةَ الْإِغْضَاءِ
 لَكِنْ - وَحَقُّكَ - كَانَ لَا سُنْحِيَاءِ
 مِنْكَ الْجَلَالُ فَمَالِ لِلْإِغْضَاءِ
 يُمْنَاكَ يَضْرِبُ هَامَةً الْأَغْدَاءِ
 مِنْ قَبْلِ جِيدِكَ جِيدَ ذَاتِ بَهَاءِ
 تَزْرِي بِكُلِّ مَلِيحَةٍ حَسَنَاءِ

١ بكداش - معناه في اللسان الفارسي - : لا نظير له ، وفي اللسان التركي : الحجر القاسي الأصم ، وهو

المراد به هنا . وقد أشار إلى معنى هذه الكلمة محمد بن ميمون في ص : ١٤٦ من هذا الكتاب .

٢ يومشقا : معناه - باللغة التركية - : اللين ، وهو ضد معنى «بكداش» .

٣ وارس الحصاء : الحجارة الحمراء .

٤ الشمول : الخمر .

٥ في ب : «نقبة» .

٦ الغدا : اللينة الاعطاف ، الناعمة البشرة .

مَا ضَمَّهَا قَصْرُ ابْنِ عَبَّادٍ^(١) وَلَا
 قُصِرَتْ بِبَيْتِ مَقَاصِرِ الزُّهْرَاءِ^(٢)
 ثُمَّ الصَّلَاةُ عَلَى النَّبِيِّ مُحَمَّدٍ
 مَعَ آلِهِ وَصَحَابِهِ النَّجَبَاءِ

١ ابن عباد: هو أحد ملوك الطوائف من بني عباد الذين تولوا حكم اشبيلية بالأندلس، أول من أسس دولتهم أبو القاسم محمد ابن عباد الشامي الأصل، وآخرهم المعتمد بن عباد أمير اشبيلية وشاعرها، وقد مات سجيناً في «اغمات» بالمغرب الأقصى سنة ٤٨٨ هـ / ١٠٩٥ م وإليه ينسب قصر اشبيلية، فيقال «قصر المعتمد بن عباد». (الزركلي، خير الدين، الأعلام. القاهرة: مطبعة كوستا نومان وشركاؤه ج: ٧ ص: ٥٠) .

٢ في ب: «غنت بروض» .

٣ الزهراء: مدينة صغيرة جميلة قرب قرطبة أنشأها الخليفة الأموي عبد الرحمن الناصر لدين الله سنة ٣٢٥ هـ / ٩٣٧ م. (عبد الله عنان، الآثار الأندلسية الباقية، القاهرة: مطبعة لجنة التأليف والترجمة والنشر، ١٩٦١ م . ص: ٣٥) .

المقامة التاسعة

في ذكر الخروج لوهران بقصد غزو الكفرة.

وما حدث بعده من مقاتلة اللثام الفجرة

وذلك أنه لما ساعدتهم الأيام. ومكثوا في المدينة مائتين وخمسة أعوام^(١). وبنوا الحصون وشيدوها. وتملكوا الأوطان ومهدوها. صاروا يغزون الإسلام. من نحو أربعة أو خمسة أيام. فكم من عالم اسروا. / وكم من شريف نصروا، وكم من ولدان، مرتدين إلى الآن. وكم من عروب أتراب^(٢). تولغ فيهن^(٣) الكلاب. وكان بنو عامر^(٤) أول من دخل تحت بيعتهم من المسلمين. عليهم ما يستحقون من الخزي إلى يوم الدين. أمة

١ سقطت مدينة وهران في أيدي الأسبانيين في أواخر المحرم سنة ٩١٤ هـ أو آخر ماي ١٥٠٨ م وفي صبيحة يوم الجمعة من ٢٦ لشهر شوال سنة ١١١٩ هـ ٢٠ جانفي ١٧٠٨ م فتحها - عنوة - مصطفى أبو الشلاغم باي الأبالسة الوهرانية، و «أوزن حسن» خليفة الداوي وصهره.

٢ العروب من النساء: الصحاكة، أو الناشزة من زوجها، والأتراپ: ذوات السن الواحد.

٣ في ب: «فيهم».

٤ بنو عامر: نسبة إلى عامر بن صعصعة بن معاوية بن بكر بن هوازن. وهم بطن كبير من مضر. كانوا متفرقين في أصقاع الجزيرة العربية، وبالأخص في نواحي الشام. ومنازلهم معروفة بفلسطين بـ «برج بني عامر». وقد امتنعوا أن يشاركوا في حرب أهل الردة. واستوطنوا الشمال الأفريقي. وبالأخص المغرب الأوسط (القطر الجزائري) على عهد الفاطميين أبان الزحف الهلالي سنة ٤٤٢ هـ / ١٠٥٠ - ١٠٥١ م (عبد القادر المشرفي، بهجة الناظر في أخبار الداخلين تحت ولاية الأسبانيين بوهران من الأعراب كني عامر. تحقيق محمد بن عبد الكريم بيروت. مطبعة دار الحياة ١٩٧٢ م ص: ١-٥٥).

لا تعقل رشدًا، ولا تجري إلى ما تقتضيه نعم الله عندها، ولا تطلع عن
أذى نفسه^(١) قرباً وبعداً جهداً، فصاروا لا يرعون لجار ولا لغيره حرمة،
ولا يرقبون في مؤمن إلا^(٢) ولا ذمة، قد أعماهم عن مصالحهم الأشر،
وأضلهم ضللاً بعيداً البطر، ونبذوا المعروف وراء ظهورهم. وأتوا ما
ينكر مقتدياً صغيرهم بكبيرهم، وخاملهم^(٣) بمشهورهم، ليس فيهم زاجر،
ولا منهم إلا غاوي فاجر، يغزون الكافر على المسلمين، ويغزونهم به في
كل كمين، ومع ذلك يعطون^(٤) له الجزية عن يد وهم صاغرون، ويعتقدون
أ - ٩٤ أنهم مؤمنون، ولما تفاقم أمرها وثقل على المسلمين ضررها، حرض العلماء /
على القتال، بقصائد تشف على اللب وتذهب بالبال، منهم الناظم النائر،
الكثير المعالي والمآثر، الذي لا يدرك باعه، ولا يترك اقتفاؤه واتباعه، السيد
ابن عبد الله، محمد، بن محمد، بن علي، بن يسعد، بن سعيد،
ابن عبد الواحد ابن يحيى، بن العباس، الملقب بابن آقوجيل^(٥).
ان ثر رأيت البحر الزاخر، وان نظم قلد الاجياد دراً تباهي به وتفاخر،
ومذ كان أول من بدا في الجزائر وظهر، وتسمى ببحر القريض واشتهر،
تسد إليه السهام، وتتقده الخواطر والافهام، فلا يوصف له غرض،
ولا يوجد في جوهر انسانيه عرض، وهو في زمانه بدر أفاق، وموقف الاختلاف

١ في ب: «نفسه» .

٢ إلا: عهداً .

٣ في ب: «خاملهم» .

٤ في ب: «يعطوا» .

٥ في أ: «القرجيلي الجزائري» .

والاتفاق. مع جريه في ميدان التفسير إلى منتهاه، وتصرف بين سهيله^(١) وسهاه^(٢)، وله تصانيف في العلوم ألف فيها ما ألف، وتقدم فيها وما تخلف. ولو أدرك يوم الفتح^(٣) لتعلق بأذيال المولى، ولهناه بقصائد / تعيها القلوب أ - ٩٥ وتلى، ومما صدر عنه في التحريض المشار إليه، والاغراء المنبه عليه، قوله بمدح بعض ملوك المتقدمين^(٤). وهي هذه^(٥) :

بِسَعَادَةٍ تَجْدِيدِكُمْ وَسُرُورٍ ^(٦)	وَبِهِ الْهَنَاءُ عَلَى مَرٍّ دُهُورٍ
طَلَعَتْ طَوَالِعُ سَعْدِكُمْ مَقْرُونَةً	بِالْيَمْنِ وَالتَّسْدِيدِ وَالتَّيْسِيرِ
فَرِحَتْ جَزَائِرُنَا بِكُمْ وَتَأَنَسَتْ	بِمَقَامِكُمْ فِيهَا بِحَالِ حُبُورٍ
بَدَعُوا الْإِلَهَ جَمِيعٌ مَنْ فِيهَا لَكُمْ	بِالنُّصْرِ وَالتَّأْيِيدِ وَالتَّبَشِيرِ
يَرْجُونَ مِنْ ذِي الْعَرْشِ أَنْ لَا يَرْتَقِي	فِي مُلْكِنَا - ذَا - غَيْرُكُمْ بِسَرِيرٍ
فَأَجَابَنَا اللَّهُ الْمُجِيبُ دُعَاءَ مَنْ	يُضْطَرُّ وَهُوَ مُجِيبُ كُلِّ صَبُورٍ
مَذُ قُتْمُ بِأُمُورِنَا وَتُصَرِّفَتْ	عَنْ إِذْنِكُمْ وَثَقَّتْ عُرَى التَّذِيرِ
دَبْرَتُمْ أَمْرَ الْبِلَادِ وَصُتْمُ	أَحْوَالَهَا جُهْدًا مِنْ التَّغْيِيرِ
وَحَفِظْتُمْ أَمْرَ الْمَرْتَبِ ^(٧) بَعْدَمَا	قَدْ كَانَ فِي ضَيْقٍ وَفِي تَغْيِيرٍ / أ - ٩٦

- ١ سهل: نجم مشرق يطلع على بلاد العرب في أواخر أيام القبط.
- ٢ السهى: كوكب خفي من بنات النعش الصغير. يمنحن الناس به أبصارهم، وفي المثل: «أريها السهى ونزني القمر». والمراد أنه لم يترك كبيرة ولا صغيرة إلا أبداها في تفسيره وتصرف في تأويله.
- ٣ أي يوم فتح وهران.
- ٤ هو أبو العباس الحاج أحمد داي نولى سنة ١١٠٦ هـ / ١٦٩٥ م ودام حكمه إلى سنة ١١٠٩ هـ / ١٦٩٨ م.
- ٥ القصيدة من البحر الكامل الصحيح العروض المقطوع الضرب.
- ٦ سرور - بالجر - معطوف على «بسعادة».
- ٧ هنا بما يدلنا أن صاحب القصيدة كانت له جراية يتقاضاها على عهد مملوحه.

يَهْنَى - أبا العباس^(١) - مُلْكُ بِلَادِنَا
 كُلُّ الْمَحَاسِنِ وَالْمَفَاحِرِ قَدْ بَدَتْ
 وَلَقَدْ عَهْدْنَاَهَا زَمَانًا سَالِفًا
 فَتَبَدَّلَتْ تِلْكَ الْمَحَاسِنُ غُصَّةً
 فِي كُلِّ يَوْمٍ مِخْنَةً تُغْزِي بِهَا
 تَرْمِي الْمَغَارِمَ كُلَّ حِينٍ مِثْلَمَا
 ضَاقَتْ أُمُورُ الْمُسْلِمِينَ وَكُلِفُوا
 وَاللَّهُ حَرَّمَ عِرْضَنَا وَدِمَاءَنَا
 إِلَّا إِذَا مَا الْمَرْءُ أَوْجَبَ زَلَّةً
 بِالْقَتْلِ أَوْ بِالْقَطْعِ أَوْ بِالضَّرْبِ أَوْ
 وَرَجَوْا بِعَدْلِكَ أَنْ تُدَافِعَ عَنْهُمْ
 ٩٧ فَاللَّهُ وَلَّاكَ الْعِبَادَ وَرَعِيَهُمْ
 وَاشْكُرْ عَلَى النِّعْمَاءِ رَبَّكَ إِنَّهُ
 إِنْ تَنَصَّرُوا اللَّهُ الْعَظِيمَ جَلَالُهُ
 إِنْ الْإِمَامَ الْعَدْلَ فِي سَبْعِ لَهْمٍ

مَا مِثْلَهَا بَلَدٌ بِنَقْدِ بَصِيرٍ
 فِيهَا لِرَوْتِ بَهْجَةٍ وَقُصُورٍ
 مَا إِنْ بِهَا حَدَثُ بَمِرٍ عُصُورٍ
 وَعَظِيمِ أَهْوَالٍ وَكُلِّ عَسِيرٍ
 تَرْمِي الْقُلُوبَ بِدَهْشَةٍ وَشُرُورٍ
 تَرْمِي عَلَى ذِي الذُّمَّةِ الْمَقْهُورِ
 غُرْمًا طَوِيلًا فِي مَدِيدِ شُهُورٍ
 وَالْمَالُ - أَيْضًا - ثَالِثُ الْمَحْظُورِ^(٢)
 بِحُدُودِهَا تُدْرِي لَدَى الْمَسْطُورِ^(٣)
 بِالسَّجْنِ أَوْ بِالنَّفْيِ لِلتَّغْزِيرِ
 شَرَّ الْعَدُوِّ بِهِمْ دِفَاعَ غِيُورٍ
 فَانْظُرْ لَهُمْ فِي صَالِحَاتِ أُمُورٍ /
 مِنْ فَضْلِهِ يُرْجَى جَزَاءُ شُكُورٍ
 يَنْصُرُكُمْ وَهُوَ الْأَعَزُّ نَصِيرٍ
 ظِلُّ الْإِلَهِ يَوْمَ نَفَخِ الصُّورِ^(٤)

١ أبا العباس: على حذف النداء. تقديره: يا أبا العباس.

٢ فيه إشارة لما رواه مسلم والترمذي في صحيحهما عن أبي هريرة - رضي الله عنه - أن رسول الله ﷺ قال: «كُلُّ الْمُسْلِمِ عَلَى الْمُسْلِمِ حَرَامٌ: دَمُهُ وَعِرْضُهُ وَمَالُهُ».

٣ المسطور: كتاب الله الكريم.

٤ فيه إشارة لما رواه البخاري ومسلم عن أبي هريرة - رضي الله عنه - عن النبي ﷺ قال: «سَبْعَةٌ يُظِلُّهُمُ اللَّهُ فِي ظِلِّهِ يَوْمَ لَا ظِلَّ إِلَّا ظِلُّهُ، إِمَامٌ عَادِلٌ وَشَابٌ نَشَأَ فِي عِبَادَةِ اللَّهِ وَرَجُلٌ قَلْبُهُ مُغْلَقٌ بِالْمَسَاحِدِ، وَرَجُلَانِ تَحَابَّا فِي اللَّهِ اجْتَمَعَا عَلَيْهِ وَتَفَرَّقَا عَلَيْهِ، وَرَجُلٌ دَعَتْهُ امْرَأَةٌ ذَاتُ مَنْصِبٍ وَجَمَالَ فَقَالَ: إِنِّي أَخَافُ =

وَلَتَلْتَفِتْ نَحْوَ الْجِهَادِ بِقُوَّةٍ
 جَهَّزَ جِيُوشًا كَالْأَسُودِ وَسَرَّحَنَ
 أَضْرِمَ عَلَى الْكُفَّارِ نَارَ الْحَرْبِ لَا
 وَبَغْرَبْنَا «وَهْرَانُ» ضِرْسٌ مُؤَلِّمٌ
 كَمْ قَدْ أَذَتْ مِنْ مُسْلِمِينَ وَكَمْ سَبَتْ
 حَلَّتْ بِأَرْضِ الْمُسْلِمِينَ فَهَلْ لَهَا
 يُرْخِي كَلَاكِلُهُ عَلَيْهَا بَغْتَةً
 فَانْهَضَ بِعِزِّكَ نَحْوَهَا مُسْتَنْصِرًا
 بَعَا كِرَ مِثْلِ السُّيُولِ تَزَاوَحَتْ
 أَوْ كَالسَّحَابِ بُرُوقُهُ وَرُعُودُهُ
 تُلْقِي عَلَى الْكُفَّارِ مِنْهَا صَوَاعِقًا
 وَمَوَابِقَ كُمْتُ وَشُهْبٌ أَضْرِمَتْ
 مِنْ كُلِّ مِقْدَامٍ إِذَا نَارُ الْوَغَى
 مَا أَنْ لَهَا مِنْ رَاحَةٍ إِلَّا إِذَا
 بَادِرَ بِنَا نَغْرُو الْعَدُوَّ وَسَارِعَنْ
 وَأَمْرُ جِيُوشِكَ بِالتَّاهِبِ لِلْعِدَا

وَالْكَفَرِ اقْطَعْ أَصْلَهُ بِذُكُورِ
 تِلْكَ الْجَوَارِي فِي عُبَابِ بُحُورِ^(١)
 تَقْلَعُ وَلَا تُهْمِلُهُمْ بِفُتُورِ^(٢)
 سَهْلُ اقْتِلَاعٍ فِي اعْتِنَاءِ يَسِيرِ^(٣)
 مِنْهُمْ بِقَهْرِ أُسِيرَةٍ وَأَسِيرِ
 مِنْ عَسْكَرٍ عِنْدَ الصَّبَاحِ مُغِيرِ
 تَأْتِيهِمْ فِي عِزَّةٍ الْمَقْدُورِ
 بِاللَّهِ فِي جِدِّ وَفِي تَشْمِيرِ
 لِلْسَّبْقِ تَحْتَ لِيَوَائِكَ الْمَنْصُورِ /
 نَارُ الْمَكَاحِلِ^(٤) أَوْقَدَتْ بِزَفِيرِ
 مَخْخُوفَةٍ بِرِصَاصِهَا الْمَسْطُورِ
 عِنْدَ اللَّقَا تَنْقُضُ وَقَعَ صُخُورِ
 حَمِيَّتِ بِخَوْضٍ لَهَيْبِهَا بِصُدُورِ
 سَفَكَ الدَّمَاءَ وَكَرَّ كَرَّ هَصُورِ
 فِي حَسْمِ شَوْكَتِهِمْ وَفِي التَّدْمِيرِ
 وَالْحَزْمِ حَرَضَ عَزْمَهُمْ لِنَفِيرِ

٩٨ - أ

الله، وَرَجُلٌ نَصْدُقُ بِصَدَقَةٍ فَأَخْفَاهَا حَتَّى لَا تَعْلَمُ شِمَالَهُ بِمَا تُنْفِقُ بَيْنَهُ، وَرَجُلٌ ذَكَرَ اللَّهَ خَالِيًا، فَفَاضَتْ عَيْنَاهُ.

١ الجوّاري: السفن.

٢ تهملهم: باشباع الميم ليستقيم الوزن.

٣ حذف التنوين من «اعتناء» نزولا عند رغبة الوزن.

٤ المكاحل: جمع مكحلة، وهي البندقية، والكلمة اقليلية.

أَقْصَدُ بِلَادَ الْكُفْرِ شَتَّ شَمْلَهَا
مَرْفَهُمْ أَيْدِي سَبَا^١ حَتَّى يَرَوْا
وَأَسْبَ الذَّرَارِي وَالْحَرِيمَ وَعَجَلْنَ
أَقْتَلَهُمْ قَتْلًا ذَرِيعًا وَاتْرُكْنَ
فَإِذَا فَتَحْتَ^٢ وَقَدْ ظَفِرْتَ^٣ بِيَغِيَةٍ
وَقَسَمْتَ - ثُمَّ - مَغَانِمًا حِلًّا وَقَدْ
فَارَعَ الرَّعِيَّةَ خَيْرَ رَاعٍ سُنْهُمْ
شَاوَزَ ذَوِي عِلْمٍ وَدِينٍ نَاصِحٍ
فَالْعِلْمُ مِيرَاثُ النُّبُوَّةِ نَالُهُ
كَمْ فِي بِلَادِكَ مِنْ نَجِيبٍ حَافِظٍ
وَمُحَقِّقٍ وَمُدَقِّقٍ وَمُنَاطِرٍ
وَمُحَدِّثٍ مُتَمَهِّرٍ وَمُدْرَسٍ
لَكِنَّهُمْ فَقَدُوا الْإِعَانَةَ وَاعْتَدُوا
ضَاعُوا وَجَاعُوا لَا مَحَالَةَ وَابْتَلُوا

٩٩ - ١

خَرَّبَ بِهَا^٤ مَا كَانَ مِنْ مَعْمُورٍ
قَدْ حِيلَ بَيْنَ صَغِيرِهِمْ وَكَبِيرِ
لِلنَّارِ كُلِّ مُقَاتِلٍ يَفْجُورٍ^٥
أَشْلَاءَهُمْ تَنَأَ لَطْعَمِ نُسُورٍ
وَقَفَلَتْ بَعْدَ سَعْيِكَ الْمَشْكُورِ /
سَبَقَ الْكِرَاعُ بِمَالِهَا الْمُؤَفَّرِ
بِسِيَاسَةٍ مِنْ عَدْلِكَ الْمَشُورِ
وَدَعَ الْغَوَاةَ وَكُلَّ ذِي تَزْوِيرٍ
قَوْمٌ لَهُمْ حَظٌّ مِنَ التَّنْوِيرِ
وَمُشَارِكٍ فِي النِّظْمِ وَالْمَشُورِ
مِنْ كُلِّ دَارِكٍ لِلْحِجَى نَحْوِيرٍ
مُتَبَخَّرٍ فِي الْفِقْهِ وَالتَّفْسِيرِ
مَا إِنْ يُرَاعِيهِمْ ذَوُو التَّأْمِيرِ
فِي ذَا الزَّمَانِ الصَّغْبِ بِالتَّقْيِيرِ

١ في ب: «من» .

٢ جاء في المثل: تفرق القوم أيدي سبا وأيادي سبا. سبا هذا أو سبا - مهموز - هو الأب لعامة قبائل اليمن، والمعنى: أنهم نبذوا ونشتوا نشتاً لا اجتماع بعده، وسبب ذلك أن الله قد أرسل على تلك الأرض سبلاً عزيزاً فأغرقها، وذهب بجناتها وقصورها، فترح سبا بقومه وأخذوا بضربون في الأرض فضرب بهم المثل، والمراد بأيدي سبا أو أبيادي سبا جنوده .

٣ يفجور: كثير الفجور .

٤ أي فتحت مدينة وهران .

٥ ظفرت في ب: «بشرت» .

مُنِعُوا حُقُوقَهُمْ^(١) بِمَالِ اللَّهِ لَا
 حَتَّى حَبِيسٌ كَانَ يَلْتَقِطُونَهُ
 لَا يَنْبَغِي أَنْ يُحَرَّمَ الْأَحْبَاسَ مَنْ
 وَالْبَعْضُ يُنَحِّهَا وَيَصْرِفُهَا لَدَى
 وَلَهُمْ وَجُودُكَ بِالْإِعَانَةِ ضَامِنٌ
 فَارْدُدْ حَبِيسًا - قَلٌّ - يَمْتَصُونَهُ
 وَتُعَوِّضُونَ بِحَوْلِ رَبِّي كَثْرَةً
 يَا أَيُّهَا الْمَلِكُ الَّذِي تَرْجُو بِهِ
 إِنِّي نَصَحْتُكَ وَالنَّصِيحَةُ دِينُنَا
 بِقَصِيدَةِ مَسْبُوكَةِ الْأَلْفَاظِ قَدْ
 أَلْفَاظُهَا الدُّرُّ النَّفِيسُ تَنْظَمَتْ
 إِذْ قَصَدْتُهُمْ بِنِظَامِهِمْ طَلَبُ الدُّنَا
 مَا إِنْ بِهِ طَمَعٌ يَشِينُ وَلَا هَوًى
 أَرْجُو بِهِ نَيْلَ الْأَجُورِ مَعَ الرِّضَى
 هَذِي هَدِيَّتُنَا إِلَيْكَ وَلَسْتُ ذَا
 فَاللَّهُ يُبْقِيكُمْ^(٢) لِنَفْعِ بِلَادِنَا

يُرْجَى لَهُمْ طَمَعٌ وَلَوْ بِنَقِيرِ
 حُرْمَتِهِ هَذَا غَايَةُ التَّنْفِيرِ
 إِنْ يُعْطَاهَا تُصَرَّفُ لِكُلِّ ضَرُورٍ /
 شَرِبَ الدُّخَانَ وَخِصَّةً وَخُمُورٍ
 حَتَّى يَعُودَ الْعُسْرُ بِالتَّيْسِيرِ^(٣)
 مَصَّ النَّوَاةِ وَنُقْرَةَ الْقَطْمِيرِ
 مِنْ مَالِ كُلِّ مُعَانِدٍ وَكَفُورٍ
 عَدْلًا يَنْوُطُ بِذِي الْغِنَا وَقَقِيرِ
 فَاقْبَلْ وَلَمْ يَنْصَحْكَ دُونَ خَيْرِ
 حَرَرْتُهَا فِي غَايَةِ التَّخْرِيرِ
 فَاقْتِ نِظَامَ «فَرَزْدَقٍ» وَجَرِيرِ
 وَالْقَصْدُ فِي ذَا النِّظْمِ نَصْحُ أَمِيرٍ
 مِنْ وَصَلِ غَايَةِ وَوَصَفِ خُدُورِ
 وَبِصَالِحِ الْأَعْمَالِ نَيْلُ أَجُورِ
 وَفَرِّ فَأَهْدِي مُثْقَلَ الْمَوْفُورِ /
 ظِلًّا ظَلِيلًا غَايَةَ التَّغْيِيرِ

وكان الأمير^(٤) الذي قبل مولانا أرسل خمسين من الاخبية، يحاصرون

١ حُقُوقَهُمْ : بأشباع الميم ليستقيم الوزن .

٢ في ب : و للتسير ، بلام الجر .

٣ يبقكم - بأشباع الميم - : ليستقيم الوزن .

٤ الأمير : هو الباشا السيد حسن خوجة الشريف، تولى سنة ١١١٧ هـ - ١٧٠٥ م .

الطائفة الباغية، ويأكلون الضرع، ويفسدون الزرع، وذلك أول صفر من سنة ثمان عشرة^(١) حتى يخرج هو بنفسه، ويباشر قتالها بحسه، فلما أدركه العذل، وانقلب للجد الهزل، وصار الأمر لمولانا «بكداش»، لم يقدم شيئاً على الاعتناء بجهاد الكفرة الأوباش، فجمع من حينه العسكر المنصور، وأمر عليهم السيد حسن^(٢)، نصره الله وأيده، وخلد ملكه وأيده، ثم قام المولى في عساكره المنصورة بالله وقال: «هذا خليفتي عليكم في كل حال، تخيرته للنيابة عني في تدبيركم، والقيام بالدقيق والجليل من أموركم. وقد رسمت له من وجوه الذب والحماية، معالم الرفق والرعاية. ما التزم الاستيفاء به. والوقوف بجده عند حده. والمسؤول في عونه من لا عون إلا من عنده / . ولن أعرفكم من حميد خصاله، وسديد فعاله. إلا بما سيبدو للعيان، ويزكو مع الامتحان، ويفشو من قبيلكم - إن شاء الله - على كل لسان، وقد أمرته أن يكون لناشئكم أبا، ولكهلكم أخا. ولذي التقويس^(٣) والكبر ابناً، ما أعنتموه على هذا المراد، ولزوم الانقياد. وأما من شق العصا، وبان عن الطاعة وعصى، فهو القاصي، ولو مُت إليه بالرحم الداني، فكونوا له خير رعية بالسمع والطاعة في جميع الأحوال، يكن لكم بالبر والموالاة خير وال» .

فقالوا كلهم: أن نعم، لله دره من خليفة وأنعم، فأقام فيهم سوق المعارف على ساقها، وأبدع في انتظام مجالسها واتساقها، وأوضح رسمها،

١ أي سنة ١١١٨ هـ - ١٧٠٦ م .

٢ حسن: صهره أوزن حسن .

٣ لذي التقويس: لصاحب الظهر المقوس، من جرّاء الشبخوخة والكبر .

وأثبت في جبين ايوانه وسمها . ثم ارتحل من الجزائر بالعسكر المنصور .
ورباح النصر تضرب اللواء المنشور . ولم يزل يجد سيره في حفظ الله إلى
أن نزل بالمحلات . وطاول المدلات . فطارت نفس الكافر في أثناء منازلهم
جزعاً . وذهب روعه مقسماً بالانكاد موزعاً ، ونغصت عليه منيته . وجاءته
منيته . حتى ما كان يلتفت إلى / رهج^(١) يغشاه . ولا يصبح^(٢) إلى رجة
تقلقل حشاه . ولما اقترس لذلك الأمير المتقدم هذا الليث . وطمس رسومه
هذا الفيث . وخاطبه بالسنة الاغماد^(٣) . ورماه بداهية زناد ، بقي الحفيد
يتشوف لافق الملك وقد أفلت نجومه . محترساً من ذلك الليث الذي
اقترسهم هجومه . في ظنه أنه ينتهز الفرصة في غيبته ، ويسترد ذهاب
دولته . ولم يدر أن مولانا - نصره الله - انما تخلف عن الجهاد ليحمي
الدولة من انقراضها . ويرمي من سعى في انتقاضها . فأتت به يوماً المنية ،
وتخطت به تلك السنة . وبقي مولانا عزيز الدولة على رسمه ، مخطوب
في منابرهما باسمه . والاثنان اللذان كانا من الجند مع الحفيد ، اغواهما
الشيطان المريد ، حتى دبت اليهما تلك الأفاعي ، واشتملت عليهما المساعي ،
فخر جميعهم من عرشهم ، وعوضوا التراب من فرشهم^(٤) ، فتبارك من لا
يكبده كائد ، ولا يبيد ملكه - وكل شيء بائد - . /

١ الرهج: غبار يتطاير أثناء الحرب .

٢ يصبح: يصفي ويستمع .

٣ السنة الاغماد: السيوف .

٤ كناية عن موتهم .

المقامة العاشرة

في حصر حصن العيون^(١) . وكيف

استفتحته - عنوة - المسلمون

حصر هذا الحصن حامي حمى الدين وعاضده، وقاطع ضر المعتدين وحاصده. الذي هد بعزمه الجبال الشوامخ. واجتث بعزمه الأصول الرواسخ. الأمين المؤتمن. السيد «أوزن حسن». وذلك في ليلة النصب. من شهر ربيع الأول الانور النبوي سنة تسع عشرة ومائة وألف^(٢) . فكان هذا الحصن أول ما نزل بساحة أهله فساء صباحهم. وشاغت وجوههم. وأحاط بهم سوء كسبهم. وحق بهم وبال أمرهم. فقتلوا خارجة. وسوجلوا فيه القتال بكرة وعشية. ولما كاثروهم أولياء الله يعلو - بكلمتين^(٣) - نداؤهم. وتكاثر أزهار البطحاء المختلفة الألوان راياتهم. لجأ - سراعاً - من انتشر بذلك السهل العريض من الأمم الكافرة. والنسم الغادرة. إلى مصدر الحصن. وكانوا في هذه المرة القريبة أوسعوه تحصيناً. ونصحوا^(٤)

١ حصن العيون: يقال له - أيضاً - : «برج العيون» و«برج الويسي» نسبة إلى أحد رؤساء المدينة المسمى

بابن الويسي شيدته الأسبان لحماية العيون التي يستقى منها أهل البلاد. ويعرف عند الأسبان بـ

CASTILLOS-FERNANDO. (عبد الرحمن الجامعي . المصدر السابق . ص: ٦٠ - ٦٢) .

٢ الموافق لـ (١٤ جوان ١٧٠٧ م) .

٣ بكلمتين: الله أكبر

٤ نصحوا أبواب عورته: خاطوها. وهي كناية عن رص بنيانه. وسد جميع منافذه .

أثواب عوراته ترمياً وتشديداً. / والمدافع تصرخ عليهم ، والبونبات تنوشهم ،
 بعد مرافعات صعبة ، وحملات مرة ، ومدافعات تجاه بابه استوعب ليفهم
 معها التحصن ، واستكملوا التمتع ، وهم ألوف حذر الموت يحضرون ،
 وإلى الملجأ يتسابقون ويهرعون ، وصدقهم المسلمون الضمة فدخلوا خندق
 الحصن صابرين ، وتسمنوا سوره ظاهرين ، بعد اثنان القتل واعمال
 السيف ، وبعد أن سدت مسالكه جثث القتلى ، وملئت الرحاب أشده
 الصرعى^(١) ، ثم عاطوا من تحصن بالحصن كؤوس القتال ، وأرسلوا عليهم
 صواحب النبال ، وتعلقوا بأسواره يقرعون الثنايا ، ويطلعون عليهم وجوه
 المنايا ، واستنجدت آلات النقب والقفر ، وطيرت إلى ذلك المعتصم المخفور^(٢)
 من ذمة الله حجارة الرجز^(٣) ، حتى غشيه السماء من البارود بدخان
 مبین ، وعذاب أليم ، ورمتهم المدافع بمحارق الشيطان الرجيم ، ولتصف
 اليوم بعده القوا بالإذعان إلى حكم المسلمين ، فانزلوا أعلامهم آخر النهار ،
 بعد / أن علت بنود الإسلام على الاسوار ، ومن الغد عمت فيه سباياهم
 الظهور والاكفال ، وتجاذبت مقاتلتهم^(٤) وجلداهم^(٥) السلاسل والحبال ،
 وصلصلت لامتطاء نبهائهم الاصفاد والاكبال ، فخرجوا وقد خلفوا المنازل
 مملوءة بالنعم والاقوات ، والأمتعة والآلات ، فخلفهم المسلمون انتهابا

١ أشده الصرعى : أشدهم حيرة ودهشا .

٢ المعتصم المخفور : الحصن .

٣ الرجز : العذاب .

٤ مقاتلتهم : المقاتلة الذين بأخفون في القتال والتاء للتأنيث على تأويل الجماعة .

٥ الجلداء : ذور الشدة وأصحاب القوة ، مفردة جليد .

لكثيرها، واستلابا لخطيرها^(١)، حتى لم تبق يد إلا ملئت ولا نعمة إلا سببت، سخط من أهلك القرى لما بطرت معيشتها، وأذل الأمم لما ركبت بغيرها، فسبحانه لا مبدل لكلماته، ولا دافع لنعمائه، فصمتت ألسن نواقيسهم المصطخبة، ومزقت أشلاء تماثيلهم المتبرجة. وسكبت دماء أحيائهم فوق دماء من قتلوه، وجوزوا جزاء الضعف^(٢) بما فعلوه. فيا بردها على كبد الإسلام من نار مشبوبة وأوثاق مطروحة، وأغلاق مفضوضة، ﴿وَكَذَلِكَ أَخْذَ رَبُّكَ إِذَا أَخَذَ الْقُرَىٰ وَهِيَ ظَالِمَةٌ﴾^(٣) وقفل الجيش يجلب نصر الاكفاء له، وصنع صنعا لا أعهد مثله، وقد رفعت ألويته الخافقة على رماح الفخر، وفازت سيوفه الماضية بادراك الثار، وظل محل الصبيحة، ١ ومنزل النعمة، ومسرح / الفئة الكافرة الباغية ترده أفواج من عصائب الطير تتداعى الجفلى^(٤)، وتتجاذب للوليمة العظمى، واستباححت سيوف الله فيها من النسم^(٥) أعماراً عدة، ومن الحماة أولى بأس وشدة، أوزع^(٦) الله شكر هذه النعماء وكتب للإسلام حسن العقبي، وأما ما أسر منهم فخمسمائة وخمسة وأربعون، ليس فيهم أنثى ولا صغير إلا المردة^(٧) المحاربون، وكان

١ الخطيرة: النفية الرفيعة .

٢ جزاء الضعف: جزاء مضعفا .

٣ سورة هود، الآية: ١٠٢ .

٤ الجفلى: بفتح أوله وثانيه، هي أن تدعو الناس إلى طعامك دعوة عامة من غير اختصاص. يقال: ودعي فلان في القرى لا في الجفلى، أي: في الدعوة الخاصة لا في العامة، والنقرى: بفتح أوله وثانيه الدعوة الخاصة .

٥ النسم: جمع نسمة وهو كل ذي روح .

٦ أوزع: ألهم وأرشد، أي: ألهم الله المسلمين شكر هذه النعماء .

٧ في ب: «التمردة» .

هذا الفتح عشية عاشر جمادى الأخير في السنة المذكورة^(١) ، وباء^(٢) المؤمنون بشفاء الصدور ، وسرور القلوب ، وقرّة العيون ، وقد علموا أن الله أحى للاخذ بثارهم من لا ينام عن الأمة ، ولا يصانع في رعي الذمة ، وجاست خيل الله من أحواز وهران الجو الذي لم يطرق في غير هذا الوقت حماه ، ولا عرف اسمه فضلا عن مسماه ، حتى لاذ فرسان النصرانية والمتنصرة - على وفور عددهم - بالاسوار ، وطارقتهم الغارة الشعواء بباب الدار^(٣) ، ومن جعل هذا العسكر العثماني - نصره الله - في الأمر كله ، وتوعد / الكفر بحميته في سبيل الله ومن أجله ، فقدحه - ان شاء الله - المعلى ، وحظه بالخير أجدر وأولى ، حفظ الله منه على المسلمين عنصر كلمته ، ومعدن قوته ، ووهب ريع نصره ومفزع شراته ، وطية ركاب مبشراته . وواصل لنا ولولانا ما عود ، ومتع بما خول وأعان على ما قلّد ، وأدام بقاءه ، وأعلى بالصنائع الباهرة علاءه .

١ أي سنة ١١١٩ هـ (٨ سبتمبر ١٧٠٧ م) .

٢ في الأصل : « وباؤوا » والتصويب من قلمنا .

٣ قال عبد الرحمن الجامعي : « وجد في برج العيون - بعد فتحه - من النصارى ثلاثمائة واثنا وعشرون ، وقيل خمسمائة ، ومن كفرّة قبيلة « قرة » سنون ، وقيل ثمانون ، ووجد فيه من الجرحى سبعة وعشرون ، ومن الموتى أربعون ، فنّ الأمير على هؤلاء الجرحى ، وبعث بهم لأهلهم ، ووجد فيه من البارود والسلاح والأقوات والأطعمة ما يستغنى به أهله لمدة حصره . واستشهد فيه مائتان من المسلمين » .

(الجامعي . عبد الرحمن . شرح أرجوزة الحلفاوي . ص : ٦٤) .

المقامة الحادية عشر في استفتاح حصن الجبل^(١) ، وكيف نزعته من أيدي الكفرة عن عجل

لما فتحوا الحصن الأول ، صعدوا للذي في شاطئ الجبل ، وداروا به دوران الفلك وتأهبوا للقتال حتى اضمحلت المظالم ، وصار البعض يخذ^(٢) في أساس الصحن ، والبعض يعالج تسور الحصن ، وكان ابتداء حصنه^(٣) يوم الخميس ، والجند منهم قائم وجليس ، إلى يوم السبت فاستفتحوه ، ومن الله استمنحوه ، وكان استفتاحه في السابع والعشرين من جمادى الاخرى في السنة المذكورة^(٤) ، وعدد من أسر منه مائة وستة رجال وست ١٠٩ نسوة^(٥) ، وتحصن بالحصن المسلمون ، وانقلب على الكفار الويل / والمنون ، وصاروا يضربون بمدافعهم في المدينة ، ومن ثم أدركتهم الهزيمة ، وكان

١ حصن الجبل : برج جبل المائدة ، وهو المعروف بـ « برج مرجاجو » Santa Cruz الذي بناه الاسبان بايعاز رجل من بني عامر المناصرين للاسبان على المسلمين .

٢ خذ يخذ : من باب قتل - حفر في الأرض ، وجعل فيها اخدودا .

٣ حصنه : محاصرته من كل جانب .

٤ أي : سنة ١١١٩ هـ (٢٥ سبتمبر ١٧٠٧ م) .

٥ قال الجامعي : « ... وهم مائة وسبعة مقاتل وثلاث نسوة ، ونقل الله المسلمين سلاحهم وخزائهم . وألقي فيه من المدافع ستة لها بال ، لا يفي بثمانها كثير مال ... » (المصدر السابق . ص : ٦٦) .

يوم هذا الفتح يوم زينة، رفعت الأصوات بذكر « لا إله إلا الله » بوقار
وسكينة، فله الحمد والشكر على هذه النعمة الجسيمة، والمنة العظيمة،
فدخله العسكر المنصور بالله ورايته منشورة، وآيات الفتح فوقها مسطورة،
والمولى أبو الفتوح قد انتظمت في دولته الفتوحات انتظام العقود، واقتضيت
بغرماء عزماته ديوان الأيام اقتضاء النقود، وطلعت من ثنايا أرائه السديدة
وجوه السعود، وتكلفت نيته الصالحة بنيل المقصود، وانجاز الوعود، فنتى
نشرت الفتوحات الفيت في لفائف جنوده ودائعهم، أودعت لآمال كانت
بوجوده طائفة وسامعه، أو استدعيت لأمان انثالت في أيدي سعوده وان
كانت شاسعه، أبقاه الله مكلمة مآرب أمره، معملة عوامل نصره، فحقق
لأمن الله ما يعجز اللسان عن حصره، ولا زالت عوامله مصروفة في زيد
عداه وعمره، / حتى تدعن الرقاب الغلب لقهره، وتعترف الدهور بمزية أ - ١١٠ -
دهره، وحيث يسر الله تعالى بفتح هذه القلعة المنيعه، والهضبة الرفيعة،
سفرت الفتوحات عن غرورها، ووضعت أنباء النصر على صفحات السيوف
وطررها، واستبشرت الأرض بوابل مطرها، وظفرت النفوس بأقصى وطرها،
فالحمد لله الذي تم لساداتنا الصنائع تنمياً، وجلى لهم وجه السعادة أغر
وسبا، وأثبت لهم في صفحات الفخر ذكراً شهيراً ومجداً عظيماً. وجعل
حدّ سيوفهم الماضية يستوعب العبد سيرا وتنسباً^(١)، فكلما طلبوا الأيام
بديونها لم تماطل غريما، وكلما اضمروا أمراً بعيداً أصبح ببابه مقبلاً،
والدعاء لمقامكم الاسمى بالعز الذي لا يزال لركابه العلي لزيماء. والسعد
الذي يروق أولياء مقامه الرفيع خصوصاً وسائر المسلمين عموماً، ولا زال

١ أني: حذاً وروحاً .

أ - ١١١ ونسباً، / وجعل سعدة يتضمن اعتاب الدهر كلما عتب، وأقلام رماحه
 تثبت في خطها النصر الداخلة على العتب، وخطباء الفتوح تتوغل^(١) في
 منابر العز على الرتب، والاعتداد بمقامه العلي يزيد صرفه^(٢) وضوحاً، والآمال
 في ملكه التركي يهز منه نسيم هذه الانباء غصنا مروحا، وخافت الرجاء
 في هذه الأرجاء ينفع في عزائمه على جهاد الاعداء روحاً، ويتلو عليه
 من النصر كتاباً مشروحاً، وأيد الله أمره الرفيع تأييداً، والهمه شكراً لا يعدم
 منه مزيداً، وجعل سيفه الماضي - كلما تقلد لأبواب الفتوح - اقلبداً،
 ويستأنف به الإسلام عزاً جديداً، ويتلع^(٣) جيداً، ويملاً ببلاد التليث
 توحيداً، ويذيق الكافرين بأساً شديداً، ويريهم الفتح المبين قريباً وان
 كانوا يرونه بعيداً، أكرم به من أمير أصبح الغرب بنور دعوته مشرقاً،
 وأساع ريقه وكان به شرقاً، واشتمل ملاة الأمن وكان خائفاً فرقا، وغدا
 به مزاج السياسة التركية لارتفاع ضدها مزاجاً متفقاً، وأنشدها لسان
 أ - ١١٢ السعد: «فاشرب هنيئاً عليك السعد مرتفقاً»^(٤) / .

ولا شك أن هذه الغزوة المستأصلة^(٥) كانت لمرض الخلاف المزمع

١ تتوغل: تصعد وترقى .

٢ الصرف : - بفتح الصاد - الفضل والاحسان .

٣ يتلع : يقال : «تلع الرجل» من باب فرح - طالت عنقه أو قامت . فهو أتلع وتلعب .

٤ هذا شطر بيت من البحر البسيط التام .

٥ المستأصلة: القاطعة لأصول الكفر والطغيان .

بحرانا^(١)، وحكماً يتبع من حلول النصر بدرجات النصل قرآنا، وفتوى رضي شهاب الحسام اختيارها. وكتبت أقلام الرماح في صحف الأيام آثارها، فقلنا: هذا أمر لنا جله أو كله، ومزن لنا طله ووبله. والآن ارتفعت عن الجهاد الشواغل والشواغب، وإن لا يحظى بأمله الراغب، والآن تهلت الوجوه. واستشرف الدين الحنفي لما لم يزل يرجوه. كأننا بالغزائم لأداء حق الله مصروفة، والصوارم على سبيل الجهاد موقوفة. وأهمم بأن تكون كلمة الله هي العليا - مشغوفة، ومن عامل الله بنصر هذه الأقطار المسلمة مع اختلاف الكلمة بما جمع بين السيوف والاجفان، ومهد القواعد بعد الرجفان^(٢)، وأمسك حبلها العاصم عند فيض الطوفان، وسدد سهام الجهاد ففتح بها ثغر وهران، ومن عامل الله في حربها بنية صالحة ظهر - والله - ربحه، وطلع بالسعادة صبحه، وقد ظهر مجمل / ذلك بما بطول شرحه، فانه لما صدق فيها عزمه، لم يسئل^(٣) سيف العدو إلا نبا عن ضربه، ولا اعمل^(٤) عزمًا إلا بلغ غاية غريبه، ولا سدد سهاماً إلا أصاب غرضاً بعيداً، ولا غرس غرساً إلا أثمر مراماً سعيداً، واننا أخذنا من السرور بنام نعمة الله عليه. واستقرار فذلركة^(٥) الفتح لدينا بأقصى ما يأخذه الولي

١ البحران: - بضم أوله وسكون ثانيه - التعبير الذي يحدث دفعة واحدة في الأمراض الحادة، ويعرف - في علم الطب - بنهيج واختلال في القوة المدركة نسبته شدة المرض .

٢ الاجفان: - جفع جفن - وهي الاغماد للسيوف .

٣ يسئل: بالبناء للمجهول .

٤ اعمل: الضمير فيه يعود على الداي بكداش .

٥ الأصل في الفذلركة: خلاصة ما فضل أولاً، حساباً كان أو غيره، وهي مأخوذة من قول الحاسب إذا لخص وأجمل حسابه: فذلك كذا وكذا، إشارة إلى حاصل الحساب ونتيجته. وفي الأصل: «فذلركة، بالبدال المهملة، وهي تدل في اللغة العامية عند التونسيين على المزاح .

الحميم، ولحنا من اتصال سعدنا بما سناه^(١) من الصنع الكريم، والله يصل
سعدنا، ويحرس لسيدنا مجده .

المقامة الثانية عشر

في حصر حصن بن زهوة^(١) ،
وكيف استفتح المسلمون عنوة

لما فتح الله على المسلمين، وأيدهم بالنصر العزيز المبين. انتقلوا
لحصر حصن ابن زهوة، وكان في ربوة، فاستحقره الأسود الحوالك،
وكان الأمر أشد من ذلك، فلما قابلوه واصلت الكفار رمي الرصاص
وضرب المدافع، ولم تبق لأحد من المسلمين طاقة يدافع، وما ترى منا
إلا القتل، والآخر / في الأرض مطروح ذليل، وكان ابتداء حصره في أ - ١١٤
يوم الاحد في الثاني والعشرين من جمادى الاخرى. ثم تفاقم الأمر.
وتعاضم الكفر، حتى طأطأت صناديد المسلمين رأسها، وأبدت الأسود
عبوسها، فأمر الخليفة^(٢) بحفر اللغم، كيما يزول عنهم الحزن والغم.
فكثروا مدة في حفره حتى استكمل، وأطلقوه فلم يصل. وكذلك الثاني^(٣)
وفي الثالث هدّ شطراً، واستفتحوه من ذلك الموضع قهراً، وقتلوا الذين

١ حصن بن زهوة: هو برج اليهودي، و «زهوة» هو زاوي بن كيسة اليهودي المعروف بـ «بن زهوة» بفتح
التاء وسكون النون. قال عبد الرحمن الجامعي: «بن زهوة بفتح باء» بن «سكون نونه على لغة العامة».
وليس هذا من لحن قائله. وإنما هو من حكاية اللفظ على استعماله وهو واجب في الاسماء، لا سيما عند
أهل التعريف بمسماياتها. (المصدر السابق ص: ٥٧٠).

٢ الخليفة: هو أوزن حسن.

٣ الثاني: اللغم الثاني.

فيه جميعاً، وانقلب إليهم النصر سريعاً، وما بقي إلا القليل بعثوه لمولانا اسماعيل^(١). وكان استفتاح هذا الحصن يوم الثلاثاء الخامس من شعبان المبارك سنة تسع عشرة ومائة وألف^(٢). فهيناً للمسلمين بقدم هذا الفتح على يد هذا الأمين. امام له صولة جرع الكافرين كؤوس المنية، وأظهر دين الحنيفية، يحيى بعر الدين الحنيف وجهه، ويطرق بخبر الفتح على أهل «لا إله إلا الله» سمعه، ويشرح بنصر الفئة القليلة على الفئة / الكثيرة صدره، السلطان أبو الفتوح أبقاه الله عمياً فضله، رفيعاً مجده، ماضياً عزمه. معظماً قدره، وملتزماً بره، جعله الله وصهره من المهتدين بهديه، السالكين في جهاد عدو الله على نهجه، حتى استقام عمود المسلمين من بعده، وبلغ التخوم القاصية نور دعوته، أنعم الله به على المسلمين، فحصر برج اليهودي^(٣) اللعين. حتى ظفر منه بالمني، فانسدل عليه الهنا، وكان - نصره الله - أصحاب العسكر عجلات، تحمل انقاطا وآلات، من أنواع السيف والسهم، ومواعين النقب والهدم، إلى الحصاصيد، والساليم، والفؤوس. والقواطيع، ثم ألفت إليهم المحلة^(٤) المنصورة بالله أفلاذها،

١ مولانا اسماعيل: سلطان المغرب الأقصى. والمراد بالقليل - في كلام صاحب المقامات - تسعة أو ثمانية أشخاص. قال عبد الرحمن الجامعي: «وقتل جميع من كان في برج بن زهوه وكانوا ما يتيف على مائة وعشرين، إلا تسعة أو ثمانية فرّوا إلى حرم الباي. وكان مدة حصر برج بن زهوه بشهرين. فاستشهد في هذه المدة نحو المائتين من المسلمين». (المصدر السابق. ص: ٧٢ - ٧٣).

٢ الموافق لـ (٦ نوفمبر ١٧٠٧ م).

٣ برج اليهودي: سمي بهذا الاسم. لأن أحداً من اليهود اسمه زاوي بن كيسة، المعروف بابن زهوه اتفق مع الاسبان أن يعينهم على دخولهم لوهراة واستبلائهم على المدينة، شريطة أن يسلموا له هذا البرج فكان ما كان وأعطى البرج وسمي باسم ملته. وكان قبل ذلك يسمى بـ «برج المرسى» (- المراري، بن عودة. طلوع سعد السعود ص: ١٩٢. - عبد القادر المشرف، المصدر السابق. ص: ٢).

٤ المحلة: الجيش. والكلمة اقلية التزعة.

وعينت للصلاة في جميع حروبهم أفذاذها، فصَبَّحُوهم يوم الثلاثاء وقد صكت من به^(١) طبول الجهاد، التي قدم بها الامجاد، وانتشرت حوالبه رايات النصر، التي رف عليها الغر^(٢)، ودارت بها المقاتلة^(٣) المسلمة التي لا يخامرها الرعب ولا يدخلها الذعر، وهو حصن^(٤) منيع، ومقل شهير / ، وبلاء مبین، وقد كان صرف إليه الكفر عزمه، وأغرى به همه، فسد ثلمه، وأصلح خلله، ونظر إلى عوراته، فأوسعها تحصيناً حتى قطع الاطماع، وبتر الآمال، إلا أن الله تعالى لا تغالب قدرته، ولا تطاول عزته، ولا يرد عن القوم الكافرين سخطه^(٥)، فتعلق به^(٦) المسلمون . يخوضون غمار الشهادة ويتزاحمون على مراتب المنية، ويسمحون في مبايعة الله بالنفوس الزكية، إلى أن رمى اللغم شقه، وهده، واستوهى بنخده، فافتحمه المسلمون وقد خلفوهم قتلى ليس لهم ظهور، فكان ثالث الفتح المسطور، ثم علت فوق الأبراج رايات الإسلام، وارتفعت كلمة التوحيد، وتناول تماثيله التدمير^(٧)، وأنزل ناقوسه انزال التهوير، وجلب به على المسلمين عوارق الفتح المبين، وفازت يد الإسلام من هذا المعقل العزيز عليه بقرار القلوب وقرّة العيون، وشفى منه داء عضال، وكفى بلاء لا يطاق. والعدو في أثناء هذا - حسبما نتعرفه من ألسن أسراره -، مجتمع بالمدينة يتقلب بين

١ هـ: الضمير يعود على برج اليهودي .

٢ الغر: الرونق، والبهجة، والحسن .

٣ المقاتلة: الجماعة الآخذة في القتال .

٤ في ب: «مصام» .

٥ في ب: «باسمه» .

٦ هـ: الضمير يعود على الحصن .

٧ في ب: «التدمير» .

لهيب الحق وجماره، وقد بث تلك الأمة المتلاحقة إليه من اسبانية
 أ - ١١٧ بين أسواره، / ووجد لها ارتقاب أمره، وانتظار أخباره، ولا شك في أن
 هذه القروح يصير وخزها إلى قلبه، وتثير نكاياتها من عرقوبه، وبالله
 تدرؤ^(١) في نحره، وبحزب الله نستعين على حزبه، وبربنا - تعالى -
 نستظهر على ربه المنصوب^(٢)، وإلا هه المنحوت، وقد سقناه بانتهاز
 الفرصة، وعاجلناه في سبيل الله بالعزة، ومع اليوم عدة، ومجمع الصنائع
 لطائفه خفيفة، وجنوده كثيرة. وما قل من كان الله معه، وما ذلّ من
 كان الله ناصره، إله الخلق الأمر تبارك الله رب العالمين، وقد ظهر هذا
 الأمر وفشى حتى سر به جميع المسلمين، وأساء جميع الكافرين، ثم
 شرع العسكر المنصور بالله ينظر فيما يكون عليه العمل، من قصد غيره
 ومصادمة سواه في اختيار من يغمره من الفرسان الحماة، وحذاق الرماة
 ويستكثر به من الاقوات. والله المستعان وعليه التكلان. نسأله تعالى أن
 أ - ١١٨ يبقى سيدنا على سائر كل شدة، ويخلص ملكه ويؤبده / .

١ تدرؤ: تكثر وتنتشر القروح في نحره .

٢ المنصوب: الصليب .

المقامة الثالثة عشر في استفتاح مدينة وهران، وكيف صار عز الكفرة إلى الهوان

لا شك أنها مدينة بقاء^(١) الشهرة، وغاب البسالة، ومنبت الشوكة،
وعقاب القواعد المغتصبة للمسلمين، ومحتط طائفة العرب العامرين،
الخصيبة النبات والمستبحرة الماء والجنات، حيث الزرع يمتار^(٢) منه العباد
والبلاد، مدد الوفود والكروم، التي^(٣) استثمرها الروم، تفهق^(٤) لها الجوابي^(٥)
الجوب بدم العنقود، الجنب الأعشب، والموضع المبهت المعجب، حجراً
لارقم المختالة في جلود الزرود، والليوث الباطشة فوق فيول الخيول^(٦)،
ومصرخ النواقيس الصائلة، ومنصب التماثيل المائلة. لا يخفى أنها كانت
شجى في خلق الدين، وقذى في أعين المسلمين، تنتهب المراكب براً

١ بقاء الشهرة: مشهورة كما اشتهرت البلقاء. والأصل في البلقاء سواد يشوبه بياض والبقاء ناحية من
راحي الشام. قال عبد المؤمن البغدادي: «البقاء، كورة من أعمال دمشق بين الشام ووادي القرى،
فصلها عمان، وفيها قرى كثيرة ومزارع واسعة». (مراسد الاطلاع، ج: ١ ص: ٢١٩).

٢ يمتار: يجمع ومنه امتار لعياله إذا جمع لهم الطعام والمؤونة.

٣ في ب: «الذي».

٤ تفهق: - من باب فرح - تمثلي وتفيض.

٥ الجوابي: الأحواض التي تجبى فيها الحمر، أي تجمع.

٦ فيول الخيول: كهولها.

وبحرأً. وتشن الغارات على أطراف البلاد قتلاً وأسرأً، حتى أتى الله بهذا السيد الذي أشرق بطلعته - في سماء هذه المملكة - شمس الفتوح،
 ١١٩ بما منحه الله من النصر الممنوح، فاستدعى / أهل الجهاد، وضيق عليها فسيح البلاد، واستكثر آيات القتال، ورفع المجانيق على الاعجال، وأفاض العطاء الذي تجاوز شهور الاستحقاق إلى ما ورائها مما لم يستهل حين هلاله، ولا سمت خيلان^(١) الليالي صفحة جماله، وواصل الجيوش من المطوعة^(٢) الغازين المدونين^(٣). إلى حقوقهم من المغنم المتقدم والنفل المبارك المعين، فتضاعف بذلك يقينهم. وازداد به على قتال العدو حرصهم. وطابت على الموت نفوسهم. ولما كاثروهم السواد الأعظم. والبحر الذي لا يزحم، استحموا بحمى الأبراج المشيدة، وفرج الأبواب المتعددة، وتلاحق وابل الأمم المحشودة المحشورة، من المجموعة المنصورة الموفورة. تخرج بهم عزفات موقف الجهاد، ويتراكم منهم - وفرهم الله - رجل^(٤) الجراد، فشره^(٥) الناس إلى العدو، ونخفوا إلى حومة الحرب خفوا لم يعطف فيه المتقدم، على المتأخر، ولا انتظر المسرع لحاق المتلوم^(٦). فانهارت منهم الهضاب وانهاالت، وتدافعت الاودية / وسالت، وجنحت الرايات

١ الخيلان: - معرته خال - وهو شامة في البدن. أو بثرة سوداء بنت خوفاً الشعر عالياً. ويطلق على شامة صفحة الخد.

٢ المطوعة: الذين تطوعوا للجهاد.

٣ المدونين: المسجلين في سجل الغنائم.

٤ الرجل: - بكسر أوله وسكون ثابته - جمع ارجل، وهي الطائفة من الشيء. ويطلق على الجماعة العظيمة من الجراد خاصة، وهو جمع على غير لفظ واحد.

٥ فشره الناس إلى العدو: اشتد ميلهم إلى محاربته.

٦ المتلوم: المنتظر لقضاء حاجته. أو المعرض لللائمة في الفعل الشيء. وهو تأخره عن الجهاد.

إلى حومة سورها الأدنى ومالت، كأنهم سحائب الخريف حركتها
 الزعازع وضربت أباط^(١) ركائبها البروق الخواطف، وأحاط بها من قبل
 أن توزع الآلات، وتبوأ مقاعد القتال كماء الرماة . ففرعوا^(٢) للحين
 سورها واقتحموا منازلها ودورها، وصدقوا حاميتها الضمة^(٣) . وولوا عليها
 شدة، حتى ازعجهم عنها عنوة، واستلحموا منهم جملة، وتعلقوا بسور
 البلد وبادروا الهيعة^(٤) . وقد هزت رياح النصر عذبات الرايات، وسد
 ما بين الخافقين علو كلمة الشهادات. باختلاف الأصوات، وصكت
 الاسماع رعود الطبول، واستنجز المؤمنون الصابرون من ربهم ميعات الوعد
 المفعول، فلا ترى إلا هاويا من ذرى شرقه تخلفه جمعة^(٥) ، أو شهيداً تتراحم
 على مواقفه لمة^(٦) . أو ثنية تفرع^(٧) . أو شعاراً يسمع، ونزل الصبر، وانجز
 الوعد، وقذف الله الرعب في قلوب الكافرين، وأمد أوليائه بالملائكة
 المسمين، ففرعت أسوار المدينة، ودخلت والحمد لله عنوة، وقد شهرت / ا - ١٢١
 السيوف، وتخارقت الرماح، وحق عليهم القول، وأخذتهم الرجفة، ولولا
 أنهم هربوا ليلاً لهبروهم بالسيوف، وعاجلوهم بالحتوف، واستولوا على
 أقطار المدينة استيلاء عجل المجانيق عن الركوع، وصواعق الصخر عن

١ الاباط : جمع إبط يذكر ويؤنث، وهو باطن الكتف من كل ذي روح .

٢ فرعوا : اعتلوا وصعدوا .

٣ الضمة : الحلبة في الرهان، لأنها تضم الخيل المندفعة من أوب وحبوب .

٤ الهيعة : الصوت المخيف، والمفرع للمدو .

٥ الجمعة : - بضم أوله وفتح ه - معظم الشيء، أو الكثير منه .

٦ اللمة : المجتمع من كل شيء . ويراد به - هنا - مجموعة من المجاهدين .

٧ تفرع : - بالبناء للمجهول - يصعد عليها وتعل .

الوقوع، ولولا أن العدو كان متأهباً للفراغ^(١)، وانه حمل متاعه إلى عدوتهم التي زعموها محل القرار، لانطلقت الأيادي على ما لا يناله الحصر ولا يدركه العد، من الذخائر المصونة، وآنية الرقة الثقيلة، والاسلحة المستجادة وعاثت في الخزائن الطامية، والاقوات الهائلة، ودنان الادهان^(٢) المدخرة، والخمور المفوهة، ابادة وعبثا، وارقة ونقلا، إلى ما يكاثر الحصى، واجزاء الهباء، وقيدت نواقيسها بالحبال التي حركت جبالها، وقلقت هضابها^(٣)، فابرزت خاسئة فاغرة، وتركتها - بعد سلّ ألسنتها - دامية ثاغرة، وكفى الله شرهم، ودفع ضررهم، واستأثر هذا السيد - نصره الله - بالسعد ١٢٢ - ا المعجل، فدخلها خليفته^(٤) وعسكره / المنصور بالله في اليوم الأغر المحجل، من شوال سنة تسع عشرة ومائة وألف. (١١١٩ هـ)^(٥) وحصلوا عليها من غير سلاح يعمل، ولا حق يهمل، ولا نفس ريعت^(٦)، ولا حرمة للدين اضيعت، فانتظمها سلك الأمير السعيد، واتصل الأمر القريب منها بالبعيد، فاقامت فريضة الشكر - والحمد لله - لوقتها، وتليت في بساط الاعتبار بالنعم: ﴿وَمَا نُزِيهِمْ مِنْ آيَةٍ إِلَّا هِيَ أَكْبَرُ مِنْ أُخْتِهَا﴾^(٧). وقد كان - لما طال حصرها، واشتد على المجاهدين ضررها -

١ للفراغ: لاخلاء المكان الذي كان يعمره .

٢ الادهان: مفردة الدهان، لغة اقلية في الزبدة المملحة .

٣ أي جبال مدينة وهران وهضابها .

٤ خليفته: هو وزيره وصهره أوزن حسن .

٥ الموافقة لـ (٢٠ جانفي ١٧٠٨ م) .

٦ ريعت: اخيفت، وارهبت من راع منه إذا خاف .

٧ اقتباس من آي الذكر الحكيم، سورة الزخرف، الآية: ٤٨ .

خطر بخواطر الجرم الفغير ، انها لا تفتح على يد هذا الأمير ، بل ادعى بعضهم أنها لا تفتح أبداً ، وانها لا تزداد إلا قوة ومدداً ، ومولانا - نصره الله - لا يثنى عنانه عن طلبها العنا ، ولا يلحقه في جهادها ضعف ولا ونا ، وفي تلك المدة ، وهاتيك الشدة ، كاتبه العالم العلامة ، الدراكة الفهامة ، الأديب اللافظ ، الأريب الحافظ ، السالك الناسك ، مقيد أوابد العلوم بعقال عقله أيّ قيد ، سيدي أبو زيد الشيخ الرباني ، / العالم العرفاني ، أ - ١٢٣ أبي عبد الله سيدي محمد بن عبد الرحمن بن ابراهيم الشهير بالقرومي ، وهو - رضي الله عنه - رجل من أهل اللسان في التكلم ، والصبر على التعليم والتعلم ، يحمل من العلم فنونا ، ويقتضى منه على الأيام ديونا ، ويخطب من أنواعه بابداع حفظ ، وحفظ ابداع أبكارا وعيوناً ، إلا أن أرج عرفه ، ونهج بالاستيلاء^(١) على ما قدر له منه طرفه ، وقد ارتسم في الولاية تلو أبيه ، وارثا لمقامه ذلك النبيه ، إلى أن استدعته الحلقات العلمية ، فهل بها بدرأ ، وتقدم فيها صدرأ ، قد رفع الله له في أهل العلم قدراً ، واستعمله فيما هو به اعرف له وأدرى ، برسالة على لسان والده ، وانه حان وقتها ، وناح سمتها ، وهي هذه :

« الأمير الذي شهدت بامامته أبرار الرجال ، ووجبت بيعته وطاعته علينا في جميع الأحوال ، فقمنا لله في نصحه بالدعاء له بالنصر والرشد في الأقوال والأفعال ، إمام المسلمين ، وخليفة رسول رب العالمين ، في أحكام الله وتعظيم شعائره السيد محمد « داي » بلغة الوقت ، والإمام العادل / في أ - ١٢٤

حقيقة النعت، سلام عليكم ورحمة الله تعالى وبركاته، من محبكم
ومعظم جلالكم بالشرع والطبع، أبي زيد، محمد، بن عبد الرحمن،
ابن ابراهيم .

وبعد: مما وجب اعلامكم ببشائره لعظيم قدره، وفقد نظائره، ما
أجرى الله بوارد الالهام، وتحقيق سيرة النبي - عليه السلام -، على لسان
والدنا - حفظه الله - الشيخ المسن بتحقيق امامتكم، والشهادة بمنصة
جلالكم، وذلك أنه أملى علينا لسبعة عشر يوماً خلت من رمضان أبياتا،
جرت على لسانه بوارد الجبر، الذي هو نوع من المكاملة والمحادثة في طريق
القوم^(١) على بساط المشاهدة والعلم اليقيني. ونص الأبيات التي أملاها علينا
هي^(٢):

اللهُ أَعْلَمُ مَا أُقَاسِي مِنْ جَوَى^(٣) عَمَّنْ بَوَهْرَانٍ مِنْ ذَوِي الْأَخْلَامِ^(٤)
يَا أَمِيرَ جَيْشٍ قَدْ عَلَيْنَا تَطَاوَلَتْ^(٥) أَيَّامُ فَتْحِكَ لَمْ تَجِنِ بِتَمَامِ
فَإِنْهَضَ بِعَسْكَرِكَ الْعَرَمَرَمِ وَاسْتَعِينِ بِاللَّهِ بِنَصْرِكُمْ عَلَى اللَّثَامِ /
فَإِذَا ظَفِرْتَ بِفَتْحِهَا أَحْسِنِ^(٦) إِلَى مَنْ كَانَ عِنْدَكَ بِالرُّضَى وَمَرَامِ

أ - ٢٢٥

١ القوم: هم رجال التصوف .

٢ من وزن البحر الكامل الصحيح العروض المقطوع الضرب .

٣ في ب: «الجوى» .

٤ الشطر الثاني من البيت مختل الوزن .

٥ الشطر الأول من البيت مختل الوزن .

٦ في ب: «فاحسن» .

فَاللَّهُ يَنْصُرُكُمْ وَيَشْكُرُ فِعْلَكُمْ وَيَزِيدُكُمْ فَخْرًا لَدَى الْإِمَامِ
وَلَقَدْ تَشَوَّقَتِ النَّفُوسُ لِأُوبَةِ السَّادَاتِ وَالْأَوْلَادِ وَالْكَرَامِ
ثُمَّ السَّلَامُ عَلَى الْمُجَاهِدِ حَيْثُمَا وَعَلَى الْوَلَاةِ مِنْ ضَيْغَمٍ وَهَمَامٍ^(١)
وَعَلَى وَلِيِّ اللَّهِ أَزْكَى نَحِيَّةً^(٢) فَعَسَاهُ يُسَلِّمُهَا إِلَى الْإِسْلَامِ
ثُمَّ الصَّلَاةُ عَلَى النَّبِيِّ وَرَهْطِهِ وَعَلَى الْعَوَاتِكِ مِنْ ذَوِي الْأَرْحَامِ

ولما أنشدنا هذه القطعة سأله عن مراده بالأمير، فقال: هو خليفة
الاجناد بالمغرب، صهر الأمير^(٣) - نصر الله -، وقلنا له: ما أردت بقولك:
«ويزيدكم فخراً لدى الإمام»، فقال: الإمام هو أميرنا وخليفة الرسول
علينا، فهذه الشهادة من هذا الولي هي بيت القصيد البشري لكم. لأن
الامامة هي الخلافة، ولا يتصف بها إلا من كملت أحواله، وصدقت
في الله أفعاله وأقواله، كما علمتم، وفي هذا كله إشارة إلى الفتح الذي
اختاره الله / في ولايتكم وخلافتكم وبقية معنى الأبيات واضحة الدلالة أ - ١٢٦
تكميل: «العواتك» التي ختم بها هي اللواتي افتخر بهن عليه الصلاة والسلام
في رميته حيث قال عليه السلام: «أنا ابن العواتك ولا فخر...» الحديث^(٤)..
فكان الولد هزته زعازع الأشواق إلى تلك المواطن التي خص الله بها رجالاتاً

١ الشطر الثاني من البيت مختل الوزن .

٢ الشطر الأول من البيت مختل الوزن، ويريد به «ولي الله» سيدي محمد الهواري دفين مدينة وهران والمنوفي
سنة ٨٤٣ هـ - ١٤٣٩ م .

٣ صهر الأمير: هو أوزن حسن .

٤ جاء في «الكبير» للطبراني، و«سنن» سعيد ابن منصور: «أنا ابن العواتك من سليم» . (الجامع الصغير،
في أحاديث البشير النذير للسيوطي، القاهرة: دار الكاتب العربي، ١٩٦٧ م ص: ٩٦) ..

صَدَقُوا مَا عَاهَدُوا اللَّهَ عَلَيْهِ^(١). فهذه نكتة فيها من براعة حسن الختام، ومطابقة الحال لمقتضى المقام، ما لا يخفى على ذي ممارسة لصناعة المقال، وذوق في صدق الأحوال، وصلى الله على سيدنا محمد وآله، نحملك اللهم ونشكرك على ولاية من هو عالم بمحاسن الاقوال، وقائم له في سبط الأحوال والسلام». فكان الأمر كما قال هذا الشيخ - رضي الله عنه - وحقق الله أمنية الأمير - نصره الله - فأدرك طلبه منه، فوقع هذا الفتح المبين عند استشراف النفوس إليه، بتأثر الصالحين عليه، ومن حينه انتشرت به في الأقطار البشائر، خصوصاً لشفر الجزائر، فكان يوم عيد، وسرور i - ١٢٧ جديد، وطراراً / على الحلة السيرا^(٢)، وتاماً للنعمة العظمى. وأملا في ظهور الدين فقد فجع فيه الكفر بأم من امهاته، وكسبي مستقل بذاته، فله الحمد وله المنة - سبحانه تعالى - ما أمنه. ثم احتفل الأمير - نصره الله - لأيام الزينة، في وقار وسكينة، وطرب جرد من الجبل تسكينه، فصارت الأسواق دوراً، وأصبح أهلها زائراً ومزوراً، وأمست الأجنة فراديس، وجعلت الخيل كراديس^(٣)، وبرزت^(٤) ربات الخدور، بين شمس وبدور، فلا تبصر إلا غانية وغانياً، ولا تسمع إلا مثالثا ومثانيا^(٥)،

١ هذا اقتباس من آي الذكر الحكيم سورة الاحزاب، الآية ٢٣ .

٢ السراء: برود مخططة منسوجة بالحرير وحذفت همزته نزولا عند رغبة السجع .

٣ الكراديس من الخيل: العدد الكثير منها .

٤ في ب: «وبدرت» .

٥ آلتان للطرب فواتا وترين وثلاثة أوتار .

من مهرجان خطير ، أزرى بعرس « بوران »^(١) وأيام « يزد شير »^(٢) ، أقبلت فيه التهانى على مولانا من كل شاعر ، ونظم في ذلك من لا يعد مع ناظم ولا ناثر ، من ذلك قول شيخنا أبي عبد الله محمد بن محمد الثغيري^(٣) الذي أحيا الله به ، مآثر سلفه ، وإن لم يكن درست ، وأينعت فيه ثمر قومه ، فعادت كالיום الذي فيه غرست ، فنجم ، ونجب ، ووعظ ، وخط ، وأقرأ ، وتكلم ، ودرس وعلم ، وأرشد ، / وفهم ، وحكم ، وقضى وأنفذ ، أ - ١٢٨ وأمضى ، معتمداً على حفظ أصيل ، وبيان وتحصيل ، وعلم راسخ ، وبيت شامخ ، وعقل راجع . وفضل واضح ، وزكاة وطهارة ، وعفاف من الصبا كمل غراره ، فهو اليوم عين مصره ، بل فريد عصره ، وقريع مجده ، بل نسيج وحده ، يقرىء من العلم فنوناً^(٤) ، ويستحضر من تلك الفنون عيوناً ، يستدعي خشوع الجمهور بوعظه ، ويزين مجالس الموعظة بحفظه ، وربما استدعاه طبع الأدب للخوض في لجته ، والابانة لحجته ، والمزاحمة بفوجه ،

-
- ١ بوران: هي خديجة بنت الحسن بن الحسين بن سهل ، تزوجها المأمون بن هارون الرشيد أيام خلافته على يد اسحاق الموصل ، وقد صرف في عرسها آلاف الآلاف من الدنانير وفي تزويجها قصص مشحونة بها كتب الأدب ، لا سيما قصة « الزنيل » ، وكانت « بوران » أجمل نساء عصرها وأذكاهن . توفيت سنة ٢٧١ هـ / ٨٨٤ م وقد بلغت ثمانين سنة . (الزركلي ، خير الدين ، الأعلام ج : ٢ ص : ٥٦) .
 - ٢ يزدشير أو يزدجرد : اسم لأحد ثلاثة من ملوك الفرس من بني ساسان أولهم نول سنة ٣٩٩ م وتساقل في أمور الدين فاغتاله المجوس سنة ٤٢٠ م وثانيهم نول سنة ٤٣٨ م وتوفي سنة ٤٥٧ م بعدما اضطهد « الارمن » وأرغمهم على اعتناق المانوية ، وثالثهم - وهو الأخير - نول سنة ١١ هـ / ٦٣٢ م وقتل بخراسان سنة ٣٠ هـ / ٦٥١ م عند هروبه من العرب القاتحين لبلاده أيام عثمان بن عفان - رضي الله عنه - ولعل المؤلف أراد هنا الأخير . (أويس وفا ، منهاج اليقين ، مطبعة اسطنبول ، ص : ٣٩١) .
 - ٣ في شرح الجامعي على قصيدة الحلفاوي وفتح وهران « الثغيري » وفي طلوع سعد السعود للمزري : « الثغيري » .
 - ٤ في ب : « الفنون » .

والمصادمة لموجه ، بارجوزة محتوية على تاريخ عجيب . وهي ^(١) :

الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي قَدْ فَتَحَا
وَقَهَرَ الْقَوْمَ اللَّثَامَ الْفَجَرَةَ
فِي مُدَّةِ السُّلْطَانِ فَخْرِ النَّاسِ
مَنْ مَلَّكَ الْبَرِّينَ وَالْبَحْرَيْنِ
وَعَادِمُ الْحَرَمَيْنِ طُولَ الْمَدَى ^(٢)
يَا سَائِلًا عَمَّا بَوَهْرَانَ ظَهَرَ
أَخَذَهَا الْكُفَّارُ بِالثَّبَاتِ
سَنَةً أَرْبَعٍ وَعَشْرَةَ مَضَتْ
فَمِائَتَانِ مَعَ خَمْسَةِ سِنِينَ
ثُمَّ بَدَأَ الْعَزْمُ مِنَ الْإِلَهِ
فَفُتِحَتْ سَنَةً تِسْعَةَ عَشَرَ
فِي سَادِسِ الْعِشْرِينَ مِنْ شَوَالٍ
عَنْ يَدِ مَنْ صَيَّرَ الْجَزَائِرَ
مُحَمَّدَ الْبُكَدَاشَ فَخْرِ الدَّوْلَةِ
زَادَ الْإِلَهِ لَهُمَا فِي النَّصْرِ

وَهَرَانُ عَنْ أَيْدِي الرُّجَالِ الصُّلَحَا
وَرَفَعَ الْإِسْلَامَ فَوْقَ الْكُفَرَةِ
أَحْمَدُ خَاقَانَ أَبِي الْعَبَّاسِ ^(٣)
وَمَضَرَ وَالشَّامَ بِدُونِ مَيْنِ
دَامَ انْتِصَارُهُ عَلَى جَمْعِ الْعِدَا /
مِنْ أَخَذَهَا وَفَتْحَهَا كَمَا اشْتَهَرَ
فِيمَا رَوَيْنَاهُ عَنْ الثَّقَاتِ
مِنْ بَعْدِ تِسْعِمَائَةٍ ^(٤) قَدْ كَمَلَتْ
عَدَدُ مُكْتَبِهَا بِأَيْدِي الْمُشْرِكِينَ
وَجَاءَنَا الْفَتْحُ بِنَصْرِ اللَّهِ
وَمِائَةٍ مِنْ بَعْدِ أَلْفٍ ^(٥) تُعْتَبَرُ
صَبِيحَةَ الْجُمُعَةِ خُذْ مَقَالِي
جَنَّةَ كُلِّ قَاطِنٍ وَزَائِرِ
وَحَسَنَ صِهْرِهِ عَالِي الصَّوْلَةِ
وَالظَّفَرِ وَافْتِاحِ أَرْضِ الْكُفْرِ

١ على وزن بحر الرجز .

٢ خاقان: امبراطور، والكلمة تركية الأصل، نولى سنة ١١١٥ هـ - ١٧٠٣ م وهزل سنة ١١٤٢ هـ -

١٧٣٠ م ونوفى سنة ١١٤٩ هـ - ١٧٣٦ م .

٣ في ب: وفي طول .

٤ الموافقة لسنة ١٥٠٨ م .

٥ الموافقة لـ (٢٠ جانفي ١٧٠٨ م) .

لَا زَالَ مَنْ عَادَاهُمَا فِي الْإِنْتِقَامِ بِالْقَهْرِ وَالنَّهْبِ عَلَى طُولِ الدَّوَامِ
ثُمَّ الصَّلَاةُ عَنْ مُحَمَّدٍ الْأَمِينِ وَإِلَيْهِ وَصَحْبِهِ وَالتَّابِعِينَ /
مَا جَاهَدَ الْإِسْلَامُ فِي الْكُفَّارِ بِالْقَتْلِ وَالْأَسْرِ وَأَخَذِ الشَّارِ

وكاتبه شيخ الإسلام، ومدار شريعة الأحكام، أبو الوفاء، السيد مصطفى، بن عبد الله البوني الخطيب، الذي لا يستغزه الهول، ولا يعوزه وإن تشعبت أفانين المقول والقول، ولا يستمد في هذه الطريقة إلا مدد من يده القوة والحوّل، يبتدع الخطب جارية الفقر على ما ينظم في الوقت من قلادة، أو ينشئ من ظهير على فقرة معتادة، صدرت له في هذا النوع عجائب أفردته بصنعة الخطابة، وجعلت الثناء عليه لازم الاطالة والاصابة^(١)، ولم يكن في عصره من حملة العلم وشيوخ الافادة أقدم منه على الأدب، ولا أوسع صدرًا بما يرجع لطريقته من فنون الطلب. قرىء في حلقاته على سبيل التفقه تفسير الشيخ أبي زيد سيدي عبد الرحمن الثعالبي^(٢) - رحمه الله تعالى، ورضي عنه - فأجاد فيه التدريس. وأنس الطلبة من البيان والبديع بالأمثلة الواضحة أجمل التأنيس. وهو يقرىء علم العروض ويعلمه، / ويبين من البيان ويفهمه، ويمثل جنس البديع ويحكمه، وله في الخطب الساعد المشتد، والباع^(٣) الممتد، واللقاء الذي تميل إليه

١ في ب. «وطابه».

٢ هو أبو زيد عبد الرحمن بن محمد بن مخلوف الثعالبي. ولد سنة ٧٨٥ هـ / ١٣٨٣ م ر. واد يشره قرب الجزائر العاصمة. وتوفي سنة ٨٧٥ هـ / ١٤٧٠ م بمدينة الجزائر حيث ضريحه ما زال يزار إلى الآن. (بور الدين عبد القادر. صفحات في تاريخ مدينة الجزائر. قسنطينة: مطبعة الميث. ١٩٦٥ م)

(ص: ١٦٦)

٣ في ب: «وابتاع».

الهوادي وتمتد، والسكينة التي تحقق إليها الأبصار فلا ترتد، لم أر^(١) منذ عقلت بسني، وعلقت خطابته بذهني، أحق منه في طريقة الوعظ والخطابة والامامة، ولا رأيت من شيوخنا من يتقدم أمامه، لا جرم انه استحوذ عليها. صناعة استوفى شرطها، واستكمل أسبابها، وحصل مع ارتفاع موانعها عنه آدابها، فبرز فيها، وعطف عليها، سابقاً لمن تقدم قبله، ومتبعاً لمن أتى بعده، وكذلك هو في وعظه آية من آيات فاطره^(٢)، يقدم فيه بترسل وسكون فلا يعدو سمع حاضره، ثم ينتقل به في درجة الترغيب والترهيب، وترجي جنة التنعيم وتخويف درك التعذيب، إلى أن يحصل في النفوس للخشية استعداد، وترد على القلوب من الخشوع امداد، فعند ذلك يلقي ما كان له في زوينة اعداد^(٣). فترتج له المسامع، وتنهل من خشية الله المدامع، ويلين لذكر الله / المنصت السامع، ويملاً بأصوات البكاء من لجأ إلى الله المسجد الجامع، ويعلق آماله - مما قبل الله من المثوبات - الراجي الطامع. زعم من رآه أنه لم يسمع من حضرة الجزائر إلى أم القرى^(٤) أخطب منه، ولا من يدانيه إلا واحداً من الأفاضل، لم يكن له بمماثل وإنما كان قريباً من أسلوبه، ومنبعثاً إلى مثل مطلوبه. وعلى هذا المهيح كانت مجالس وعظه، المتعطشة إلى الحكمة المتجافية الجنوب عن المضاجع، اعتلاقاً بوراثة من خصه الله بالعصمة، وجعل بمبعثه الكريم علينا اكمال

١ في الأصل «لم أرى» والتصويب من قلنا .

٢ فاطره: خالقه .

٣ اعداد: نائب فاعل لـ «يلقي» .

٤ أم القرى: مكة المكرمة .

الدين واثمام النعمة، ولم تزل مواعيده الغاصصة بأهل الخير تثبت فيها
الصدقات، وتجزل فيها - ابتغاء لوجه الله - النفقات، وتباري إلى التماس
الفوز بما يبذل في مرضات الله في طاعته والمنفقات، بقصيدة من مشطور
الرجز، وأوجز فيها وأنجز :

يَا سَيِّدِي مُحَمَّدٍ	«بَكَدَاش» نَجَلِ الْأَمَجَدِ
عَلَى الْوَلِيِّ الرَّضِيِّ	الْهَاشِمِيِّ الْأَنْجَدِ
قَدْ سُدَّتْ كُلُّ مَلِكٍ	وَقُتَّتْهُ بِالسُّودَدِ /
لَقَدْ فَتَحْتَ وَهْرَانًا	بِالْعَسْكَرِ الْمُؤَيَّدِ
بِالنَّصْرِ وَالرُّغْبِ مَعًا	وَكُلُّ سَيْفٍ مَاجِدِ
وَحَسَنُ سُلْطَانِهِمْ	بَيْنَهُمْ كَالْأَسَدِ
وَعَدْتَنِي بِمَا أَحِبُّ	مِنْ أَمَلِي وَمَقْصِدِي
أَبْنِ الَّذِي وَعَدْتَنِي	يَا سَيِّدِي وَسَنَدِي
أَنْجِزْ حُرٍّ مَا وَعَدُ	بَلَّغْتُ كُلَّ مَقْصِدِي
بِجَاهِ سَيِّدِ الْوَرَى	الْهَاشِمِيِّ مُحَمَّدٍ
صَلَّى عَلَيْهِ رَبُّنَا	مَا لَاحَ نُورُ الْفَرَقَدِ
صَلَاةً تَتَرَى أَبَدًا	لَا تَنْتَهِي بِعَدَدِ
وَالِهِ وَصَحْبِهِ	ذَوِي الْوَفَا بِالْمَوْعِدِ

المقامة الرابعة عشر

في استفتاح برج الاحمر^(١) والجديد^(٢) ،
وكيف ألقوا لأبي الفتوح المقاليد

ولما بصروا بفتح المدينة، تمزقت قلوبهم بضربة مكينة، وتشاوروا
أ - ١٣٤ فيما / بينهم، ورأوا أن الهلاك يفضي إليهم، لكنهم اظهروا التجلد فحاربوا
يوم الفتح، من المساء إلى الصبح، ثم مكثوا هنيئة من الزمان، وطلبوا
الأمان، جزعاً من الموت، وأسفاً على ما يفقدونه بطول المدة من القوات،
وخرج النصارى، وصاروا أسارى، نحو خمسمائة وستين، وألقوا أسلحتهم
ومفاتيحهم^(٣) في الحين، وأورث الله المسلمين أرضهم وديارهم وأموالهم،
وأخذوا منهم ثأرهم، وحرس الوطن بوجود الأمير حرس الله جوانب علاه،
وأعانه وتولاه فيما ولّاه، وحفظ عليه ما أولاه، كما جعل أوصاف الكمال
حلاه، وعرفه عوارف السعد الرائق متجلّاه، وأدخر له الفتح المبين وسناه،

١ البرج الأحمر وبرج المرسى اختطهما أبو الحسن المريني سنة ٧٤٨ هـ - ١٣٤٧ م .

٢ أي البرج الجديد الذي اختطه الاسبان. قال عبد الرحمن الشقراني: «فبرج مرجاجو، وبرج رأس العين.
والبرج الجديد، وغيرها كلها اختطها الكفار. ما عدا برج اليهودي فاخطه اليهودي، وبرج المرسى، والبرج
الأحمر فاخطهما أبو الحسن المريني كما مر. لكن الكفار زادوا فيهما فاستعت دائرتيها، وذكروا
أن البرج الجديد أقامته كافرة بنسعين ألف ريال كبيرة، وذكروا أنها صدقة من مالها». (القول الأوسط
في أخبار ما حلّ بالمغرب الأوسط. ص: ٣١. مخطوط خاص).

٣ في الأصل: «ومفاتيحهم» بدون ياء بعد التاء، والتصويب من قلنا .

والنصر الذاتي من غصون الرماح الذي جناه، والصنع الذي ينال به الدين
الحنيف ما يتمناه، وكتب له فخراً عاطراً رياه، وسعداً مشيداً مبناه،
واطلع من غرر الفتوح كل وافد يبهر محياه، ووارد - مهمى تلقاه -
روح الحياة بداه، وحياه. حتى يتم بهذا القطر نور الله الذي وعد باتمامه
وان كرمه الكافر وأباه، ﴿وَمَا كُنَّا لِنَهْتَدِيَ لَوْلَا أَنْ هَدَانَا اللَّهُ﴾^(١). ثم
ترادفت بهذه / الفتوحات التهئات، وفرعت بالبشائر الثنيات، من ذلك أ - ١٣٥
قول الأديب أبي عبد الله السيد محمد بن يوسف^(٢) :

مَوْلَايَ فَضْلُكَ لِلْكَرُّوبِ مُفْرَجٌ
وَبِتَاجِ عِزِّ اللَّهِ أَنْتَ مُتَوَجِّجٌ

وَجَمَعْتَ بَيْنَ مَكَارِمِ وَفَضَائِلِ
أَضْحَى بِهَا صُبْحُ الْهَنَاءِ يَتَبَلَّجُ

وَسَعِدْتَ حَقًّا مَذْ صَعِدْتَ ذُرَى الْهُدَى
فَبَدَا لَنَا مِنْهَا سَبِيلُ وَمِنْهَاجُ

وَعَلَّوْتَ - فَضْلًا - مَتْنًا طَوْدَ بَاذِخِ
رَحْبِ الذُّرَى وَشَرَاؤُهُ^(٣) يَتَوَهَّجُ

١ سورة : الاعراف، الآية ٤٣ .

٢ على وزن بحر الكامل الصحيح العروض والضرب. والمنشد كان جندياً في المعركة .

٣ الشراء: الناحية والجانب من الجبل ومن كل شيء .

وَعَرَجْتَ مِعْرَاجَ الْكَمَالِ فَفَقْتُ مَنْ
 فِيهِ إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ بَعْرُجُ
 وَرَكِبْتَ لُجَّةَ بَحْرِ جُودٍ دَافِقٍ
 أَنْهَارُ كَوْنِهِ لَنَا تَشَجُّجٌ^(١)
 أَصْبَحْتَ فِي أَفْقِ السَّعَادَةِ طَالِعاً
 أَنْهَى مِنَ الْبَدْرِ الْمُنِيرِ وَأَنْهَجُ
 فِي ثَوْبِ تَأْيِيدٍ وَنَضْرٍ قَدْ ضَفَا
 لَمَّا أَتَى حَادِي^(٢) الْمَسْرَةِ بَعْمَجٌ^(٣)
 وَقَدْ امْتَطَيْتَ مَطِيَّةَ الْغَزَمِ الَّتِي
 بِكَرَأٍ أَتَتْ فِي مَشِيهَا تَتَخَزَّلَجُ^(٤)
 ثُمَّ اسْتَوَيْتَ عَلَى الْجَزَائِرِ قَائِماً
 بِالْعَدْلِ وَالْمَوْلِ عَلَيْكَ يُفْرَجُ
 وَالْدَّهْرُ قَدْ أَضْحَى لِأَمْرِكَ طَائِعاً
 وَبِكَ الْمَجَالِسُ لِلْوَرَى تَتَوَجُّ /
 وَتَطَاوَلَ الْمَوْلِ عَلَيْكَ بِفَضْلِهِ
 فَبِمَدْحِكَ الشُّعْرَاءُ قَدْ تَهَزَّجُ^(٥)

١ - ١٣٦

-
- ١ تشجج: نكر وتدفق .
 ٢ في ب: وحاده بدون ياء .
 ٣ بعمج: يسرع في سيره .
 ٤ تتخزلج: تبخر .
 ٥ تهزج: تترنم بانشادها. وفي ب: «يتهج» .

يَا أَيُّهَا النُّحْرِيُّ وَالْمَلِكُ الَّذِي
كُلُّ الْمُلُوكِ أَمَامَهُ تَدْخِرُ
سَبَقَتْ لَكَ الْحُسْنَى بِمَا قَدَّمْتَ مِنْ
فِعْلٍ جَمِيلٍ نُورُهُ يَتَدَرَّجُ
جَهَّزْتَ حَقًّا لِلْجِهَادِ عَسَاكِرًا
كُرْبُ الْوَرَى بِقُدُومِهِمْ تَتَفَرَّجُ
مِنْ كُلِّ ضِرْغَامٍ بِصِيرٍ بِالْوَغَى
نَارُ الْحُرُوبِ بِخَزْمِهِمْ تَتَأَجُّجُ
أَسَدٌ لَدَى الْهَيْجَاءِ عِنْدَ لِقَائِهِمْ
فِيهِمْ قُلُوبُ ذَوِي النُّهَى تُسْتَبْهِجُ
كَمْ صَادَمُوا فِي الْحَرْبِ أَقْبَالَ^١ الْعِدَا
وَسَعَوْا بِمَيْدَانِ الْوَغَى وَتَدَرَّجُوا
كَمْ قَاتَلُوا الْأَبْطَالَ يَوْمَ الْمُلْتَقَى
حَتَّى مَحَوْا دَاحِي الضَّلَالِ وَفَرَّجُوا
وَحَبَاهُمُ الْمَوِي بِنَصْرِ عِنْدَمَا
رَكِبُوا الْمَطَايَا لِلْجِهَادِ وَأَسْرَجُوا

حَسَنٌ خَلِيفَتَكَ^(١) الْهُمَامُ يَقُودُهُمْ
 وَالْعَيْسُ^(٢) مَا بَيْنَ الْأَكَامِ^(٣) تَعْجِجُ^(٤)
 حَتَّى أَتَوْا حَقًّا لَوَهْرَانَ أَلْفَى
 أَمْوَاجُ^(٥) بَحْرِ ظِلَالِهِمْ تَتَمَوَّجُ
 نَزَلُوا بِهَا وَبِحَبِيبِهَا قَدْ خَبِمُوا
 وَالْخَيْلُ تَسْعَى وَالْجِيَادُ تُخْرِجُ /
 قَوْمٌ مِنَ الْمَوَلَى الْكَرِيمِ - بِفَضْلِهِ -
 فَرَجٌ لَهُمْ فِي كُلِّ ضَيْقٍ مَخْرَجُ
 قَدْ حَاصَرُوا أَهْلَ الضَّلَالِ لِبَالِيَا
 فِيهَا^(٦) وَالسِّنَةُ الْعِدَا تَتَلَجَّلُ
 فَرَّتْ جِيُوشُ الْمُشْرِكِينَ أَمَامَهُمْ
 لَمَّا رَأَوْا بَرْقَ الْهُدَى يَنْصَرِّجُ
 وَرَمَاهُمْ أَهْلُ الْهُدَى بِصَوَاعِقِ
 فَتَخَرَّمُوا^(٧) فِيهَا وَمِنْهَا أَخْرَجُوا

١٣٧ - ١

١ هو أوزن حسن صهره ووزيره .

٢ العيس: الواحد عيس والواحدة عيساء، وهي الابل البيض، يشوب بياضها قليل من السواد .

٣ الاكام: جمع اكمة، وهو الموضع الذي أكثر ارتفاعاً مما حوله .

٤ تعجج: نبأ في صباحها .

٥ في ب: «أموات» .

٦ فيها: الضمير يعود على مدينة وهران .

٧ فتخرموا: هلكوا، ونشتوا .

وَسَقَوْهُمْ كَأْسَ الْمَنَابَا وَالرَّدَى
 كَأْسًا بِهَا سُمٌّ^(١) الْأَرَاقِمُ يُنْزَجُ
 فَاسْتَفْتَحُوا مِنْهَا الْحُصُونَ بِغَزْمِهِمْ
 وَمِنْ الْمَدِينَةِ لِلْحُصُونَ عَرَجُوا
 دَارَتْ عَلَى أَهْلِ الضَّلَالِ دَوَائِرُ
 شَتَّى وَهَمٌ - قَطُ - لَا يَتَفَرَّجُ
 ضُرِبَتْ بِبَارِقَةِ السُّيُوفِ رِقَابُهُمْ
 وَالرُّمَحُ فِيهِمْ وَالْأَسِنَّةُ تُوَلِّجُ
 جَعَلُوا لَنَا فِتْنًا وَرَدُّوا^(٢) كَيْدَهُمْ
 وَاللَّهُ شَتَّ شَمْلَهُمْ فَتَدَحَّرَجُوا
 بِالذُّلِّ بَاءُوا وَالْهَزِيمَةَ عِنْدَمَا
 حَمِيَ الْوُطَيْسُ وَنَارُهُ تَتَأَجَّجُ
 لَمْ يَبْقَ مِنْ أَهْلِ الضَّلَالَةِ مُشْرِكُ
 إِلَّا أَنَّى مِمَّا أَصَابَهُ يَنْشُجُ^(٣) / ١ - ١٣٨
 قَدْ جَدَّلُوا طَعْنًا وَضَرْبًا إِذْ جَنُّوا^(٤)
 يَوْمَ اللَّقَاءِ صَحِيحُهُمْ وَالْمَخْرَجُ

١ في ب: «شمس» .

٢ في ب: «ووهن» .

٣ ينشج: ينص بالبكاء من غير انتخاب، والمراد به - هنا - يكي وينوح .

٤ في ب: «جشوا» .

وَأَفْتَكَهَا^(١) أَهْلُ الْهِدَايَةِ مِنْهُمْ
 بِالسَّيْفِ وَأَنْخَذَلِ الصَّحِيحُ الْأَعْرَجُ
 عَادَتْ إِلَى الْإِسْلَامِ دَارًا مِثْلَمَا
 كَانَتْ فَصَارَ أَرْبَعًا بَنَارُجُ
 أَضْحَى مُؤَذِّنَهَا يُهْلَلُ نَارَةٌ
 فِيهَا وَفِيهَا نَارَةٌ يَتَهَزَّجُ
 وَقِرَاءَةُ الْقُرْآنِ فِي أَرْجَائِهَا
 مِنْهَا نَتَائِجُ الْإِسْتِقَامَةِ تَشْجُ
 وَالِدَيْنُ أَصْبَحَ قِيَمًا وَكَفَى بِهَا
 مِنْ نِعْمَةٍ عَنَّا الْكُرُوبُ تَفْرُجُ
 نَصْرُ إِلَهِهِ مِنْ اللَّهِ الَّذِي
 مِنْ مَبْتِ حَيًّا صَحِيحًا يُخْرِجُ
 نَاهِيكَ مَا مَنْ الْإِلَهِ بِسَمُو
 وَأَتَاكَ حَادِي نَصْرِهِ يَتَلَدَّجُ
 خُذَهَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ مُحَمَّدًا
 بِكَرًّا أَتَنُكَ عَيْرَهَا يَتَوَهَّجُ
 وَتُقْبَلُ الْكَفَّيْنِ مِنْكَ وَلَمْ تَزَلْ
 بِالْأَمْنِ، صَبَحُ سُورِهَا يَتَبَلَّجُ

١ وأفتكها: الضمير يعود على مدينة وهران .

المقامة الخامسة عشر في حصر حصن المرسى^(١) ، وكيف افتحه المسلمون وزال باختامه الاسى

ولما قرّ / من المدينة الكفرة، وزعموا أنهم ناؤوا عن الذل والمحقرة، i - ١٣٩
وأنهم إذا تفاقم عليهم الأمر، يفرون في البحر، فذهبت السفن^(٢) من
عندنا تحاصرهم، والمسلمون في البر تطاردهم، وهذا الحصن عظيم البناء^(٣) ،
كأنه مدينة للسكنى، ولم يأت^(٤) الوصول إليه إلا على طريق واحدة،
والأمم تذهب إليه وتأتي بائدة، وبازائه حصن صغير للحرب أعدوه،
فتعلقت به المسلمون وفتحوه، وتحير المسلمون لطول مكثه، حتى ايسوا
من فتحه، فأمر أبو الفتوح باللغم أن يحفر، من جهة البحر، ولما أطلقوه
مكثت الظلماء هنيئاً، فانقضت عن مثل مرأى الظمآن للسراب ﴿وَحَتَّى
إِذَا جَاءَهُ لَمْ يَجِدْهُ شَيْئاً﴾^(٥) . وكذلك الثاني والثالث وفي الرابع^(٦)

١ حصن المرسى: هو برج المرسى الذي تقدم الكلام عليه مع بعض الأبراج في تعاليقنا .

٢ في ب: «السفن» .

٣ البناء: بحذف همزة المد لاختفاء وزن السجع .

٤ في ب: «يتأتى» .

٥ هذا اقتباس من قوله تعالى في سورة «النور» الآية ٣٩ : ﴿وَالَّذِينَ كَفَرُوا أَعْمَالُهُمْ كَسَرَابٍ بِفِيعَةٍ يَخِيئُ
الظُّمَانُ مَاءٌ حَتَّى إِذَا جَاءَهُ لَمْ يَجِدْهُ شَيْئاً...﴾ .

٦ أي: في اللغم الرابع، قال الجامعي: «يقوم اللغم الواحد بمائة قنطار من البارود، وربما لا يفيد شيئاً،
فيعاد مرة وأخرى وثالثة ورابعة، ورأيت في بعض دفاتر الباي أنه خرج على يد خليفته القائل مصطفى
المسراني نحو الثلاثمائة آلاف قنطار من البارود» . الجامعي، عبد الرحمن. شرح أرجوزة الحطفاوي. ص: ١٨).

استفتحوه عنوة بما فيه من البضائع. وعدد النصارى الذين فيه ثلاثة آلاف من المتمردين، ولكن هلكوا بطعام الغسلين^(١). فكانت هذه فتوحات منظومة العقود، معقودة النظام، وآلاء دائمة الاتصال، متصلة الدوام،

i - ١٤٠ وسعوداً معلومة الوضوح، / واضحة الاعلام، ونصراً يرتاح به قد القناة، ويسم لها ثغر الحسام، وصنائع تبهر حلاها على لبات المنن الجسام، ويروق متجلاها في غرر النعم الوسام، ولا لقي المسلمون إلا ما وعدهم^(٢) الله تعالى، من الآله التي تترادف وتتوالى، والخير الذي انجزت وعوده، والنصر الذي صادفت بروقه ورعوده، والصنع الذي تألق في أفق الدين الحنيف سعوده، والفتح الذي تفتح به زهره وأوراق عوده، جعلنا الله ممن استمر في مقام الشكر قيامه وقعوده، وسيدنا - نصره الله - كلما اعتلت قوى ادراكه جاءه من الله الامداد يعوده، ونحن من السرور بما يسنيه^(٣) الله له بحيث لا يلبس حلة فخر إلا لبسنا من الفرح مثالها، ولا يتحلى غرة فتح إلا استجلينا جمالها، ولا ينال سبب نعمة إلا حمدنا منالها، نشرب من ذلك فضل شربه، ونرده عقب ورده، ونمت إلى الله بمثل

i - ١٤١ مات^(٤) مجده. فكل ما امتد لدولته العلية ظل انفسحت آمالنا وامتدت / وأدركنا سرور، بما كان من الظهور، الذي خفقت علينا رايته، والنصر الذي أنزل إلينا آيته، والفخر الذي ادخر لملك سيدنا غايته. وان عدونا

١ الغسلين: ما يسيل من جلود أهل النار ولحومهم ودعائهم .

٢ في ب: «عوذهم» .

٣ يسنيه له: يزيد في دفعته وبطل من شأنه .

٤ المات: ما يتقرب به إلى الإنسان كالحرمة والقربة .

لما ضاقت عليه المسالك، وثغرت^(١) أفواهها إليه المهالك، أقدم إقدام من استعجل الحمام، ولم تمطل به الأيام، وأمل انتهاز فرصة كانت وقاية الله من دونها، واغتنام غرة كان مدد الحزم بعض عيونها، وجيء^(٢) بأبطال من بعد الاقدام ما نكصت، وأقدام تثبت في موقف الهول واستقرت، وأجناد عاهدت الله فوفت وبرت. ولما عقدت^(٣) الحرب حباها^(٤)، ورجمت المنون الكاذبة في عقباها، فدى من دونه من الخليفة، بل لنفس الحرية بالمجد الخليفة، واقتدى بانصار رسول الله ﷺ في يوم الحديقة، فانهم رضي الله عنهم ارتابوا بأوشابهم^(٥)، وعلوا على أديانهم وأحسابهم، تبوأوا من الصبر حصونا، ونادى أمراؤهم اخلصونا، فخلصت منهم كتيبة كانت الحملات لا تهزها، والأهوال لا تستفزها، حتى / علت أيديها وحبّعل^(٦) - ١٤٢ بالفتح القريب مناديا. فما كانت إلا أن اطلعت شمس غرته يحملها من الطرف العتيق فلك، وخفق منصور علمه يتبعه ملك. ويتقدمه ملك، ونهد موكبه يهديه من الراي^(٧) صبح ويحجبه من القتام حلك، وتراكت من النقع جون^(٨) السحائب، وماجت على الأرض فحول الكتائب، وضحكت النصول في اليوم العبوس، ودارت بين الرجال للجال الكؤوس، وأخفرت حرقات المغافر، وتجلت وقاح الحرب بالحد السافر، واشتبهت

١ في ب: «ثغرت» .

٢ في ب: «افى» .

٣ في ب: «عقد» .

٤ حباها: جمع حبة بالفتح والضم في أوله، وسكون ثانيه كل ما يخشى به يشتمل به من ثوب أو عمامة .

٥ الاوشاب من الناس: أخلاطهم وأرادلهم .

٦ الراي: جمع راية وهي العلامة المنصوبة لكي يراها الناس .

٧ الجون: من أسماء الاضداد للونين الأبيض والأسود، وهو المراد هنا .

الطرق، ورمدت من الاسنة العيون الزرق، وأجرى الله مقام ساداتنا من النصر على عادته، وأثبت في درجات ذلك لاجتماع سهم سعادته، فكذبت من مناوئهم العزيمة، وصدقت عليهم الهزيمة، وادبر ادبار أمسه ومضى وهمه نجاة نفسه، وانقلب مغلوبا مغلولا، يرى البرق سيفاً مسلولا، ويحسب السحاب^(١) خيولاً، ويظن حمرة الشفق دماً مطلولا، وخلف أنصاره حصيذاً، ودياره طلولا، ثم ثنوا الاعة وللنصر لواء بكل ثنية، وعلى كل راية عناية ربانية، والوجوه بادية السفور، / والخيل دامية النحور، والسيوف موردة الخدود، والرماح مختصرة القدود، ومحابر الكنائن خاوية من أقلامها، وسواد السوابغ^(٢) خالية بعد ازدحامها. فالفتح قد فتح لكم بابه، والنصر خولكم كتائبه، وفي يدكم كتابه، فلم نكد نغطي السرور من الابتهاج والارتياح، والشكر لله على فوز القداح، وتأتى الاقتراح، وقلنا هذا هو النبأ الذي ارتقبنا طلوع البشائر من ثنايا تلاعه، وأجزنا تلقي الركبان لرخصة استطلاعة، هذا هو الصنع السني، والفتح الهني، والنصر المثني، والغز المثني، «نصر من الله وفتح قريب»، وتكيف لملك الغرب غريب، هذا هو الغز الذي يخطر على وهم، هذا هو الفجر الذي أصاب قنيص النصر والفتح بسهم، فتح وهران، وما أدراك ما وهران، قاعدة للملك، وواصلة السلك، وقلادة النحر، وحاضرة البر والبحر، أسندت إلى التلّ ظهراً، وأفصحت بالفخر جهراً، وأصبحت للغرب باباً. وللقول ركاباً، ولسهام الأمل هدفاً، ولدر العلماء صدفاً، حسناء تسبي العقول بين التقنع

١ في ب: «الشباب» .

٢ السوابغ: جمع سابغة، وهي الدرع الواسعة .

والسفور، والاطماع والنفور، وليست حلة الجناب الخصيب، وفازت من الاعتدال وأوصاف الكمال بأوفى نصيب، وقد عنّ لنا أن نختم أخبار هذه / أ - ١٤٤ الفتوحات السنية، وأيامها الزكية، بارجوزة^(٧) مكملتها، مذكرة لما عنه القلب لى، والقلم سها، نظمها مفتي تلمسان، المشار إليه بالبنان، أبو عبد الله سيدي محمد بن أحمد الحلقاوي، كان الله حيث يأوي. وهو رجل تقلد بالحضرة المذكورة الخطابة والتكلم في الاقراء والفتيا، وبلغ من رياسة الديانة إلى الدرجة العليا، ووصل من اقبال القلوب عليه وميلها إليه إلى الغاية القصيا، فرأس بها في الفقه واعتمد قوله في العلم، وشوور في نوازل الحكم، وقعد لتدريس الطلبة، وقصد في أيامه المعتادة للوعظ، وكتب على أسئلة الفتيا مغتبطاً بهذا الرسم، متلقياً وارداته المختلفة الأغراض بالطلاقة والبشر، وهو من أهل الصلاح، والسمت الحسن، / والتخلق، والخصوصية، والاقتصاد، والتحفظ، والورع. وقد ضرب - مع ذلك - في الأدب بسهمه، وما اشتهر عنه من نظمه، الارجوزة المشار إليها، المنبه عليها. وهي :

لَمَّا أَرَادَ اللَّهُ بِالْدِّينِ جَلًّا^(٨)
عَنْ أَرْضِ وَهْرَانَ بَنِي الْكُفْرِ جَلًّا^(٩)

١ تحتوي هذه الأرجوزة على ٧٢ بيتاً وخمسة فصول، الفصل الأول في ذكر دولة محمد بكداش، الفصل الثاني في وصف تجهيز الجيش وتوجهه إلى وهران، الفصل الثالث في كيفية محاصرة المدينة وبروجها، الفصل الرابع في وصف ما آل إليه المسلمون الفاتحون، والاسبان المطرودون وما افتقرت عليه كلا الطائفتين، الفصل الخامس في الثناء على الله والصلاة على رسوله. وقد نظم الجامعي - شارح الأرجوزة - خمسة أبيات من نفس البحر، وأضافها إلى الأرجوزة، وقد أثبتناها إبان مناسبة ذكرها.

٢ الجلا - بكسر الجيم - : الظهور والوضوح.

٣ جلا: أي أخرجهم عن أرض وهران.

أَحَادَ مَنْ حَادَ عَنِ الْخِلَافَةِ
 فَاسْتَنْهَضَ فَتًى^(١) لَهَا خِلَافَةٌ /
 أَحَلَّهُ مَحَلًّا مَنْ أَقَامَهُ^(٢)
 وَلِلْقَضَاءِ عِنْدَهُ أَقَامَهُ
 فَكَانَ ، خَيْرَةً وَخَيْرًا وَمُنًى
 وَجَلَبَتْ نَفْعَ دَائِمٍ وَمَأْمَنًا^(٣)
 وَمِنْ عَظِيمِ لُطْفِهِ بِالنَّاسِ
 سِرٌّ خَفِيَ عَنْ ذَاكِرٍ وَالنَّاسِ
 فَلَمْ يَكُنْ فِيهِ مَجَالٌ لِلْوَرَى
 وَإِنْ تُسَلَّ عَنْ شَرْحِهِ قُلْ لَا مِرَا^(٤)
 هُوَ^(٥) دَوْلَةُ الْحَبَرِ مُحَمَّدٌ «بَكَدَش»
 «تَارِيخُهَا طَبَقَ مُحَمَّدٌ بَكَدَش»^(٦)
 جَاءَتْ بِعِزٍّ وَسَنَاءٍ وَسَنَا
 وَالتَّدَّتِ الْأَعْيُنُ فِيهَا وَسَنَا /^(٧)

١ الفتى: هو الداى محمد بكداش .

٢ أقامه: أبعد، وأنزله عن الكرسي . والمبعد هو الداى حسين خوجه الشريف .

٣ أي بدون تطاول ولا امتنان .

٤ لا مراء: لا جدال فيه .

٥ هو: بإسكان الواو .

٦ أي: تاريخ توليته كان سنة ١١١٨ هـ - ١٧٠٧ م بحساب الجمل على طريقة المغاربة .

٧ الوسن: ثقل النوم والنعاس .

وَمَوَّ لَهَا كُفَّةٌ وَظِلٌّ لِلْأَنَامِ
 فَكَمْ أَرَاخَ ذَا عَنَّا وَكَمْ أَنَامٌ^(١)
 وَكَمْ أَتَى مِنْ قَبْلِهِ الْجَزَائِرَا
 دَايٌ وَدَهْقَانٌ^(٢) كَمَنْ جَا زَائِرَا
 فَلَمْ يَكُنْ لِلْخَلْقِ فِيهِ رَاحَةٌ
 وَلَمْ يَسَلْ عَنْ غَيْرِ مَا بِالرَّاحَةِ^(٣)
 وَلَا يُبَالِي فِي الْأَنَامِ بِفَسَادِ
 وَقَلٌّ مَنْ رَامَ اَزْدِرَا^(٤) بِهِمْ فَسَادُ
 لِلَّهِ دَهْرٌ مُنْجِفٌ لَنَا بِهِ
 إِذْ ذَادَ^(٥) شَخْصًا لَمْ يَكُنْ بِنَابِهِ^(٦)
 أَبْدَى لَنَا غُرَّتَهُ الْوَقَادَةَ
 لَهَا الصُّعَابُ فِي الدُّجَا مُنْقَادَةً / ا - ١٤٦
 فَاسْتَكَنَتْ لَهُ الْقُلُوبُ عِنْدَمَا
 غَبَضَ مِنْ أَجْفَانِهِنَّ عِنْدَمَا^(٧)

-
- ١ العناء: التعب والمشقة، وحذفت همزته لاقتضاء الوزن ذلك .
 ٢ الداي: كلمة تركية معناها: الخال والرئيس، «دهقان»: رئيس الاقليم والماهر من الرجال والكلمة فارسية، وكذلك كلمة «خاقان»: لقب لمن يتولى الترك، و «قبصر»: لقب لمن يتولى الروم «وكسرى»: لقب لمن يتولى الفرس، و «النجاشي»: لقب لمن يتولى الحبشة، و «تبع»: لقب لمن يتولى اليمن .
 ٣ أي عن غير مال يكون براحة كفه .
 ٤ ازدرأ: ازدرأ وحذفت همزته للوزن .
 ٥ ذاد: طرد .
 ٦ بنابه: اسم فاعل من نبه بضم الباء .
 ٧ غبض: حبس ونقص، والعندم بفتح أوله: نبت أحمر كنى به عن جفاف الدموع .

بَلْ أَمَّنَ الرَّوَعةَ بَعْدَ أَنْ غَدَتْ
 يَدُ الْعِدَا طُولَ عَلَيْنَا وَعَدَتْ
 فَكَانَ فِيهِ الْأَمْنُ بَعْدَ الْخَوْفِ
 وَالنَّصْرُ لِلْسِّنَةِ بَعْدَ الْحَيْفِ
 إِذْ جَمَعَ الرَّأْيَ بَعْزُ حَازِمٍ
 عَلَى الْجَهَادِ لَمْ يَعْقهُ جَازِمٌ^١
 فَجَهَّزَ جَيْشًا حَتَّى الدِّينِ فَسَادُ
 إِذْ طَهَّرَتْ بِهِ بِقَاعُ مِنْ فَسَادٍ^٢
 فَتَهَضُّوا لِلَّهِ حَزْمًا وَأَعَدُوا
 مَعَهُمْ آلاتَ حَرْبٍ لَا تُعَدُّ
 مِنْ نَحْوِ بَارُودٍ وَكَمْ مِنْ مَدْفَعٍ
 وَمَنْجَنِيْقٍ مَالَهُ مِنْ مَدْفَعٍ^٣
 مُؤَمَّرٌ صِهْرُهُ «أَوْزَنُ حَسَنًا»
 قَرْمًا^٤ رَضِيَ فَسَارَ سَبْرًا حَسَنًا

١ جازم: قاطع ومبطل .

٢ فساد: نال الرفعة والسُّودد .

٣ مدفع: مصدر ميمي، أي: دفع .

٤ الأصل في القرم: الضحل من الابل، واستعير للسيد عن طريق التشبيه، وهو المراد به - هنا - .

وَالْحَازِمَ الْعَارِفَ بَايَ مُصْطَفَى^(١)
 وَهُوَ مِنَ الْأَقْبَالِ^(٢) فَابِقُ^(٣) مُصْطَفَى
 ثُمَّتْ نَادَى بِالْجِهَادِ فِي الْأَفَاقِ
 فَأَغْزَمَ الْحَازِمَ وَالْغُفْلَ أَفَاقِ
 فَسَارَعَ النَّاسُ لَهُ إِذْ طَلَبَهُ^(٤)
 لَا سِيَّمَا جَمَاعَةً مِنْ طَلَبِهِ^(٥)
 فَتَزَلُّوا الْأَوَّلَ مِنْ رَيْعِ
 النَّبُويِ مُنْسَلَخِ الرَّيِّعِ = ا - ١٤٧
 فِي عَسْكَرٍ يَبُوتُهُ عُدٌّ (مَقَرٌّ^(٦))
 وَتَرَكَوْا الْأَثْقَالَ فِيهِ فِي مَقَرٍّ

١ باي مصطفى: هو باي وهران مصطفى أبو الشلاغم قال المزاري: «أول بابات وهران مصطفى أبو الشلاغم بن يوسف المراتي الذي جمع له في التولية بين الإيالة الشرقية والغربية تول بابا علي مازونة وتلمسان، فهو أول من جمعت له الإيالة الغربية بتامها سنة ثمان وتسعين وألف، ١٠٩٨ هـ / ١٦٨٧ م ونقل كرسي المملكة من مازونة وتلمسان معا للقلعة (قلعة بني راشد)، ثم للمعسكر وجعلها قاعدة لكونها وسطا بين مازونة وبين تلمسان. ولا غزا وهران وأمه الباشا السيد محمد بكداش بالجيش العديدة - لنظر وزيره أوزن حسن - وفتحها عنوة صبيحة يوم الجمعة السادس والعشرين من شوال سنة تسع ومائة وألف، ١١١٩ هـ ٢٠ جانفي (١٧٠٨ م) ونقل كرسي المملكة من المعسكر إلى وهران فسكنها بأهله وجعلها قاعدة ملكه. (المزاري. طلوع سعد السعود. ص: ١٠٣).

٢ الاقبال: جمع قبل وهو الرئيس والملك.

٣ الفايق: كلمة تركية، معناها كبير العساكر. والعصفور: هو الشارب الطويل. وكأنه يشير إلى تلقيه «بأي الشلاغم».

٤ طلبه: الضمير يعود على الجهاد، أي: طلب مصطفى أبو الشلاغم للجهاد.

٥ قال الجامعي: «وكان عدد الطلبة المجاهدين من الألف إلى السبعماية، وكانت ارزاقهم وسلاحهم من أرزاق المعسكر وخزانة الدولة. وكان يرأسهم أبو عبد الله محمد الموفق التلمساني».

(الجامعي، عبد الرحمن. شرح أرجوزة الحطاوي. ص: ٥٣).

٦ أي: ٣٤٠ فسطاط بحساب الحمل على طريقة المغاربة، وفي كل فسطاط ٢٥ رجل.

وَقَصَدُوا حُصُونَهَا مِنْ كُلِّ شَقٍّ
 بِزَمَنِ تَارِيخُهُ (يَهْدُ شَقٌّ^(١))
 فَأَجْمَعَ الْجَيْشُ بِذَلِكَ الثَّغْرِ
 جَمْعاً كَبِيبَانِ رَسَى أَوْ ثَغْرَ
 فَحَاصَرُوا الْبِلَادَ وَالْأُبْرَاجَا
 مَرَّاصِدِينَ حَوْلَهَا مِنْ رَاجَا
 فَضَبُّوا مَا كَانَ مِنْهَا وَاسِعَا
 إِذْ رَامَ كُلُّ كُلِّ حِصْنٍ وَسَعَى
 وَنُصِبَتْ مِنْ حَوْلَهَا مَدَافِعُ
 لِلرَّمْيِ كُلِّ أَسَدٍ مُدَافِعُ
 وَمُرْعِدَاتُ كُورُهَا فِي الْجَوِ
 كَنَجْمٍ رَجَمَ مِنْ سَمَاءٍ يَهْوِي
 تُلْمَحُ مِنْ خِلَالِهَا الْبَوَارِقُ
 وَوَقَعُهَا أَمْضَى مِنْ الصَّوَاعِقِ
 فَأَجَجُوا نَارَ الْحُرُوبِ سَرْمَدَا
 وَتَابَعُوهَا بِاعْتِنَا طُولَ الْمَدَى
 فَتَرَّوْا مَا نَظَّمُوا مِنْ عَقْدِهَا^(٢)
 وَنَقَضُوا مَا أُبْرِمُوا مِنْ عَقْدِهَا^(٣)

١ أي: كان التزول سنة ١١١٩ هـ / ١٧٠٧ م على طريقة المغاربة بحساب الجمل .

٢ عقدها: بكسر أوله وسكون ثانيه .

٣ عقدها: بفتح أوله وسكون ثانيه .

فَكَانَ بَاكُورَةَ ذَاكَ الْفَتْحِ
بُرْجُ الْعَيْنِ ضَامِنًا لِلنُّجَحِ /
عَاشِرَ يَوْمٍ مِنْ جُمَادَى الْآخَرَى
يَوْمَ الثَّلَاثَاءِ مَسَاءً قَسْرًا
ثُمَّتْ حَصِينُهَا الَّذِي تَقَنَّعَا
بِالسُّحْبِ وَاغْتَالَ الْأَسُودَ وَنَعَا^(١)
قَلْعَةً مَرَجَاجُوهَ الَّتِي لَوْ قُلِّعَتْ
شَوَامِخُ الْأَطْوَادِ مَا تَضَعُضَعَتْ
وَإِذْ دَعَاَهَا اللَّهُ لِلْإِسْلَامِ
أَلْقَتْ لَهُ الْقِيَادَ بِاسْتِسْلَامِ
سَابِعَ عَشْرِينَ مِنْ الْمَذْكُورِ
فَأَصْبَحَتْ تَرْمِي الْعِدَا بِالْكُورِ
وَانْحَدَرُوا لِبُرْجِ «بَنِ زَهْو» وَقَدْ
حَلَّ بِهِ مِنْ نَارِ حَرْبٍ قَدْ وَقَدْ^(٢)
ظَنَّا بِهِ وَظَنُّهُمْ مَانِعُهُمْ^(٣)
فَكَانَ مِنْ حَيَاتِهِمْ^(٤) مَانِعُهُمْ
سُقُوا بِهِ مَرَارَةً وَكَمْ حَلَّتْ
عَيْشَتُهُمْ بِهِ دُهُورًا قَدْ خَلَّتْ

١ نعا : صات .

٢ وقد : اشتعل .

٣ مانعهم : أي ظنوا أن برج «بن زهو» مانعهم .

٤ في ب : «من فرارهم» .

فَأَصْبَحُوا خَامِسَ شَعْبَانَ بِهِ
كَتَلِ شَعْبَانَ^(١) نَصِيحَ رَبِّهِ
مِنْ بَعْدِ لُغْمِ هَذَا جُلِّ حَرْفِهِ
وَحَضَرُهُمْ بِهِ بِنَقْطِ حَرْفِهِ^(٢)
ثُمَّ أَتَى الْجَيْشُ لَوْهْرَانَ وَلَمْ
يَكُ مُقَاتِلُ بِهَا إِلَّا أَلَمُ
وَبِ «الْجَدِيدِ» بُرْجِهَا الْحَامِي لَهَا
لَمْ تُغْنِ آلَاتُ بِهِ حَامِلَهَا /
فَفُتِحَا يَوْمَ الْعُرُوبَةِ مَعًا^(٣)
فَتَحَا أَرَى فِي الْأَنْدَلُسِ مَطْمَعًا^(٤)
بِسَادِسِ الْعِشْرِينَ مِنْ شَوَالٍ
أَكْرَمَ بِذَلِكَ الْعِيدِ بِالتَّوَالِ
وَأَفْتِشَحَ «الْأَحْمَرُ» فِي الْغَدِ وَقَدْ
رَأَوْا لَفَى لَهْيِهِ^(٥) قَدْ اتَّقَدَ

١ شعبان: هو أحد بآيات الابلالة الغريبة، تولى سنة ١٠٩٠ هـ / ١٦٧٩ م وقتل في غزوة قام بها ضد الاسبان الذين بوهران سنة ١٠٩٨ هـ / ١٦٨٧ م . وقد تقدم تفصيل ذلك .

٢ يريد الناظم بـ «حرفه» الحرف الأول من لفظه «برج مرجاجو» وهو الباء التي تساوي اثنين بحساب الجمل، فيفتح المعنى أنهم بقوا محاصرين «برج مرجاجو» لمدة يومين .

٣ يوم العروبة: يوم الجمعة .

٤ أي: ان فتح مدينة وهران أطعم المسلمين في فتح الأندلس مرة ثانية .

٥ الأحمر: أي: البرج الأحمر .

٦ في ب: «رأوا لظى مدة ...» .

وَذِي خُصُونٍ عَنْهُمْ لَمْ تُغْنِ بِهَا «لَمْ يُغْنِ»^(٣) ،
 وَانْتَقَلُوا مِنْ بَعْدِهَا لِلْمَرَسَى
 فَأَصْبَحَ الْجَيْشُ عَلَيْهَا مُرْسَى
 وَاشْتَدَّتِ الْحَرْبُ عَلَيْهَا وَاحْتَمَوْا
 بِالْبَحْرِ وَالطُّودِ الَّذِي فِيهِ رَسَوْا
 فَلَمْ يَكُنْ لَهُمْ مِنَ اللَّهِ وَزَرٌ
 بَلْ مَكَّنَ الْإِسْلَامُ مِنْهُمْ وَنَصَرَ
 فَفُتِحَتْ مِنْ بَعْدِ حَرْقِ وَعَنَا
 وَرَمَى مُرْعِدَاتٍ عِلْجٍ^(٤) بَاعْتِنَا
 وَلَغَمٍ^(٥) يَبْرِجُهَا قَدْ شَقَّه
 وَكَانَ ذَلِكَ عَامَ «هَدُّوا شَقَّه»^(٦) ،
 ثَالِثَ عَاشِرٍ مِنَ الْمُحَرَّمِ
 لَا جَعَلَ اللَّهُ بِهَا مِنْ مُحَرَّمٍ
 وَانْكَسَرَتْ شَوْكَةٌ مِنْ بِالْكَفْرِ
 يَلُودُ أَوْ لَهُ اعْتَنَى بِأَمْرِ^(٧)

٣ أي: وكان عدد المأسورين بتلك الأبراج ١٠٣٠ أسيراً بحساب الجمل على طريقة المغاربة .

٤ العلج: الكافر من المعجم . ويراد به - هنا - الكفار مطلقاً . والمرعدات: المدافع . والبنادق . وكل شيء له صوت مرعد ، وأضيفت للعلج ، لأنه صانعها .

٥ لغم: بتحريك الغين للوزن ، واللغم بضم أوله وسكون ثانيه ، كلمة تركيبة الأصل .

٦ إشارة إلى تاريخ الفتح بحساب الجمل على طريقة المغاربة ، وهو سنة ١١١٩ هـ / ١٧٠٨ م . بإسقاط ألف هـ هـ .

٧ فيه إشارة إلى قبائل بني عامر ، الذين كانوا يلونون بالكفار ويعتنون بشؤونهم .

وَمُزَّقُوا تَغْزِيَقَ آلاءِ سَبَا
 وَأَصْبَحُوا مَا بَيْنَ قَتْلِ وَسَبَا /
 وَأُخْرِجُوا بِالذُّلِّ لِلْإِسَارِ
 فِي عَدَدٍ « كُفِّرَ صَغَارٌ »^(٨) سَارِي
 وَأَنْقَرَضَتْ دَوْلَةُ ذِي الْفُسَّاقِ
 وَالْمُلْكُ لِلَّهِ الْقَدِيمِ الْبَاقِي
 وَأَنْتَصَفَ الْإِسْلَامُ مِنْهُمْ وَغَدَا
 بَيْنَ قَتِيلٍ ذِي حَيَاةٍ أَبَدًا
 وَذِي حَيَاةٍ لَا يَزَالُ لِلْعِدَا
 سَهْمًا بِكُلِّ مَرَصِدٍ مُسَدَّدًا
 لِلَّهِ مَنْ قَدْ صَالَ مِنْهُمْ فِي الثَّرَا^(٩)
 وَمَنْ أَبَاحَ النَّفْسَ مِنْهُمْ وَالْثَرَى^(١٠)
 وَالْحَمْدُ لِلَّهِ عَلَى إِغْلَائِهِ
 كَلِمَةَ التَّوْحِيدِ فِي مَلَائِهِ

٨ أي: وكان عدد الأسارى ١٤٦١ نسمة بحساب الجمل على طريق المغاربة

٩ الثراء: التراب ويراد به - هنا - الكرة الأرضية، وحذفت منه الهزة لضرورة الوزن .

١٠ الثرى: المال الكثير، ويطلق على الخير عموماً . وقد نظم عبد الرحمن الجامعي تلميذ صاحب الأربوزة خمسة أبيات وأضافها لها بعد هذا البيت، وهي :

وَكُنَّا ذَا فِي دَوْلَةِ الْإِمَامِ	فَخَرَّ الْمُلُوكُ ضَايِعًا لِلْإِسْلَامِ
مَلِكٍ مِصْرَ وَالْبِرَاقِ وَالْبَيْسَ	وَالشَّامِ وَالْبَحْرَيْنِ خَيْرَ مُؤْتَمِنِ
أَيُّ الْفَتْوحَاتِ الَّتِي لَمْ تُخْصَرْ	كَادَتْ تُقْصِرُ مُلْكَ آلِ قَيْصَرَ

نَمَقَ ذَا^٣ مَنْ لِلْإِلَهِ يَأْوِي
 مُحَمَّدٌ بْنُ أَحْمَدَ الْحَلْفَاوِي
 مُصَلِّيًا عَلَى الَّذِي بِهِ الْهُدَى
 أَوْضَحَهَا اللَّهُ إِلَيْنَا وَهَدَى
 مُحَمَّدٌ سَبْدُ كُلِّ ضَارِبٍ
 أَوْ طَاعِنٍ مِنْ قَاطِنٍ أَوْ ضَارِبٍ^٤
 وَإِلَيْهِ وَصَحْبِهِ الْأَنْجَادِ
 أَسَدُ الشَّرِّ فِي الْحَقِّ وَالْجِهَادِ
 مَا نَصَرَ اللَّهُ الْحَنِيفِيَّ عَلَى
 أَعْدَائِهِ وَفَاقَ فَضْلًا وَعَلَا

وقد شرح هذه الأرجوزة فكل أخبارها، وأظهر أضمارها، العالم
 التحرير، البليغ / الشهير، السيد محمد عبد الرحمن المغربي المذكور أ - ١٥١
 قبل. وما صدر عنه^١ عنه في التهئة بهذه الفتوحات قوله - وهو من
 أبدع المنظومات^٢ - .

أَحْمَدُ خَافَانَ الْهَمَامِ الْمُتَضَى سَبْدُ الْإِلَهِ فِي الْأَعَادِي مُتَضَى
 مَا زَالَ نَحْتُ رَايَةَ الْإِقْبَالِ وَالنَّصْرَ وَالْفَتْحَ قَرِيرَ الْبَالِ

(المصدر السابق: ص: ١٠٢) .

- ٣ ذَا: اسم الإشارة يعود على نظم أرجوزته .
- ٤ الضارب: في الشطر الأول: الضارب بالسيف وغيره في معارك الجهاد، وأما الضارب في الشطر الثاني فهو: الراحل والمأثي في مناكب الأرض .
- ١ عنه: أي عن المغربي .
- ٢ على وزن البحر الوافر المقطوف العروض والضرب معا .

تَلَتْ رُسُلُ الْبَشَائِرِ يَوْمَ عِيدِ
فَأَحْيَتْ مِنْ رُسُومِ الْبِشْرِ رَسْمًا
وَأَصْبَحَ وَجْهُ دِينِ اللَّهِ طَلْقًا
وَيَا رَبَّمَا^(٤) تَبَسَّمَ ذَا اِزْدِرَاءَ
وَقَدْ نَفَذَ الْوَعِيدُ فَكَانَ عِيدًا
فِيَا حَادِي الرِّسَائِلِ مُسْفِرَاتِ
بِحَقِّكَ إِنْ وَرَدَتْ عَلَيْهِ قُبُلُ
وَقُلْ «وَهَرَانُ» يَكْفِيكَ^(٥) إِفْتِكَاكُ
لَكَ الْبُشْرَى وَلِلْإِسْلَامِ أُخْرَى
تَذَكَّرْ حَيْثُ كُنْتَ مُنَاخَ شِرْكٍ
وَكُنْتَ مَقَامَ تَثْلِيثٍ فَأُضْحَى
وَبُدِّلَتْ النُّوَاقِسُ فِي الزَّوَايَا
جَزَا جَيْشِ «الْجَزَائِرِ» كُلِّ خَيْرٍ
هُمْ الْمُسْتَنْقِذُونَ وَقَدْ أَحَاطَتْ
وَهَا أَنْتَ الْمُجَارُ فَلَسْتَ تَخْشَى

١٥٢-١

عَلَيْنَا سُورَةَ الْفَتْحِ^(٣) السَّعِيدِ
عَفَا^(٤) بِالْشُّرْكِ مَذْ زَمَنِ مَدِيدِ
وَوَجْهُ الْكُفْرِ فِي حُزْنِ الْفَقِيدِ
بَنَّا وَيُسُومُنَا سَوْمَ الْعَبِيدِ
لَأَهْلِ الْحَقِّ تَنْفِيذُ الْوَعِيدِ
بِفَتْحِ الثَّغْرِ مُسْتَحْلَى الْوُرُودِ
مَبَاسِمُهُ عَنِ الصَّبِّ^(٥) الْبَعِيدِ
وَإِنْقَازُ مِنَ الْأَسْرِ الشَّدِيدِ
بِمَنْعِكَ مِنْ يَدِ الْكُفْرِ الْعَنِيدِ
فَعُدْتَ مَقَامَ شُكْرِ لِلْحَمِيدِ /
يُقَرَّرُ فِيكَ تَوْحِيدُ الْمَجِيدِ
بِأَذَانٍ وَذِكْرِ مِنْ مَجِيدِ
إِلَهُ الْخَلْقِ ذُو الْمُلْكِ الْعَنِيدِ
بِكَ الْأَعْدَاءُ تَطْمَعُ فِي الْمَزِيدِ
عُدَاةَ الدِّينِ إِخْوَانَ الْقُرُودِ

٣ سورة الفتح: هي الثانية والأربعون من سور القرآن الكريم، وأول آياتها: ﴿إِنَّا فَتَحْنَا لَكَ فَتْحًا مُبِينًا﴾

٤ عفا: بلي وامحى ودرس .

٤ ويا ربما: بنخفيف الباء الموحدة .

٥ الصب: - بفتح أوله - اسم مصدر: العاشق المتيم .

٦ في ب: «يهنيك» .

١ جنهم باشباع ضمة الميم ليستقيم الوزن .

فَقَدْ ذَهَبُوا وَمَا يَرْجُونَ عَوْدًا
وَكَيْفَ وَقَدْ غَدَوْا وَالرَّغْبُ يَجْرِي
وَلَوْلَا اللَّيْلُ حِينَهِمْ لَأَضْحَكُوا
وَلَوْلَا أَنَّهُمْ شَرِدُوا بَلِيلِ
وَقَدْ ظَنُّوا بِأَنَّهُمْ لَهْمُ نَجَاةٍ
وَهَيْهَاتَ النَّجَاةُ لِمَنْ أَحَاطَتْ
وَلَوْ أَغْنَى التَّحَصُّنُ عَنْ قَتِيلٍ
كَمَا فَتَحَتْ بُرُوجُهُمْ وَهَدَّتْ
وَلَوْ عَقَلُوا لَمَّا لَجَأُوا لِشَيْءٍ
وَإِنْ لَمْ يَسْجُدُوا لِلَّهِ طَوْعًا
وَإِنْ فَرُّوا سَتُنْذِرُكُمُ قَرِيبًا
أَسُودُ غَابُهَا السُّمُّ الْعَوَالِي
إِذَا غَرَسُوا الرُّمَاحَ جَنَوا سَرِيعًا
عَلَيْهِمْ مِنْ شَذَا الْأَزْهَارِ أَذْكَى
(ختام نده^١) يُهْدَى) الْغَوَالِي

إِلَيْكَ فَعِشْ هَنِيئًا فِي خُلُودِ
بِهِمْ بَيْنَ الطَّرِيدَةِ وَالطَّرِيدِ
نَهَارًا فِي مُغْلَغَلَةِ الْقُبُودِ
لَكَانَ الْقَتْلُ أَجْدَرُ بِالشَّرِيدِ
بِمَرَسَى الثَّغْرِ مِنْ بَعْدِ الشُّرُودِ
بِهِ نَارٌ وَبَحْرٌ فِي صَعِيدِ
وَحَالَ السُّورُ مِنْ قَدَرِ الْمُرِيدِ / ١ - ١٥٣
مَعَاقِلُهُمْ بِصَاعِقَةِ الرُّعُودِ
سِوَى دِينِ التَّحِيَّةِ وَالسُّجُودِ
لَقَدْ سَجَدُوا بِمُصْلِتَةِ الْهُنُودِ
بِأَنْدُلُسِ جُنُودٌ مِنْ أَسُودِ
وَمَوْرِدُهَا دِمَاءُ ذَوِي الْجُحُودِ
ثِمَارَ النَّصْرِ مِنْ وَرَقِ الْحَدِيدِ
سَلَامٌ لَا يُعَقَّبُ بِالنُّفُودِ^٢
مُورَخُ ذَلِكَ الْفَتْحِ السَّعِيدِ^٣

٢ بروحهم: باشباع ضمة الميم لقتضى الوزن .

٣ أي بدون مقابل .

٤ الند: عود طيب الرائحة ينبخر به، والكلمة فارسية الأصل .

٥ أي كان فتح مدينة وهران سنة ١١١٩ هـ - ١٧٠٨ م وهذا التاريخ هو المشار إليه بكلمات «ختام

نده بهدى» بحساب الجمل على طريق المغاربة .

المقامة السادسة عشر في إياب خليفة سيدنا - نصره الله - للجزائر ، سالمًا غانمًا بالأسرى والذخائر

شرف باذخ ، ومجد شامخ ، عقد النجوم ذوائبه ، وأوخز في مفرق
النسر ركائبه ، استفتح وهران ، وانبج صبح النصر وبان . وقفل وألوبة
النصر عليه خافقة ، وأسواق الظهور نافقه ، وألسنة الشكر والحمد ناطقة .
أ - ١٥٤ والظنون في فضله الصادق / صادقة . والكفر قد ذل واستكان ، ودخل
عزه في خبر كان ، وعز الإسلام قد ظهر واستبان . ورسا كما رسا رضوى^(١)
وأبان ، والخييل تلاعب الظلال مرحا ونشاطاً ، وتلالا اغتباطاً ، والجياد الجرد
تدافع وتمطر ، والاسل السمر تتأود وتتأطر^(٢) ، والجهات بشادي الفتح
تعطر ، اجتمعت الخلائق من كل فج عميق لميعاد لقائه^(٣) ، وبرزت
المخدرات لزينة صعوده في سماء الفتح وارتقائه ، والسكك له بالاقار^(٤)
قد ضاقت ، والأيدي قد حملت فوق ما أطاقت ، والمناصل^(٥) قد نهرت

١ رضوى : جبل بين مكة والمدينة .

٢ تتأطر : تشئ .

٣ الضمير يعود على «أوزن حسن» .

٤ الاوقار : احمال الهدايا .

٥ المناحل : السيوف .

ورأيت ، ونقمة الله بعدوه قد حاقت ، ونعمه قد بهرت لدينا وراقت ، وأساراهم
 في أيدينا قد أوثقت ، وتخلفت قصورهم السامية قيعانا ، وكنايسهم الحافلة
 أثراً لا عيانا . وقد أخذ الله صلبانها ، واستعجل للنيران رهبانها ، وأتى
 الله على بيوتها من القواعد فخرت ، وزلزل مصانعها العالية ، فاستوت على
 وجه الصعيد واستقرت . فما أظن أن مدينة بلغ الخراب من معمرها ،
 واستأصل العفاء من متبحرات دورها ، ما بلغ من هذه البائسة البائدة ،
 والقوية المكابرة ، غير الله محاسنها ، وشرذ قاطناتها ، فله الحمد ومنه
 أسأل أن يصل للإسلام عوائد النعم الجسام ويلهمنا الشكر المستدعي
 للمزيد من هذه / الاقسام . وإذا كان هذا الموطىء الذي يغيظ الكفار - أ - ١٥٥
 يرفعه الله ويكتبه ، ويعلق الثواب الجزيل ويرتبه ، فكيف لا نحمد الله
 على تخريب هذا المصر الشهير ، والقطر الخصيب الخطير . بحيث تمضي
 الاحقاب وهو عبرة للمعتبرين ، وواعظاً للمبصرين المستبصرين ، وحديثه
 لسان صدق في الآخرين^(١) .

(١) إلى هنا ينتهي نص نسخة (أ) . وجاء في نسخة (ب) ما يلي : (شعر)^(١)
 ضَاءَتْ بُنُورُ إِيَّابِكَ الْأَيَّامُ وَاعْتَرَّتْ تَحْتَ لَوَائِكَ الْإِسْلَامُ
 أَمَّا الْجَمِيعُ فَقِي أَعْمُ مَسْرَةٍ لَمَّا انْجَلَى بِظُهُورِكَ الْإِظْلَامُ
 بَادَرْتَ أَجْرَكَ فِي الْجِهَادِ مُجَاهِداً مَا ضَاعَ عَبْدُكَ لِلثُّغُورِ ذِمَامُ
 وَحَمِدْتُ مُعْتَرِماً وَسَعْدُكَ مُنْهَضُ نَحْوَ الْعِدَا وَدَلِيلُكَ الْإِقْدَامُ

كَمْ وَقَعَتْ لَكَ فِيهِمْ^(٢) مَشْهُورَةٌ
 فِي مَوْضِعٍ فِيهِ الْأَسِنَّةُ وَالظُّبَى^(٣)
 وَالضَّرْبُ قَدْ صَبَغَ النُّصُولَ كَأَنَّمَا
 فَاهُنَا مَرْيَّةٌ^(٤) ظَافِرٌ مُتَابِدٌ
 وَإِلَيْكَ وَدِّي وَاخْتِصَّاصٌ سَابِقٌ
 إِنِّي وَإِنْ خُلِّفْتُ عَنْكَ فَلَمْ يَزَلْ
 غَصَّ الْعِرَاقُ بِذِكْرِهَا وَالشَّامُ
 بَرَقَ وَنَقَعَ الْعَادِيَاتِ^(٥) غَمَامُ
 يَنْشَقُّ عَنْ زَهْرِ الشَّقِيقِ كِمَامُ
 جَفَّتْ بِرَفْعَةٍ شَأْنِهِ الْأَقْلَامُ
 يَجْلُوهُ مِنْ دُرِّ الْكَلَامِ نِظَامُ
 مِنِّي إِلَيْكَ تَحِيَّةٌ وَسَلَامُ

كامل بحمد الله تعالى. وكان الفراغ من نسخه من مسودة بخط مؤلفه،
 في أواخر جمادى الآخرة عام إحدى وعشرين ومائة وألف من الهجرة
 النبوية على صاحبها افضل صلاة سنية .

٢ فهم: باشباع ضمة المم لمقتضى الوزن .

٣ الظبى: - بضم أوله - جمع ظبة وهو حد السيف أو السنان .

٤ العاديات: الخيل المغيرة، وجماعة من القوم المستعدين لخوض القتال .

٥ مريّة: أي بمريّة، وضمير المخاطب في (فاهنا) يعود على محمد بكداش المملوح .

وما توجبني إلا بالله عليه توكلت وإليه انيب

المحقق: محمد بن عبد الكريم

مصادر ومراجع
«التحفة المرضية»

أ - المصادر والمراجع العربية

- ابن الخطيب (لسان الدين)، الاحاطة في اخبار عرناطة (القاهرة: ١٣٢٩ هـ) ج: ١-٢ .
- ابن خلدون (عبد الرحمن)، المقدمة، تحقيق علي عبد الواحد وافي (القاهرة: مطبعة لجنة البيان العربي ١٩٥٨) ج: ٣ .
- ابن زاكور (محمد) نشر أزهري البستان، فيمن أجازني بالجزائر وتطوان ، الجزائر: مطبعة فونتانا ١٢١٩ هـ - ١٩٠٢ .
- ابن سودة (عبد السلام)، دليل مؤرخ المغرب الاقصى، (الدار البيضاء: مطبعة دار الكتاب ١٩٦٠ م) ج: ١-٢ .
- ابن عباد (الصاحب)، عنوان المعارف، وذكر الخلائف تحقيق محمد حسن آل ياسين (بغداد: مطبعة دار التضامن ١٩٦٤ م) .
- ابن عمار (أحمد)، نحت اللبيب، بأخبار الرحلة إلى الحبيب. الجزائر: مطبعة فونتانا ١٩٠٥ م .
- ابن قنفذ (أحمد القسنطيني)، الوفيات تحقيق هنري بريس (القاهرة: بدون تاريخ) .
- ابن مريم (محمد)، البستان، في ذكر الأولياء والعلماء بتلمسان. (الجزائر: المطبعة الثعالبية ١٩٠٨ م) .
- ابن منظور (محمد)، لسان العرب (القاهرة: مطابع كوستانتينوماس وشركاه - مصورة عن طبعة بولاق القديمة المطبوعة سنة ٣٠٨ هـ) ج: ١-٢٠ .
- ابن ميمون (محمد)، التحفة المرضية في الدولة البكداشية، في بلاد الجزائر المحمية (الجزائر: المكتبة الوطنية، تحت رقم ١٦٢٥) .
- ابن ميمون (محمد)، التحفة المرضية، في الدولة البكداشية، في بلاد الجزائر المحمية (مخطوط خاص) .

- أبو بكر (محمد الحزامي الهمداني)، عجالة المبتدئ، وفضالة المنتهى في النسب، تحقيق عبد الله كنون (القاهرة: المطبعة الاميرية ١٩٦٥ م).
- أبو راس (محمد)، عجائب الاسفار، ولطائف الاخبار (مخطوط خاص).
- حسان حقي، الجزائر العربية (بيروت: المكتبة التجارية ١٩٦١ م).
- أحمد توفيق المدني، حرب الثلاثمائة سنة بين الجزائر واسبانيا (قسنطينة: مطبعة البعث ١٩٦٨ م).
- أحمد توفيق المدني، محمد عثمان باشا (الجزائر: نشر المكتبة المصرية ١٣٥٦ هـ).
- أحمد توفيق المدني، كتاب الجزائر (القاهرة: مطبعة دار المعارف ١٩٦٣ م).
- أحمد الجزائري، كيف دخل الفرنسيون الجزائر، تحقيق صلاح الدين المنجد (بيروت: مطبعة دار الكتاب الجديد ١٩٦٢ م).
- أويس وفا، منهاج اليقين، شرح كتاب الدنيا والدين (مطبعة اسطنبول ١٣٢٨ هـ).

- ب -

- البغدادي (عبد المؤمن)، مراصد الاطلاع، على أسماء الامكنة والبقاع، تحقيق علي محمد البجاوي، (القاهرة: مطبعة عيسى البابي الحلبي، ١٣٧٣ هـ / ١٩٥٤ م) ج : ١-٢-٣.

- ث -

- ثريا عبد الفتاح ملحس، منهج البحوث العلمية للطلاب الجامعيين. (بيروت مطابع دار الكتاب اللبناني، ١٩٦٠ م).

- ج -

- الجامعي (عبد الرحمن الفاسي)، شرح أرجوزة الحلقاوي (مخطوط خاص).
- الجيلاني (محيي الدين عبد القادر)، قلائد الجواهر، في مناقب الشيخ عبد القادر (القاهرة: مطبعة البابي الحلبي، ١٣٣١ هـ).

- ح -

- الحلفاوي (محمد بن أحمد)، أرجوزة في فتح وهران (مخطوط خاص) .
- الحفناوي (أبو القاسم محمد)، تعريف الخلف برجال السلف، (الجزائر: مطبعة فونتانا) ج : ١-٢ .
- الزركلي (خير الدين)، الاعلام (القاهرة: مطبعة كونستانتينوماس وشركاؤه بلا تاريخ) ج : ٢-٣-٧ .
- السلمي (أبو عبد الرحمن محمد)، طبقات الصوفية تحقيق نور الدين شريعة (القاهرة: مطبعة دار الكتاب العربي ١٩٥٣ م) .
- السيوطي (عبد الرحمن)، الدرر المنتثرة، في الاحاديث المشتهرة. (القاهرة: مطبعة مصطفى البابي الحلبي ١٩٣٧ م) .
- الشقراني (أحمد)، القول الاوسط، في أخبار بعض من حل بالمغرب الاوسط (مخطوط خاص) .
- الشريشي (أحمد)، شرح مقامات الحريري، تحقيق محمد عبد المنعم خفاجي (القاهرة: مطبعة المنيرية ١٩٥٣ م) ج : ١ .

- هـ -

- الضبي (أحمد بن يحيى)، بغية الملتبس، في تاريخ رجال الأندلس. (مدريد: مطبعة روخس ١٨٩٤ م) .
- عبد الرحمن الجلالى، تاريخ الجزائر العام (الجزائر: المطبعة العربية ١٩٥٤ م) ج : ١ - ٢ .
- عبد السلام هارون، تحقيق النصوص ونشرها (القاهرة: مطبعة لجنة التأليف والترجمة والنشر ١٩٥٤ م) .

- عبد الماجد منعم، مقدمة لدراسة التاريخ الإسلامي (القاهرة: مكتبة الانجلو المصرية ١٩٦٤م).
- عنان (عبد الله)، الآثار الاندلسية الباقية (القاهرة: مطبعة لجنة التأليف والترجمة والنشر ١٩٦١م).
- العياشي (عبد الله)، ماء الموائد (فاس: مطبعة حجرية بلا تاريخ) ج : ١-٢.
- القزويني (محمود)، عجائب المخلوقات (القاهرة: مطبعة الاستقامة ١٩٥٤م) ج : ١ - ٢.
- م -
- مبارك الملي، تاريخ الجزائر في القديم والحديث (بيروت: مطبعة بدران ١٩٦٤م) ج : ٣.
- محمد بن الأمير عبد القادر، نجمة الزائر، في تاريخ الجزائر والأمير عبد القادر، تحقيق ممدوح حقي (بيروت: مطبعة دار البقعة العربية ١٩٦٤م) ج : ١.
- محمد فؤاد عبد الباقي، اللؤلؤ والمرجان فيما اتفق عليه الشيخان: البخاري ومسلم (القاهرة: مطبعة عيسى البابي الحلبي ١٩٤٩م). ج : ١-٢-٣.
- محمد مصطفى، اعجام الأعلام (القاهرة: المطبعة الرحمانية ١٩٥٣م).
- مخلوف (محمد)، شجرة النور الزكية، في طبقات المالكية. (القاهرة: المطبعة السلفية ١٣٥٢ هـ).
- المزري (بن عودة)، طلوع سعد السعود في تاريخ وهران ومخزنها الأسود (مخطوط خاص).
- المشرفي (عبد القادر)، بهجة الناصر، في أخبار الداخلين تحت ولاية الاسبانيين بوهران من الاعراب كني عامر (مخطوط خاص).
- المصري (عبد الرؤوف)، معجم القرآن (القاهرة: مطبعة حجازي ١٩٤٨م) ج : ١ - ٢.

- المقرئ (أحمد)، نفع الطيب، من غصن الأندلس الرطيب، وذكر وزيرها لسان الدين ابن الخطيب، تحقيق محمد محيي الدين (القاهرة: مطبعة السعادة ١٩٤٩ م) ج : ١-٤-٧-٩ .
- المنجد (صلاح الدين)، قواعد تحقيق المخطوطات (بيروت: دار الكتاب الجديد، بلا تاريخ) .
- المنذري (عبد العظيم)، الترغيب والترهيب (القاهرة: مطبعة علي صبيح بلا تاريخ) ج : ٤ .
- المهدي البر عبدلي. الثقافة والتوجيه بالجزائر في العهد التركي. (محاضرة أقيمت أمام ملتقى التعريف بالفكر الإسلامي المنعقد بمدرسة ترشح المعلمين بمدينة الجزائر من ١٩٦٩/١٢/٢٦ إلى ١٩٧٠/١/٢ م) .
- نور الدين عبد القادر، صفحات في تاريخ مدينة الجزائر (قسنطينة: مطبعة البعث ١٩٦٥ م) .
- النووي (محيي الدين)، رياض الصالحين، تحقيق محمد رضوان، (القاهرة: مطبعة الاستقامة بلا تاريخ) .

- و -

- الورثاني (الحسين)، نزهة الأنظار، في فضل علم التاريخ والأخبار (الرحلة الورثانية). بتحقيق محمد بن شنب. الجزائر: مطبعة فونتانا .

ب - المصادر والمراجع الأجنبية

A

- Auguste Cour, l'Etablissement des Dynasties des Chérifs au Maroc et leur Rivalités avec les Turcs de la Régence d'Alger 1509 1830 (ANGERS-Imprimerie A. Burdin et Cie, 1904).

B

- Ben Cheneb, Mohamed, Mots Turcs et persans conservés dans le parler Algerien (ALGER 1922).
- Berbrugger, Epitaphe d'OUZOUN Hassen le Conquérant d'Oran en 1708 (revue Africaine IX. P. 122-126).
- Brockelmann, Geschichte de arabischen littérature (Welmer: 1902) V. 2P. 608.

E

- Extrait de l'Encyclopédie Turque, les Dirigeants de l'Algérie pendant la période Turque (1515-1830) Tome 10 P. 324.

F

- Fagnan Catalogue général de Manuscrits (PARIS: 1893) P. 452.
- FAURE Biguet, Histoire de l'Afrique Septentrionale (PARIS: Imprimerie. M.

G

- Gorguos, Notice sur le Bey d'Oran (Revue Africaine 1857) Volume 2P. 34.

J

- J.D. Kieffer et T.X. Binchi, Dictionnaire Turc-Français (PARIS Imprimerie Royale) T. 1-2.

L

- Léon Fey, Histoire d'Oran, avant, pendant et après la domination Espagnole Oran 1858.
- Léon Calibert, l'Algerie ancienne et moderne (PARIS 1884).
- L. Péchot, Histoire de l'Afrique du Nord avant 1830 (Im. Alger 1914) V. 3.
- Louis Rinn. Le Royaume d'Alger. (Alger, Typographie Adolphe Jourdan Imprimeur-Libraire-Editeur, 1900).
- Maurice Lamartine, Comment Rédiger ou Conseils sur l'art d'écrire (Alger: Editions de l'école française par correspondance).

P

- Paul Gaffarel, l'Algerie. (PARIS: imprimerie de l'Institut 1883).

R

- R. Dozy Dictionnaire Arabe (PARIS: Leide, 2ème Edition, 1927), Tome 1-2.

ملاحق

الملحق الأول

بعض الأشعار التي قيلت في مدينة « وهران »

لقد أحيينا أن نلحق بهذه المقامات بعض الأشعار الاستصراخية التي قيلت أثناء احتلال الأسبان لمدينة « وهران » عاصمة الغرب الجزائري، ومنها ما قيل إثر الفتح الأول وعقب طرد الإسبان من هذه المدينة. وقد رتبنا تلك الأشعار حسب الحروف الهجائية لقوافيها .

قال ابن مريم^(١) : وهذه الأبيات الآتية نظمها (عبد الرحمن بن موسى^(٢)) عند هدم الباشا حسين حصن المرسى الأعلى وهروب النصارى - دمرهم الله - للحصن الاسفل، وهي هذه :

هَيْنًا لَكُمْ بَاشَا الْجَزَائِرِ وَالْفَرْبِ
بِفَتْحِ أُسَاسِ الْكُفْرِ مَرَسَى قِرَى الْكَلْبِ
سَتَفْتَحُ وَهْرَانًا وَمَرَسَاتِهَا الَّتِي
أَضَرَّتْ بِذَا الْإِقْلِيمِ طَرًّا بِلا رَبِّ
فَتَقْ بِالْإِلَهِ وَاسْتَعِزْ بِهِ وَاصْبِرْ
يُنْثَلِكُ الْمَرَادَ يَا أَمِيرِي وَمَطْلَبِي
وَقَدْ وَعَدَ الرَّحْمَنُ جَلَّ جَلَالُهُ
«مَعَ الْعُسْرِ يُسْرًا» قَدْ أَتَى ذَاكَ فِي الْكُتُبِ
وَقَدْ قَالَ فَارُوقُ أَبُو حَفْصِ الرُّضِيِّ
يُسْرَيْنِ عُسْرٌ وَاحِدٌ لَيْسَ ذَا غُلْبِ
وَحَاصِلُ أَمْرِ قَالِبُوثُوقُ بِرَبِّنَا
تَعَالَى وَعَزُّ عَنْ شَرِّكَ وَعَنْ صَحْبِ

١ ابن مريم هو أبو عبد الله محمد بن أحمد المعروف بـ «ابن مريم التلمساني». أخذ عن الشيخ سعد المقرئ وغيره، وقد ذكر مشايخه ومؤلفاته في كتابه «البتان...» وهي أحد عشر تأليفاً. توفي سنة ١٠٢٠ هـ (١٦١١ م) بمسقط رأسه (تلمسان).

٢ هو عبد الرحمن بن محمد بن محمد بن موسى الوجديجي. أخذ عن الشيخ محمد ابن هبة الله بن شقرون الوجديجي، وعن والده وعن الشيخ علي ابن يحيى السلكسني الجادري وغيرهم، ولد في حدود ٩٢٩ هـ (١٥٢٣ م) وتوفي يوم الجمعة تاسع عشر شعبان سنة ١٠١١ هـ (١٦٠٣ م). (ابن مريم محمد البتان في ذكر الأولياء والعلماء بتلمسان. الجزائر مطبعة التعاليم ١٩٠٨ م. ص ١٢٩).

يُنِيلُكَ يُسْرًا ثُمَّ عِزًّا وَنُصْرَةً
وَصَلُّ عَلَى خَيْرِ الْأَنَامِ مَعَ الْعَرَبِ
يَوْمَ خَمِيسٍ خَمْسِمِائَةِ مَرَّةٍ
يُفَرِّجُ رَبِّي عَنْكَ غَمَّكَ وَالْكَرْبِ

.....

.....

فَأَبْقَاكَ رَبِّي فَاتِحاً لِحَصُونِهِمْ
وَكَهْفاً مَنِعاً ذَا عُلُومٍ وَذَا صَوْبٍ
وَنُورٍ قَلْباً مِنْكَ بِالْعِلْمِ وَالتَّقَى
وَأَعْطَاكَ مَا تَهْوَى مِنَ النَّصْرِ وَالْحُبِّ
وَبِالنَّجْلِ مَحْمُودٍ أَقْرَ عِيُونِنَا
كَفَاهُ وَقَاهُ السُّوءَ فِي الْبَعْدِ وَالْقُرْبِ
صَلَاةً وَتَسْلِيماً عَلَى أَحْمَدَ الَّذِي
بِهِ سَنَالُ الْفَتْحِ وَالْآلِ وَالصَّخْبِ
وَكَاتِبُهُ نَجْلُ ابْنِ مُوسَى مُحَمَّدٍ
مُقِرٌّ بِتَقْصِيرٍ فِي عِلْمِهِ وَالْقَلْبِ^(١)

وقال ابن مريم - أيضاً - :

وكان دخول المسلمين هذا الحصن ليلة السبت خمسة عشر من
رمضان عام سبعة وألف^(٢) تمت بحمد الله وحسن عونه، ونظم هذه الأبيات

١ ابن مريم محمد. المصدر السابق. ص ١٣٢ .

٢ الموافق ل (١١ افريل ١٥٩٩ م) .

يوم حزن الباشا - أيداه الله - على من مات من المسلمين يوم الجمعة الأول
في فتح الحصن ولا قوة قباليته قبل ورود المدافع من الجزائر المحفوظة،
ولا حول ولا قوة إلا بالله العلي العظيم^(١) :

أَمُولَايَ بِالمُخْتَارِ مِنْ آلِ غَالِبٍ
أَحَبُّهُ وَالْأَصْحَابَ كُلُّ الْأَقَارِبِ
نَحْيِي بِنَصْرِ مَعَ فُتُوحٍ تَوَاتَرَتْ
عَلَى نَجْلِ خَيْرِ الدِّينِ خَيْرِ الْمَطَالِبِ
وَتَرْضِيهِ يَا مَوْلَايَ فِي كُلِّ وَجْهَةٍ
وَتَمْنَحُهُ عِزًّا وَخَيْرَ الْعَوَاقِبِ
وَتَكْشِفُ ضُرَّهُ وَتَحْفَظُ سِرَّهُ
تُفَرِّجُ كَرْبَهُ بِإِعْطَا الْمَآرِبِ
وَتَرْعَاهُ فِي الدُّنْيَا وَفِي الْآخِرَى دَائِمًا
مِنْ الْحَقْدِ وَالْأَضْغَانِ كُلِّ الْمَصَائِبِ
وَتَجْعَلُهُ مِفْتَاحَ خَيْرٍ وَقَانِحًا
لِذَا الْحِصْنِ يَا مَوْلَايَ مُعْطِي الْمَوَاهِبِ
وَلَا يَخْفَى عَنْكَ - زَادَكَ اللَّهُ نُصْرَةً -
سُؤَالُ هِرَقْلٍ لِابْنِ حَرْبٍ وَصَاحِبِ

١/ على وزن البحر الطويل المقبوض العروض والضرب .

والناظم هو عبد الرحمن بن محمد بن موسى الوجداني السابق الذكر .

بِقَوْلِهِ: كَيْفَ كَانَ إِيَّاهُ حَرْبُكُمْ ؟
سِجَالٌ جَوَابُهُ بِلا نُكْرِ صَائِبِ

.....

وَأَنْتَ لِأَصْحَابِ النَّبِيِّ خَلِيفَةٌ
وَحِزْبُ الْإِلَهِ هُوَ أَفْضَلُ غَالِبِ
فَتَقُ بِالْإِلَهِ وَاصْبِرَنَّ تَنْلُ بِهِ
مُرَادَكَ «وَهَرَانًا» وَمَرْسَى الْقِسَارِ
وَقَدْ وَعَدَ الرَّحْمَنُ جَلَّ جَلَالُهُ
«مَعَ الْعُسْرِ يُسْرًا» لَسْتَ فِي ذَا بَغَائِبِ
عَلَى قَدْرِ تَقْوَى اللَّهِ تَأْتِي الْمَوَاهِبُ
وَتَأْتِي عَلَى قَدْرِ الذُّنُوبِ الْمَصَائِبُ^(١)

وقال عبد الرحمن الجامعي^(٢) : «ووافق هذا الفتح مقدم وفود -
وفيهم أديب عالم من سادة أهل مكة شرفها الله تعالى - على سيد الأمير^(٣)
- نصره الله - وكان إذ ذاك عنده في كرم الضيافة، فقال - في تهنته
بهذا الفتح السعيد - أحياناً لو كانت ماء لاستعذب السقيم ارتشافها
وهي هذه^(٤) :

١ ابن مريم محمد. المصدر السابق. ص ١٣٣ .

٢ المصدر السابق. ص: ٦٦ .

٣ الأمير: هو الداوي محمد بكداش .

٤ على وزن البحر البسيط . المخبون العروض والضرب .

- ر -

يَا أَمِيرُ عَلَى عُلْيَاهُ قَدْ عُقِدَتْ
 جَرَتْ لِسَعْدِكَ أَفْلَاكُ السَّمَاءِ بِمَا
 أَنْتَ لِنَجْوَاكَ أَبْكَارُ الْفُتُوحِ وَكَمْ
 أَرْعَبْتَ - خَوْفًا - قُلُوبَ الْكَافِرِينَ فَهُمْ
 لَا زَالَ جَيْشُكَ أَنِّي سَارَ بِقَدَمِهِ
 دَانَتْ لَكَ الْأَرْضُ دَانِيهَا وَشَاسِعُهَا
 وَأَحْرَفُ الْعِزِّ وَالنَّصِيرِ الْمُبِينِ عَلَى
 أَنَا لَكَ اللَّهُ مَا تَهْوَى وَتَطْلُبُهُ
 فَاللَّهُ يُبْقِيكَ فِي خَيْرٍ وَعَافِيَةٍ

خَنَاصِرٌ فَهُوَ فَرْدُ الْمَجْدِ وَالْخَطَرِ^(١)
 تَخْتَارُ فِي الْأَمْرِ مِنْ نَفْعٍ وَمِنْ ضَرَرٍ
 رَمَتْ سِوَاكَ بِشُومِ الْعَجْزِ وَالْحَصْرِ
 قَتْلَى وَصَرَغَى لَدَى الْعِقْبَانِ وَالنُّسْرِ
 نَصْرٌ وَقَتَحُ مُبِينٌ غَيْرُ مَنْحَصِرٍ
 وَقَدْ أَطَاعَكَ أَهْلُ الْبَدْوِ وَالْحَضَرِ
 لِيَاكَ قَدْ رَقَمَتْهَا أَنْمَلُ الْقَدْرِ
 مِنْ السَّعَادَةِ وَالْإِقْبَالِ وَالظَّفَرِ
 مَا دَامَ فِينَا ضِيَاءُ الشَّمْسِ وَالْقَمَرِ^(٢)

ثم قال عبد الرحمن الجامعي - أيضاً - : وقد كنت أوان هذا
 الفتح^(٣) بـ (تلمسان) اتذاكر مع بعض الاخوان في علمي النحو والبيان
 فصدر من أحدهم قول ينبيء بقصوره فاعملت الجهد في اصلاح خطه،
 وجبر مكسوره، ثم أثبتته هنا^(٤) كما أثبت قولي السقيم وان صَوَحَ^(٥) النبت
 رعي الهشيم، وهو هذا^(٦) :

١ الخطر : القدر . يقال : شيء خطير . أي : نفيس ذو قدر .

٢ المصدر السابق . ص : ٨٨ .

٣ هذا الفتح : فتح وهران الأول سنة ١١١٩ هـ - ١٧٠٨ م .

٤ هنا : في شرحه لارجوزة الحلفاوي .

٥ صَوَحَ : جف ، وبيس .

٦ على وزن البحر الطويل . المقبوض العروض . التام الضرب .

- ر -

سَلَامٌ عَلَى الْجُنْدِ الْمَوَائِدِ بِالنَّصْرِ
 ضَرَاغِمُ خَلَقِ اللَّهِ فِي الْبَرِّ وَالْبَحْرِ
 جُيُوشُ بِهَا الْإِسْلَامُ عَزَّ مَنَالُهُ
 فَأَصْبَحَ دِينُ اللَّهِ مُبْتَسِمَ الثَّغْرِ
 فَمَا شَغْلُهُمْ إِلَّا الْجِهَادُ جَزَاهُمْ
 إِلَهُ الْوَرَى خَيْرًا يَفُوقَ عَلَى الْخَضِرِ
 هُمْ مَنَعُوا الْإِسْلَامَ مِنْ كُلِّ صَائِلٍ
 هُمْ قَصَمُوا الْأَعْدَاءَ بِالْبَيْضِ وَالسُّمْرِ
 هُمْ خَرَّبُوا دَارَ الصَّلِيبِ وَمَزَّقُوا
 لُحُومَ الْعِدَا لِلْوَحْشِ وَالطَّيْرِ وَالْقَفْرِ
 وَأَحْيَوْا رُسُومَ الدِّينِ بَعْدَ انْدِرَاسِهَا
 وَغَارُوا عَلَى الدِّينِ الْقَوِيمِ مِنَ الْكُفْرِ
 فَفَكُّوا ثُغُورًا طَالَمَا لَعِبَتْ بِهَا
 يَدُ الشُّرْكِ فِي الْأَسْرَارِ قَصْدًا وَفِي الْجَهْرِ
 وَأَبْدَلَ بَعْدَ الْعُسْرِ يُسْرًا وَأَصْبَحَتْ
 دُمَى^(١) الْكُفْرِ فِي حَضَرٍ وَعُسْرِ وَفِي خُسْرِ
 فَمَنْ مَاتَ مِنَّا بِالشَّهَادَةِ فَائِزٌ
 وَمَنْ مَاتَ مِنْهُمْ كُوبٌ فِي لَهَبِ الْجَمْرِ

١ دُمَى الْكُفْرِ: صَلْبَانِهِمْ، وَمَعَايِدُهُمْ.

رَعَى اللَّهُ أَيَّامَ الْبَشَائِرِ إِنَّهَا
 مَوَاسِمُ لِلْإِسْلَامِ بِالْفَتْحِ وَالنَّصْرِ
 فَيَا سَعْدَ شَخْصٍ كَانَ لِلْفَتْحِ حَاضِرًا
 لَقَدْ حَازَ حَظًّا فِي السَّعَادَةِ ذَا وَفِرِ
 وَنَعِمَ فَتَى مَا زَالَ فِيهِ مُرَابِطًا
 يُنَزَّهُ عَنْ زَيْدٍ - هُنَاكَ - وَعَنْ عَمْرِ
 فَتَى مُخْسِنٌ لِلْقَاصِدِينَ بِفَضْلِهِ
 لَذَا «حَسَنًا»^٢ سَمَاءُ ذُو الْمُلْكِ وَالْأَمْرِ
 بِهِ بَلَغَ الْإِسْلَامُ غَايَةَ سُؤْلِهِ
 وَأَصْبَحَ أَهْلُ الْكُفْرِ فِي الْحَشْرِ وَالْعُسْرِ
 هُمَامٌ حَوَى الْمَجْدَ الْمُؤَثَّلَ بِأَفْعَا
 شُجَاعٌ كَمِيٌّ طَاعِنُ الصَّدْرِ وَالنَّخْرِ
 رَحِيمٌ بِكُلِّ الْمُؤْمِنِينَ مُلَاطِفٌ
 رَوْفٌ عَطُوفٌ فِي النَّوَائِبِ ذُو صَبْرِ
 رُحِمْنَا بِهِ فَلَا أَرْضُ تَزْهُو بِذِكْرِهِ
 كَمَا رُحِمَتْ فِي الْجَذْبِ مِنْ صَيْبِ الْقَطْرِ
 رَسَائِلَ شَوْقٍ نَحْوَهُ قَدْ بَعَثَهَا
 تُهْنِيهِ بِالْفَتْحِ الْعَزِيزِ وَبِالظَّفْرِ

٢ حسنا: هو الخليفة أو وزن حسن . المتقدم الذكر مراراً في تعاليفنا على المقامات التي نحن بصدد تحقيقها (التحفة المرضية) .

رَكَابَ آمَالٍ لَدَيْهِ أَحْطَاهَا
 فَتَنَّمُ مَطْلُوبًا وَتَغْرِفُ مِنْ بَحْرِ
 عَلَيْهِ سَلَامُ اللَّهِ مَا قَالَ قَائِلُ
 سَلَامٌ عَلَى الْجُنْدِ الْمُؤَيَّدِ بِالنَّصْرِ^(١)

وقال أبو عبد الله محمد حفيد المهدي الجزائري (وقد نظمها سنة
 ١١١٦ هـ (١٧٠٥ - ١٧٠٤ م)^(٢) :

- ل -

جِئْنَاكَ يَا شَيْخَ الْعُلَى نَتَوَسَّلُ
 وَنُرُومُ غِيثًا مِنْ جَنَابِكَ يَهْطِلُ
 بِشَفْعِ حَقًّا عَلَيْكَ قَبُولُهُ
 وَقَضَاءِ حَاجَةٍ مِنْ بِهِ يُتَوَسَّلُ
 هُوَ أَحْمَدُ الْمُخْتَارُ أَفْضَلُ سَيِّدُ
 بِالْجَاهِ مِنْهُ إِلَى الرُّضَى يُتَوَصَّلُ
 خَيْرُ الْبَرِيَّةِ سَيِّدُ الْكَوْنَيْنِ وَالثَّقَفِ
 لَمِنْ أَفْضَلُ مَنْ نَدَاهُ يُؤَمَّلُ
 كَهْفُ الْخَلَائِقِ يَوْمَ يَفْرَعُ أَنْبِيَا
 اللَّهُ فِيهِ وَدَمَعُهُمْ مُسْتَرْسِلُ

١ (الجامعي، عبد الرحمن، شرح أرجوزة الحظاوي، ص: ١٣).

٢ على وزن البحر الكامل، الصحيح العروض والنضرب.

وَالرَّبُّ جَلَّ جَلَالُهُ بِاللُّطْفِ يَدُ
حَظُّهُ وَيَسْمَعُ مَا يَقُولُ وَيَقْبَلُ
وَبِحُرْمَةِ الصَّدِيقِ مَنْ لِنَبِينَا
أَبْدَى لِصُحْبَتِهِ الْكِتَابُ الْمُنَزَّلُ
وَبِرُبُوبَةِ الْفَارُوقِ أَفْضَلُ مَنْ غَدَا
بِالْحَقِّ مِنْ شِبْهِ الضَّلَالَةِ يَفْضِلُ
وَبِثَالِثِ الْخُلَفَاءِ عُثْمَانَ الَّذِي
فِي دِينِهِ وَحَبَائِهِ لَا يُعْدَلُ
وَبِنَجْلِ عَمِّ الْمُصْطَفَى وَمَنْ انْتَصَا
هُ اللَّهُ سَيِّفًا كَيْفَ حَارَبَ يَقْتُلُ
وَبِسَيِّدِ الشُّهَدَاءِ حَمْزَةَ يَا لَهُ
أَسَدًا لِصَوْلَتِهِ الْقُلُوبُ تُزَلْزَلُ
وَبِصَنِوهِ الْعَبَّاسِ مَنْ بِدُعَائِهِ
يُسْقَى الْأَنَامُ بِصِيبٍ يَتَسَلَّلُ
وَإِذَا أَمْرُهُ وَافَى بِسِيطِي أَحْمَدِ
حَتْمًا يُنْقَذُ مَا يَقُولُ وَيَسْأَلُ
بِهِمَا أَتَيْنَا وَالْكَرِيمُ طِبَاعُهُ
مَهْمَا أَتَاهُ عَزِيزُ قَوْمٍ يَفْضِلُ
أُخْرَى بِرَيْحَانِي رَسُولِ اللَّهِ فَالْأَزْوَ
حُ إِنَّ طَلِبْتَ لِدَيْنِكَ تُبْذَلُ

فِي رَدِّ دَارِكَ لِلَّذِينَ تَمَسَّكُوا
 بِاللَّهِ وَاعْتَصَمُوا بِهِ وَتَوَكَّلُوا
 رَحْمَاكَ يَا عِلْمَ الْهُدَى فَالْصَّفْحُ مِنْ
 أَهْلِ الْحَقِيقَةِ فِي الْجَنَابَةِ أَجْمَلُ
 نَرْجُو رِضَاكَ فَرَبَّنَا سُبْحَانَهُ
 مَهْمَا رَضِيتَ بِفَتْحِهِ يَتَفَضَّلُ
 إِنَّا نَوَسَّلْنَا إِلَيْكَ بِسَادَةٍ
 أَقْدَامُهُمْ فَوْقَ الْحَيَاةِ تَبَجَّلُ
 فَبِحَقِّهِمْ إِلَّا قَضَيْتَ حُقُوقَنَا
 وَفَتَحْتَ مِنْ بَابِ الْعِدَا مَا يُقْفَلُ
 وَرَجَعْتَ لِلْإِسْلَامِ رَجْعَةً مُشْفِقٍ
 لِلَّذِينَ تَنْصُرُ وَالْكَوَافِرَ تَخْذُلُ
 حَتَّى نَرَى (وَهَرَان) دَارَ إِقَامَةٍ
 لِصَلَاتِنَا بَعْدَ الْأَذَانِ نُكَمِّلُ
 وَنَرَى بِهَا الْقُرْآنَ يَفْشُو دَرَسُهُ
 وَالْعِلْمَ حَلَّ بِهَا وَنِعْمَ الْمَنْزِلُ
 وَيُؤُوبُ عِبَادُ الصَّلِيبِ بِحَسْرَةٍ
 وَلِدَارِ كُفْرِهِمُ الشَّيْعِ نَزْلُزُلُ
 وَحِصَارُنَا أَيَّامُ مُتَعَسِّفٍ
 وَعَلَيْهِمْ مِنْهُ الْبَلَاءُ مُوَكَّلُ

وَالْخَيْلُ تَمْرَحُ فِي جَوَانِبِ أَرْضِهِمْ
طَوْرًا وَطَوْرًا بِالْأَسَارَى تُقْبِلُ
حَتَّى إِذَا طَالَ الْبَلَاءُ عَلَيْهِمْ
وَلَدَيْهِمْ بِالْحَضَرِ دَاءٌ مُغْضِلُ
خَرَجُوا تَخَالَهُمُ السَّرَابَ إِلَى الْوَعَى
مُتَيَقِّنِينَ بِأَنَّهُمْ لَنْ يَفْشُلُوا
وَتَأَهَّبَتْ فُرْسَانُنَا لِقِتَالِهِمْ
وَالْخَيْلُ تَرْفُلُ بِالسُّرُوجِ وَتَصْنَعُ
ثُمَّ امْتَطَوْا لِظُهُورِهَا وَتَقَلَّدُوا
بِكَوَاكِبِ الْأَسْيَافِ مِمَّا يُحْمَلُ
مِنْ كُلِّ هِنْدِيٍّ كَأَنَّ وَقُوعَهُ
نَجْمٌ أَغَارَ عَلَى الْأَبَالِسِ مُشْعَلُ
أَوْ أَسْمَرَ لِلْخِطِّ^(١) يُنْسَبُ صُنْعُهُ
عَنْ نَحْرِهِمْ فِي الطَّغْنِ لَا يَتَحَوَّلُ
بَاعُوا النُّفُوسَ بِجَنَّةٍ مِنْ رَبِّهِمْ
أَكْرَمَ بِهِ يَتَعَا وَرَبْحًا يَخْصُلُ
وَتَصَادَقَتْ حِمَلَاتُهُمْ فَكَانَتْهُمْ
عِقْبَانُ جَوْ بِالطَّرَائِدِ أَقْبَلُوا
مِنْ بَيْنِ ذِي قَتْلِ يُشْحَطُ فِي الدِّمَا
بَطْشًا وَذِي أَسْرِ بِهِ يُتَعَجَّلُ

١ الخط - بكسر أوله - موضع بالبهامة تصنع به الرماح ونسب إليه .

وَنَعَلَتْ أَبْطَالَنَا بِحُمَاتِهِمْ
تُبْدِي لَهُمْ حَرْبًا أَمْرًا وَأَهْوَلًا^(١)
وَالْمَشْرِفِيَّةُ لِلرُّقَابِ قَوَاطِعُ
وَمِنَ الْبَنَادِقِ فِي الصُّدُورِ تَوَغُّلُ
وَلَأَهْلِ حِزْبِ اللَّهِ نَمَتْ صَوْلَةٌ
وَبِعِزِّهِمْ رَبُّ السَّمَاءِ مُتَكَفِّلُ
حَتَّى إِذَا مَا نُفِذَ الْمَقْدُورُ فِي
حِزْبِ الشَّقَاءِ عَلَى الْهَزِيمَةِ عَوَّلُوا
وَلَوْ عَلَى الْأَدْبَارِ يَحْطِمُ بَعْضُهُمْ
بَعْضًا كَانَهُمُ الْقَطِيعُ الْمُهْمَلُ
وَالسَّيْفُ يَأْخُذُهُمْ وَيَعْمَلُ فِيهِمْ
عَمَلًا لِأَعْنَاقِ الْأَخَابِثِ يَشْكُلُ^(٢)
وَنَهَافَتْ أَبْطَالَنَا بِعِزِّهِمْ
نَحْوَ الْمَدِينَةِ وَاسْتَبَانَ الْمَذْخَلُ
وَلَجُّوا عَلَيْهَا كَالصَّقُورِ نَجَابَةٌ
وَالْكَافِرُونَ بِكُفْرِهِمْ قَدْ أَسْلَوْا^(٣)

١ في الشطر الثاني إقواء .

٢ بشكل ... اما من شكلت الكلب إذا قيدته، وأما من اشكل ماء دجلة إذا امتزج واختلط بياضه بحمرته،

٣ وهو المراد هنا .

اسبلا ... اسلموا أنفسهم للهلاك والعذاب .

فَمَلَكُوهَا عَنُوءَ وَزَمَتْ بِهِمْ
 فَرَحًا وَعَادَ لَهَا الزَّمَانُ الْأَوَّلُ
 هَذَا بِفَضْلِ اللَّهِ نَرْجُو عَاجِلًا
 وَاللَّهُ يَقْضِي مَا يَشَاءُ وَيَفْعَلُ
 وَإِلَيْكَ يَا شَيْخَ الْعُلَى وَجَّهْتُهَا^(١)
 عَذْرَاءَ فِي ثَوْبِ الْمَحَاسِنِ تَرْفُلُ
 جَاءَتْ عَلَى قَدَرٍ وَإِنَّ الْفِكْرَ أَعْو
 زَهَا عَلَى نَهْجِ الْإِجَادَةِ مُشْغَلُ
 وَأَجَلُ مَقْصِدِهَا الْقَبُولُ فَإِنَّهُ
 حَلِيٌّ بِجَوْهَرِهِ النَّظِيمِ تَجَمُّلُ
 ضَامَتْ شَقِيقَتَهَا^(٢) وَمَطْلَعُ حُسْنِهَا
 الْحَقُّ يَغْلُو وَالْأَبَاطِلُ تَسْفُلُ
 وَقَالَ أَبُو عَبْدِ اللَّهِ مُحَمَّدُ الْمَعْرُوفُ بَابِنِ عَلِيِّ بْنِ أَبِي عَبْدِ اللَّهِ سَيِّدِي
 الْمَهْدِي الْجَزَائِرِيِّ^(٣) :

- م -

عِيُونُ دَهْتَنِي أُمُّ سِيُوفٍ صَوَارِمُ
 وَسُمُرٌ رَمْتَنِي أُمُّ قُدُودٍ نَوَاعِمُ^(٤)

١ الضمير يعود على القصيدة .

٢ شقيقتها : اختها من القصائد التي سبقتها في هذا الغرض .

٣ توفي في حدود ١٠٩٣ هـ / ١٦٨٢ م ، (- تعريف الخلف ، ج : ٢ ص : ٤٧١ . - شرح أرجوزة

الحلفاوي ، ص : ١٠٥) .

٤ على وزن البحر الطويل . 'مفروض' مروض والضرب .

وَتِلْكَ بُرُوقٌ فِي الْحَنَادِسِ^(١) أَوْتَمَصَتْ
 فَعَمَّ سَنَاهَا أُمُّ تُغُورٍ بِوَايِمٍ
 فَكَمْ لَيْلَةٍ وَافَتْ فَمَزَّقَتْ الدُّجَى
 شُمُوسٌ أَكْثَتَهَا الْخُدُورُ الْعَوَاصِمُ
 سَدَلْنَ ظِلَالًا فَوْقَ صَبَحٍ مَخَافَةٍ
 فَمَمَّ شَذَا كَالْمِسْكِ فِيهِنَّ لَازِمُ
 وَأَوْدَعَ قَلْبِي - يَوْمَ وَدَّعَ - جَمْرَةً
 كَلَامٌ كَنَظَمِ الدَّرِّ فِيهِنَّ كَالِمُ
 وَلِي نَزْعَةً قَيْسِيَّةً عَرِيَّةً
 فَهَا أَنَا مِنْهَا الدَّهْرُ نَشْوَانُ نَاعِمُ
 دَعَانِي لَهَا دَاعِي الصَّبَا فَتَكَلَّفَتْ
 إِجَابَتَهُ مِنِّي الْقَوَى وَالْعَزَائِمُ
 فَكَمْ رَشَقَةٍ عَنْ مِثْلِهَا السَّهْمُ قَاصِيُ
 وَطَعَنُ بِقَلْبِي لَمْ تُفِدْهُ اللَّهَازِمُ^(٢)
 لِيَقْضِي عَلَيَّ الْحُسْنَ مَا كَانَ قَاضِيًا
 سِوَايَ عَلَى مَا جَرَّهُ الطَّرْفُ نَادِمُ
 وَحَيُّ عَلَى هَضْبِ اللَّوَاءِ مُنْظَمُ
 أَنَافَ عَلَى الشَّطْرُنْجِ مِنْهُ التَّلَاوُمُ

١ الحنادس: جمع حندس - بكسر أوله - وهو الليل الشديد الظلمة .

٢ اللهاذم: جمع لُذِم كجعفر، وهو التقاطع من الاسنة .

إِذَا هَبَّتِ الْأَرْوَاحُ مِنْهُ تَزَوَّحَتْ
 لَهَا الرُّوحُ أَوْ مَرَّتْ عَلَيْهَا النُّوَامِمْ
 كَأَنَّ بِهَا الْخِلْجَانَ شَكْلُ سَجَنَجَلٍ^(١)
 تُرْصِعُهَا زُهْرٌ إِذَا اللَّيْلُ عَايِمٌ
 وَرَاقَ بِهَا وَرْدُ الْغَزَالَةِ إِذْ حَكَى
 سَبَائِكَ تَبْرِ مَوْجُهَا الْمُتَلَاطِمُ
 تَذَكَّرْتُهُ وَاللَّيْلُ مَدَّ رَوَاقَهُ
 فَأَصْلَى قُوَادِي حِينَ ذِكْرَاهُ جَاحِمٌ
 فَأَبْقَظْتُ عَيْنَ الْحَزْمِ مِنْ سَنَةِ الْكُرَى
 وَشَدَّتْ عَلَى نَحْرِي إِلَيْهِ الْحَبَازِمُ^(٢)
 وَلَبَّيْتُ أَمْرَ الشُّوقِ بِالسَّمْعِ رَاضِيًا
 كَمَا حَكَمْتَ تِلْكَ الشَّجَايَا اللَّوَاظِمُ
 تَخَيَّرْتُهُ مِنْ نَسْلِ أَغْوَجَ قُبَا
 عَلَى الصِّلْدِ لَا تَكْبُو لَدَيْهِ الصَّلَادِمُ^(٣)
 سَرَيْتُ بِهِ أَفْلَى الْفَلَا مُتَبَخِّرًا
 يُمَازِجُنَا مِنْهُ الصَّدِيقُ الْمُنَادِمُ
 يَصُولُ بِحُسْنِ السَّيْرِ عَنْ كُلِّ مَهْمَةٍ^(٤)
 مَجَاهِلُهُ تَعْنُو لَهُ وَالْمَعَالِمُ

١ السجنجل: المرأة .

٢ الحيازم: جمع حيزوم هو وسط الصدر وشد الحيازم كتابة عن قوة الصبر .

٣ الصلادم: جمع صلدم - بكسر أوله - وهو الشيء الصلب، والشديد الحافر، والأمد .

٤ المهمة والمهمة: المفازة والأرض القفراء، يجمع على معامه .

إِلَى أَنْ هَدَّتْنِي نَفْحَةُ عُنْبُرِيَّةُ
 إِلَى الْحَيِّ حَيْثُ الْغَانِجَاتُ الْكَرَائِمُ
 فَتَاجَيْتُ فِكْرِي مَلَأَ أَهْبِلُ مَوَدَّتِي
 عَلَى الْعَهْدِ مَا شَابَ الْوِدَادُ مُزَاجِمُ
 وَهَلْ ذَلِكَ الْحُسْنُ الْبَدِيعُ مُحَجَّبُ
 مَصُونُ بِأَنْوَاعِ الْمَحَامِدِ قَائِمُ
 فَأَبْتُ وَحَسْبِي لَمَحَةُ الدَّارِ أَنَّهَا
 تُحَافِظُ عَنْ رَسْمِ الْهَدَى وَتُسَالِمُ
 وَقَدْ نَصَبَ الصُّبْحُ الْأَغْرُ خِيَاءَهُ
 فَكَّرْتُ عَلَى الظُّلْمَاءِ مِنْهُ هَزَائِمُ
 كَمَا لَاحَ صُبْحُ الْحَقِّ يَوْمًا بِدَوْلَةٍ
 تَلَاسَتْ بِهَا لَمَّا رَأَتْهَا الْمَظَالِمُ
 إِلَيْهِ تَنَامَى الْحَزْمُ وَالْعَزْمُ وَالْعُلَى
 وَعَنْهُ إِلَى الْأَقْطَارِ تُرَوَّى الْمَكَارِمُ
 أَبِي اللَّهِ إِلَّا أَنْ يُشِيعَ هِلَالُهُ
 وَلَيْسَ لِمَا يُبْدِيهِ ذُو الْعَرْشِ كَاتِمُ
 وَصِيرُهُ فِي الْأَرْضِ حِصْنًا مُشِيدًا
 أَعَارِبُهَا تَهْدِي بِهِ وَالْأَعَاجِمُ
 لَهُ قَدَمٌ فِي مَرَكَزِ الْعِزِّ ثَابِتُ
 وَرَأْيُ سَدِيدٍ لَمْ تُرِعْهُ الْعَظَائِمُ

رَفِيعُ الْبِنَا فِي الْمَجْدِ شَهْمٌ مُحَنِّكَ
 خَيْرٌ بِأَفْرَادِ السِّيَاسَةِ عَالِمٌ
 إِلَى الْعَدْلِ وَالْإِحْسَانِ يَهْدِي وَيَهْتَدِي
 وَيُصْفَحُ عَمَّنْ أَوْبَقَتْهُ الْجَرَائِمُ
 تَزَوَّدَ تَقْوَى اللَّهِ جَلَّ جَلَالُهُ
 وَزَادَ التُّقَى كَثُرَ لِمَنْ هُوَ عَادِمٌ
 فَيَا مَنْ رَمَتْهُ الْحَادِثَاتُ بِأَسْهُمِ
 وَصَالَ عَلَيْهِ الْمُشْتَفَى وَالْمُصَادِمُ
 وَأَسْلَمَهُ الدَّهْرُ الْخَوْنُ وَذَنْبُهُ
 كَمَالُ الْحِجَى يَقْظَانُ أَوْفَى وَفَاهِمٌ
 عَلَيْكَ بِهَذَا الْمُجْتَبَى مِنْ سُلَالَةٍ
 نَمَاهَا^(١) إِلَى دَوْحِ الْمَفَاخِرِ هَاشِمٌ
 لَتَعْلَمَ كَيْفَ الْجُودُ وَالْفَضْلُ لَا الَّذِي
 تَكَلَّفَهُ فِي سَالِفِ الدَّهْرِ حَاتِمٌ
 تَعَوَّدَ بَسْطَ الْبَذْلِ كَهْلًا وَيَافِعًا
 يُوَالِيهِ مُذْ شُدَّتْ عَلَيْهِ التَّمَائِمُ
 سَطَا سَيْفُهُ بِالْكَفْرِ أَفْطَحَ سَطْوَةً
 لَقَدْ أَحْجَمَتْ عَنْهَا الْأَسُودُ الضَّرَاغِمُ
 غَدَا ذَلِكَ الْجَمْعُ الْخَيْثُ مُكْسَرًا
 وَجَمْعُ الْهُدَى فِي حَوْمَةِ الْحَرْبِ سَالِمٌ

وَهَلْ طَاوَعَتْ (وَهَرَانُ) قَبْلُ مُمْلَكًا
سِوَاهُ فَأَضْحَى أَنْفُهَا وَهَوَ رَاغِمُ
فَكَمْ سَامَهَا مَنْ لَا بُنَاهِضُهَا وَكَمْ
حَوَالِي حِمَاهَا حَامَ بِالزُّورِ حَائِمُ
مِىَ الْبِكْرِ كَانَتْ لَمْ يُفَضَّ خِنَامُهَا
وَلَمْ يَغْلُهَا فَعَلُ لِيذِي الْكُفْرِ قَاضِمُ
تَمْلِكُهَا حِزْبُ الشَّقَاءِ وَلَمْ يَكُنْ
زَمَانًا لِحِزْبِ الْحَقِّ عَنْهَا مُخَاصِمُ
بِهَا يُسْمَعُ النَّاقُوسُ مِنْ نَحْوِ فَرَسَخِ
وَمِنْ لُغَةِ الْكُفَّارِ فِيهَا تَرَاجِمُ
وَفِي كُلِّ يَوْمٍ صَبِيحَةٌ مِنْ خِيُولِهَا
يُنُوحُ لَهَا الْإِسْلَامُ وَالشُّرْكُ بِأَيْمِ
زَهَا وَاعْتَلَى التَّلِيثُ فِيهَا وَنُكِّسَتْ
لِمَا دَهَمَ التَّوْحِيدُ مِنْهُ الْعَمَائِمُ
وَكُلُّ رَئِيسٍ يُرْتَجَى لِيُخْطُو بِهَا
تَشَاغَلَ فِي لَذَائِهِ وَهُوَ نَائِمُ
وَرُبُّ أَمِيرٍ أَرْمَعَ السَّيْرَ نَحْوَهَا
فَيَرْجِعُ لِمَا كَانَتْهُ الدَّرَاهِمُ
رَضُوا بِالرُّشَى فِي الدِّينِ حِينَ تَخَلَّفُوا
وَقَدْ رَسَخَتْ فِي الْأَرْضِ تِلْكَ الْأَرَاقِمُ

تُنَادِي الرَّعَابَا لَمْ يُجِيبُوا مُلُوكُهَا
وَتَصْرَخُ لَوْلَبَىٰ لَذَا الصَّوْتِ رَاجِمُ
وَمَا أَمَهَلَ الرَّحْمَنُ إِلَّا لِحِكْمَةٍ
لَهَا قَلَمُ التَّضْرِيفِ فِي اللَّوْحِ رَاقِمُ
فَقَبِضَ لِلْفَتْحِ الْمُبِينِ مُهَنَّادُ
رَقِيقَ الشَّبَا^١ صَلَبَ الصَّفِيحَةِ صَارِمُ
إِمَامُ سَقَى الْكُفَّارِ كَأْسَ مَنِيَّةٍ
لَهُمْ شُبُهٌ بِالنَّمْلِ وَالسَّيْفِ حَاطِمُ
لَقَدْ صَالَ فِيهِمْ صَوْلَةٌ هَاشِمِيَّةٌ
فَأَغْنَاهُمْ^٢ فِي الْحَرْبِ حَيْرَانُ وَاجِمُ
وَمَزَقَهُمْ فِي الْأَرْضِ كُلُّ مُزَقٍ
فَرَبَعُهُمْ بَعْدَ الْعِمَارَةِ طَائِمُ
وَعَادَ لَوَهْرَانَ السِّنِّيَّةُ فَخْرَهَا
وَأَبَ إِلَيْهَا عَهْدُهَا الْمُتَقَادِمُ
لِيَهْنَأَ أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ بِفَتْحِهَا
فَقَدْ سَجَعَتْ تَثْنِي عَلَيْهِ الْحَمَائِمُ
هَدِيَّتُهُ الْغُرَاءُ نَحْوَكُمْ يَمَّتْ
تَفُوقُ عَلَى مَا قَدْ حَوَتْهُ اللَّطَائِمُ^٣

١ الشبا: قدر ما يقطع به من السيف .

٢ فاعناهم: جبارهم وعتيهم .

٣ اللطائم: جمع لطيمة، وهي أوعية المسك، وقد تطلق على المسك نفسه .

فَمَا جَادَ فِكْرَ ابْنِ الْحُسَيْنِ^(١) بِمِثْلِهَا
وَمَا حَاكَمَهَا - فِيمَا عَلِمْتُ - كُشَاجِمُ^(٢)
وَلَوْ حَاَزَ شِعْرَ الْبَحْثَرِيِّ^(٣) انْسِجَامَهَا
لَجَادَ عَنِ الطَّائِي^(٤) وَهُوَ مُرَاغِمُ
فَدُونَكَمَا عَذْرَاءَ رَقٍّ نَسِيمُهَا
وَفِي مَدْحِهَا عَلَيْكَ ذُو الْعَقْلِ وَاهِمُ
كَأَنَّ مَعَانِيَهَا الْأَزَاهِرُ فُتِحَتْ
وَأَلْفَاظُهَا تِلْكَ الْعِذَابُ كَمَايِمُ
لَهَا بِاسْمِكَ الْمَكْنُونِ عِنْدَكَ رُبَّةُ
وَمَا رَأَيْتُ بِالْأَسْمَاءِ قَطُّ جَوَازِمُ
فَأَنْتَ الْهُمَامُ الْفَخْرُ وَالسَّيِّدُ الَّذِي
لِدَاءِ وُشَاةِ الزُّورِ وَالسَّغِي حَايِمُ
وَأَنِّي وَإِنْ أُخْجِمْتُ أَوَّلَ مَرَّةٍ
عَلَى خَوْضِ هَذَا الْبَحْرِ وَالْغَيْرِ عَائِمُ

١ ابن الحسن، هو أبو الطيب أحمد بن الحسين الجعفي المعروف بـ «المتنبي» ولد سنة ٣٠٣ هـ - ٩١٦ م بالكوفة وتوفي قتيلاً سنة ٣٥٤ هـ - ٩٦٥ م .

٢ كشاجم: هو أبو التفتح محمد بن الحسين بن شاهر الملقب بـ «كشاجم» فالكاف تدل على كتاب والثن على شاعر والألف على أديب والجيم على جواد والميم على منجم . وهو هندي الأصل . توفي سنة ٣٥٠ هـ - ٩٦١ م .

٣ البحتري، هو أبو عبادة الوليد بن عبيد بن يحيى البحتري نسبة إلى بحتري عبود بن عدي . كان البحتري من التلاميذ النجباء لأبي تمام الطائي ، ولد سنة ٢٠٦ هـ - ٨١٨ م وتوفي سنة ٢٨٤ هـ - ٨٩٧ م .

٤ الطائي، هو حبيب بن أوس الطائي المعروف بأبي تمام، ولد سنة ١٨٠ هـ - ٧٩٦ م، وتوفي سنة ٢٢٨ هـ - ٨٤٣ م . وليس هو حاتم الطائي الجواد كما يتبادر لبعض الأذهان .

فَمَا هِيَ إِلَّا هِبَةٌ الْمَلِكِ قَلَمًا
عَلَى مِثْلِهَا فِي النَّاسِ يَقْدِمُ قَادِمُ
وَعَهْدِي قَوَافِي الشُّعْرِ عَنِّي أَذُودُهَا
زَمَانًا وَفِكْرِي مَوْجُهُ مُتَلَاطِمُ
يُصَوِّغُ حُلَى الْأَوْصَافِ حُسْنَ صِيَاغَةٍ
لَهَا سِمَةٌ مِنْ حُسْنِهِ وَعَلَائِمُ
وَمِنْكَ نَحَلِّي أَيُّهَا الْمَلِكُ الرَّضِي
بِهَاءَ فَرَائِثِهِ حِلَاهُ الْوَسَائِمُ
قَدُمُ لِلنَّدَى وَالْبَاسِ نُرْجِي وَتَتَّقِي^(١)
وَسَيْفُ الْمَعَالِي فِي يَمِينِكَ صَارِمُ
وَلَوْلَاكَ مَا كَانَ التِّفَافُ لِفَقْرَةٍ
وَلَا سَامَ نَظْمِ الشُّعْرِ كَالدَّرِّ سَائِمُ
فَلَا زِلْتَ مَحْفُوظَ الْجَنَابِ مُؤَيَّدًا
وَلَا بَرِحْتَ تَثْنِي عَلَيْكَ الْعَوَالِمُ
وَأَحْمَدُ مَنْ وَّلَاكَ أَمْرَ عِبَادِهِ
لَهُ الْحَمْدُ إِذْ وَّلَاكَ وَالشُّكْرُ دَائِمُ
وَأَزْكَى صَلَاةٍ بَعْدَهُ وَتَحِيَّةٍ
عَلَى الْمُصْطَفَى مَنْ هُوَ لِلرُّسُلِ خَاتِمُ

١ نرجى وتتنى: هذان الفعلان لبا جواباً لـ (دم) وإلا كانا محذوفين الأخير، وإنما هما جملة فعلية متعقة بمحذوف خبر، وتقدير الكلام: فانت نرجى وأنت بك يتنى.

قال أبو العباس أحمد بن عبد الله القاضي المعروف بـ (ابن أبي
المحل) ^(١) :

- م -

وَمَنْ مُبْلِغٌ - أَيْضاً - مُلُوكَ الْأَقَالِمِ
وَكُلُّ رَئِيسٍ مِنْ رُؤُوسِ الْعَمَائِمِ
وَكُلُّ مُنَاصِرٍ مَائِلٍ فِي حِمَائِلِ
عَلَى مَثَرِ جَارٍ سَابِقٍ فِي الْعَزَائِمِ
وَكُلُّ زَعِيمٍ مُوَلِّعٍ عَنْ جُلُودِهِ ^(٢)
بِصَيْدِ الضَّوَارِي مِنْ فُحُولِ الضَّرَاغِمِ
وَسُلْطَانَهَا التُّرْكِيَّ فِي دَارِ مُلْكِهِ
وَيَتَّعِلُّ عِلَاقَةً فِي دُهَاهِ الطَّمَاظِمِ
وَجُنْدُ بَنِي عُثْمَانَ فِي كُلِّ قَائِدٍ
جِيُوشٌ كَمَوْجِ الْبَحْرِ عِنْدَ التَّلَاطِمِ
يُرِيدُونَ مِنْ وَهْرَانٍ مَا سَبَقَ الْقَضَا
بِتَنْفِيذِهِ لِلْوَقْتِ فِي جَفَرٍ ^(٣) عَالِمِ
يَخُوضُونَ لُجَاً فِي سَفَائِنِ رَإِسٍ ^(٤)
مُرَادٍ لِلدِّينِ اللَّهُ عِزُّ الْأَعَاظِمِ

١ - عبد الرحمن الجامعي. المصدر السابق. ص: ٩. والقصيدة من بحر الطويل، المقبوض العروض والضرب.

٢ - أي وارث لصيد الضواري وفحول الضراغم عن جد وأب.

٣ - الجفر: الكتاب الذي يتنبأ فيه بالمستقبل، ومنه جفر الشيعة المنسوب للامام جعفر الصادق.

٤ - رابس: قائد البحارة.

وَحِرْزِ بَنَاتِ الْعُرْبِ مِنْ كُلِّ فَاتِكِ
 بِأَبْكَارِهَا كَالْحُورِ فِي قَصْرِ ظَالِمِ
 فَمَا لِيَنِي عُثْمَانُ فِي سِنَةِ الْكَرَى
 وَوَهْرَانُ تَزْهُو نَخْوَةً بِالْمَرَاغِمِ
 وَيَا مَعْشَرَ الْأَنْرَاكِ مَا بَالُ سَعْيِكُمْ
 وَكُلُّكُمْ أَعْمَالُهُ بِالْخَوَاتِمِ
 أَلَسْتُمْ أَخَذْتُمْ دَارَ مُلْكِكُمْ^١ الَّتِي
 مِنْ أَشْرَاطِهَا وَهْدِهِ فِي الْعَلَائِمِ
 وَقَدْ ظَفِرَ الْمَرْحُومُ جَدُّكُمْ السَّيِّ
 قُرُونِ^٢ الثَّرِيًّا عَنُوءَ وَالنَّعَائِمِ
 وَدَانَتْ لَهُ الْبُلْدَانُ حَتَّى عِرَاقُهَا
 إِلَى يَمَنِ وَلَمْ يَخَفْ لَوْمْ لَائِمِ
 وَفِي مَقَرِّ الْبَدْرَيْنِ نَشْرُ بُنُودِهِ
 وَأَعْجَزَكُمْ وَهْرَانُ مِنْ مُسْتَغَانِمِ
 بَنِي الْأَسَدِ الْهَضَارِ مَا الذُّلُّ شَانَكُمْ
 وَلَا حَظُّكُمْ مِنْ دَاهِمِ مُتَفَاقِمِ
 عَلَيْكُمْ سَلَامِي مَا اسْتَنَارَتْ بِهِدِيهِ
 قَرَائِحُ مُغَرٍّ بِالْقَنَا وَالصَّوَارِمِ^٣

١ دار ملككم: يريد بها مدينة القسطنطينية التي أفكتها الأتراك من أيدي الرومان.

٢ قرون: على حذف حرف الجر، أي بقرون الثريا.

٣ المزاري، بن عودة. طلوع سعد السعود. ص: ٢٠٤. مخطوط خاص.

وقال أبو عبد الله محمد بن عبد المؤمن^(١) محرضاً الداوي حسن^(٢) :

- ه -

نَادَتْكَ وَهْرَانُ قَلْبُ نِدَاها
وَأَنْزَلَ بِهَا لَا تَقْصِدَنَّ سِوَاهَا^(٣)
وَاحْتَلَّ بِهَا تَيْكَ الْأَبَاطِحُ وَالرَّبَا
وَأَسْتَضْرَحَنَّ دَفِينَهَا الْأَوَاهَا^(٤)
وَاسْتَدْعَ طَائِفَةَ الْعَسَاكِرِ نَحْوَهَا
يَغْزُونَهَا وَلِيَنْزِلُوا بِفِنَاهَا
مُسْتَضْحِينَ لِرِوَاءِكَ الْمَنْصُورِ إِذْ
يَلْقَاهُمْ الْفَتْحُ الْمُبِينُ وَجَاهَا
صَرَخَتْ بِدَعْوَتِكَ الْعَلِيَّةِ فَاسْتَجِبْ
لِنِدَائِهَا وَلِتُكْمِلَنَّ مَنَاهَا
حَاشَاكَ أَنْ تَفْنَى حَشَاشَتُهَا وَقَدْ
قَصَرَتْ عَلَيْكَ نِدَاءُهَا وَرَجَاهَا
قَدْ طَالَمَا عَبَثَتْ بِهَا أَيْدِي الْعِدَا
حَتَّى اسْتَبَاحُوا أَرْضَهَا وَحِمَاهَا

١ نوفي سنة ١١٠١ هـ - ١٦٩٠ م ، (تعريف الخلف، ج: ٢ ص: ٤٧١) .

٢ أي: الداوي بابا حسن ١٠٩٢ - ١٠٩٤ هـ - ١٦٨١ - ١٦٨٣ م

(الجامعي، عبد الرحمن. شرح أرجوزة الحلفاوي. ص: ١١) .

٣ على وزن البحر الكامل الصحيح العروض المقطوع الضرب .

٤ الاواها: كثير التأوه - خوفاً من الله - والمراد بالاواه هنا سيدي محمد بن عمر الهواري دفين وهران والمتوفي

سنة ٨٤٣ هـ - ١٤٣٩ م .

وَتَصَرَّفُوا فِي الْمُسْلِمِينَ بِمَا غَدَا
 أُعْجُوبَةٌ لِمَنْ اغْتَدَى بِرَعَاهَا
 أَضْحَى الصَّلِيبُ مُؤَيَّدًا وَالْدِّينُ قَدْ
 دَرَسَتْ مَعَالِمُهُ فَلَسْتُ نَرَاهَا
 جَعَلُوا بِهَا النَّاقُوسَ فِي أَوْقَاتِهِمْ
 بَدَلِ الْأَذَانِ وَغَيَّرُوا مَعْنَاهَا
 كَمْ مِنْ أُسِيرٍ حَوْلَهَا لَا يُفْتَدَى
 كَمْ مِنْ فَقِيرٍ حَلَّ فِي مَثْوَاهَا
 كَمْ مِنْ نِسَاءٍ مَعَ صِبْيَةٍ أُسْرَى^(١) بِهَا
 أُسْرَى بِهِمْ مَنْ لَيْسَ يَدْرِي اللَّهَ
 حَالِ الصَّبِيِّ لِدِينِهِمْ وَمِنْ النِّسَاءِ
 نَالُوا الْمُحَرَّمَ مَلَّ فَتَى يَغْشَاهَا
 وَمَنْ الَّذِي أَحْبَبَا مَعَالِمَ سُنَّةِ
 وَأَشَادَ أَرْكَانَهَا لَهَا وَبَنَاهَا ؟
 ذَاكَ الْأَمِيرُ أَبُو مُحَمَّدٍ الرَّضِيِّ
 حَسَنٌ^(٢) بِهِ قَطَرُ الْجَزَائِرِ نَاهَا
 أَنْتَ الْأَمِيرُ الْمُرْتَجَى لِكَرِيمَتِهِ
 يَوْمَ التُّزَالِ فَأَنْتَ قُطْبُ رَحَاهَا

١ أسرى: جمع أسير . وأسرى ... فعل رباعي من سرى بمعنى مشى ليلًا .

٢ حسن: هو الحاج حسن (ميزومورط) تولى من سنة ١٠٩٤ هـ - ١٦٨٢ م إلى سنة ١١٠٠ هـ - ١٦٨٩ م .

جَرَّدَ ظَبَاكَ لِمَحْوِ آثَارِ الْعِدَا
حَتَّى تَرَى الْإِسْلَامَ فِي مَغْنَاهَا
وَادْعُ الْغَزَاةَ لِعَزْوِهَا مُسْتَنْجِدًا
وَأَنْهَضِ إِلَيْهَا وَانْزِلْ مَرَسَاهَا
عَرِّجْ عَلَى أَطْلَالِهَا مَعَ فِتْيَةٍ
سَحَرًا بِعِزِّهِمْ لَا مُنِخْتَ نَوَاهَا
مِنْ بَعْدِ تَوْهِينِ لِنَاصِرِ دِينِهِمْ
أَبْنَاءِ عَامِرٍ^(١) سَاءَ هُمْ مَرَاهَا
وَانْظُرْ بِرَأْيِكَ فِيهِمْ مُسْتَرْشِدًا
أَهْلَ النَّهْيِ فَبِرَأْيِهِمْ تَغْطَاهَا
وَأَسْتَاصِلِ الْآثَارَ حَتَّى لَا يَرَى
مِنْ عَامِرٍ مَنْ يُرْتَجَى نَجْوَاهَا
إِذْ ذَاكَ تَنْظُرُ بِالْمُنَى وَتَسْأَلُ مَا
نَهَى وَتُصْبِحُ نَازِلًا بِذُرَاهَا
قُومُوا لَهَا يَا مَعْشَرَ الْإِسْلَامِ قَدْ
آنَ الْقِيَامُ لَهَا وَحَانَ لِقَاهَا
خُوضُوا إِلَيْهَا بَحْرَهَا يُصْبِحُ لَكُمْ
رَهْوًا وَجُوبًا نَحْوَهَا يَتَدَاهَا
فَالآنُ آنُ الْفَتْحِ إِذْ ظَهَرَتْ بِهَا
آثَارُ تَنْبِي أَنَّهُ وَافَاهَا

١ تقدم الكلام عن بني عامر في تعاليفنا على المقامة التاسعة من (التحفة المرضية).

فَاسَلِّمْ سَلِمْتَ مَدَى الزَّمَانِ وَدُمْتَ فِي
 أَوْجِ الْمَعَالِي رَاقِباً أَغْلَاهَا
 وَعَلَيْكَ يَا فَخْرَ الزَّمَانِ نَحِيَّةٌ
 أَذْكَى مِنْ الْمِسْكِ الْفَتِيْقِ شَذَاهَا
 وَعَلَى رَفِيقِكَ صَهْرِنَا شَعْبَانٌ^٢ مَنْ
 يَهْوَاكَ طَبْعاً لَيْسَ يَطْلُبُ جَاهَا
 وَعَلَى أَبِي زَيَّانَ كَاتِبِكَ الَّذِي
 حَاكَى الْأَوَائِلَ فِي الْقَرِيضِ وَضَاهَا
 لَا زِلْتَ مَنْصُورَ اللُّوَاءِ مُؤَيِّداً
 تَحِيي - بِعَوْنِ اللَّهِ - سُنَّةَ طَاهَا
 صَلَّى عَلَيْهِ وَسَلَّمَ اللَّهُ الَّذِي
 أَحْيَى الْقُلُوبَ بِبَعْثِهِ وَشَفَاهَا

انتهى

٢ شعبان: قتل شهيداً سنة ١٠٩٨ هـ - ١٦٨٧ م عندما غزا مدينة وهران وبعدها تكسر في بلدة سبغان قتله أحد من مرتزقة بني عامر، يقال له أبو نصاية وقد قطع الاسبان رأس البايع شعبان ونصبوه على باب وهران ثم بعثوا به إلى الجزائر فدفن هناك. أما جثته فدفنت في مدينة وهران. (المزاري (بن عودة)، طلوع سعد السعود. ص: ١٠٦. مخطوط خاص).

الملحق الثاني

« مدينة وهران وتأسيسها »

مقدمة

ليست هذه الدراسة الوجيزة فريدة من نوعها، أو جاءت بما لم تأت به الأوائل. وإنما المهم فيها جمع ما تفرق في مختلف المظان والمصادر، وتنسيقه حسبما يقتضيه الترتيب المنطقي والنظام الجامعي. ولعل الشيء الذي تمتاز به هذه الدراسة كونها اتخذت سبيل التحليل العلمي، والتعليل المستنبط من آراء المتقدمين في ميدان التاريخ والجغرافية. وقد سلكت - أيضاً - مذهب الحياد الفكري في دراسة هذه الآراء وتقديم ما يستحق التقديم على البعض الآخر، دون أن أنزع إلى عاطفة حزبية، أو أنقاد إلى تقليد أعمى. وهذه الطريقة هي التي تقتضيها البحوث العلمية والدراسات التاريخية الحديثة، وتتطلبها نزاهة الانتقاد البناء من كل باحث يتصدى لدراسة التاريخ وعرض حوادثه. وقد ذفّع بنا إلى اختيار هذه الدراسة المختصة بـ « تأسيس مدينة وهران » غرضان اثنان .

١ هو تحقيق مخطوط يتعلق بفتح مدينة وهران على يد محمد بكداش سنة ١١١٩ هـ - ١٧٠٨ م. واسم المخطوط: « التحفة المرضية، في الدولة البكداشية، في بلاد الجزائر اضمية » .

أولهما: اتصالها بموضوع رسالتنا التي قدمناها لنيل «شهادة الدراسات العليا» في التاريخ الحديث، تحت جناح كلية الآداب والعلوم الإنسانية بجامعة الجزائر .

ثانيهما: حيوية موضوعها وطرافة منهاجها بالنسبة إلى ما كتب عن مدينة وهران بلغة الأم - زيادة على اكتشاف بعض الحقائق التي أغفلها مؤرخو الافرنج، ولم تكن لأبناء الملة في الحسبان. وقد حاولنا - بقدر الامكان - أن نكون موضوعيين في دراستنا هذه، فلا استطراد يعترض المقصود، ولا حشو يحول دون فهم المراد .

وقد أجملنا هذه الدراسة في العناصر التالية: أ - تحقيق اسم المدينة قبل أن يؤسسها المسلمون. ب - مدلول لفظة «وهران». ج - ضبط حروفها. د - أسباب تسمية المدينة بها. هـ - مؤسسها. و - أسباب تأسيسها. ز - ذكر أسماء الدول التي حكمتها منذ تأسيس المسلمين لها حتى الآن . ولعلنا قد أرضينا ضميرنا بما حققناه في هذه الدراسة المتواضعة، وفتحنا باباً طالما كان موصداً وطالما طرقناه .

والله يهدي إلى سواء السبيل !

مدينة وهران

موقعها :

تربع هذه المدينة على سفح الشاطئ الشمالي من غرب إفريقيا الشمالية، عند مدخل مضيق جبل طارق، في نهاية خليج يقع بين رأس «أبوجا» (Cap Abuja) شرقاً، ورأس «فالكون» (Cap Falcon) غرباً. وهي المدينة الوحيدة التي يوجد ميناها بين مينا «آرزيو» ومينا «المرسى الكبير»، وتبلغ مسافة هذا الخليج ثمانية آلاف وخمسين من المترات، أما عمقه فيقدر بأحد عشر ألفاً من المترات أيضاً⁽¹⁾.

تاريخ تأسيسها

تضاربت آراء المؤرخين ومذاهب الجغرافيين في تحديد تاريخ تأسيس مدينة وهران وفي أول من أسسها من البشر. وفي استطاعتنا - بعد البحث العلمي والتنقيب الجدي - أن نستخرج من هذه المذاهب وتلك الآراء اتجاهين اثنين .

(1) Henri Léon Fey. Histoire d'Oran. P. 29-30.

أولهما: اتجاه جل المؤرخين والجغرافيين من علماء الافرنج، وثانيهما: اتجاه جميع المؤرخين والجغرافيين من علماء المسلمين .

أ - الاتجاه الأول

ذهب أصحاب هذا الاتجاه^(١) إلى الجزم بأن مدينة وهران قد أسست منذ زمان قديم جداً، وربما يعود زمان تأسيسها إلى ما قبل بدء التاريخ، وقد سكنها أمم وأجيال متتابعة منذ أقدم العصور، ولعلها أقفرت زماناً ما. ثم ما لبثت أن عادت إلى ما كانت عليه، وهكذا دواليك. وقد دعموا اتجاههم هذا بدليلين اثنين: أحدهما: عقلي مفترض والآخر: نقلي ملموس.

الدليل العقلي: يتمخض هذا الدليل عن عدة أسباب طبيعية لموقع المدينة .

أولها: ان الرياح التي تهب على الناحية الغربية من القطر الجزائري - شمالاً وجنوباً - يستغرق هبوبها مائتي يوم سنوياً، وهذه الرياح لا تنفك تتعاور كل شواطئ تلك الناحية، ما عدا شاطئين اثنين في الخليج الوهراني فان أكف الرياح لم تهيج أمواجهما، تلكما شاطئ المرسى الكبير وشاطئ وهران .

ثانيها: خلو هذين الشاطئين من الصخور والاجراف التي حف بها ما عداهما من شواطئ تلك الناحية .

١ هم المؤرخون والجغرافيون من علماء الافرنج .

ثالثها: ان شاطئء وهران يتصل بعدة سهول خصبة، وفيه من الماء العذب ما يكفي من يلتجئء إليه، لا سيما ينبوع «رأس العين» الذي يتسع لارواء خمسين ألفا نسمة^(١).

فبهذه الأسباب قد أصبح هذان الشاطئان صالحين لارساء السفن التجارية، لحمايتها من عواصف الأرياح، وخلوها من عوائق الصخور والاجرأف، هنا وهناك. واختير شاطئء وهران - دون شاطئء المرسى الكبير - أن يكون مركز تجارة، ومحط تعمير، لسبب انفراده بالسهول الخصبة، والعيون العذبة.

الدليل النقلي: قام ثلاثة من المؤرخين الباحثين^(١) - أوائل القرن العشرين للميلاد - بجولة في مدينة وهران وضواحيها، قصد البحث والتنقيب عن مخلفات الأجيال القديمة التي سكنت هذه الضواحي وتلك المدينة منذ أقدم العصور. وبعد ما قاموا بعمل جدئي تبين لهم أن وهران كانت مسكونة منذ أوائل العصر الحجري، واستدلوا على ذلك بما عثروا عليه من مخلفات ذلك العصر فما بعده :

أ - فتشوا في الطبقات الداخلية من مغارات وهران وكهوفها فعثروا على أدوات يعود صنعها إلى ذلك العصر، كما عثروا على بعض الهياكل العظامية للحيوانات المستأنسة يعود أصلها إلى ذلك العصر أيضاً. وتبين

(1) Paul Pallary. Les Origines de la ville d'Oran. Sousse. Imprimerie Française, 1904. P. 2.

(1) DOUMERGUE, CARRIERE et TOMMASINI.

لهم - بعد الامعان في دراسة الآثار - أن صناعة الأواني الحجرية قد بلغت ذروتها لدى سكان كهوف وهران وضواحيها إبان العصر الحجري، كما تبين لهم - أيضاً - أن صناعة سكان الكهوف لهذه الأواني كانت بالغة في الدقة والاتقان، بينما أصبح صنعها عكس ذلك، عندما خرجوا من كهوفهم وسكنوا سطح الأرض .

ب - عثورهم على شقفة من اثناء جميل يمت صناعه إلى اليونان .

ج - عثورهم على حجر الصوان الذي لا وجود له هناك. وهذا مما يدلنا على أن البحارة الأجانب كانت لهم علاقة تجارية مع أهل مدينة وهران وضواحيها .

ولم يعثر هؤلاء المؤرخون والباحثون على آثار القرطاجنيين هناك. وقد عثروا على شيء قليل من آثار الرومان كبعض العملة، وثلاثة خطوط فقط. والسبب في ذلك أن معظم آثار هؤلاء وجميع آثار أولئك قد اندثرت أنقاضها تحت بنيان العرب وأسوار الاسبان الضخمة ولعل غزو الفندال قد وصل إليها، فكان من أسباب خرابها .

ولم يخامر هؤلاء شك في استيطان القرطاجنيين والرومان مدينة وهران لأن الرومان لا يؤسسون مدنهم إلا فوق الأرض الزراعية، ووهران أرض زراعية. لذا أسسوها فوق أنقاض القرطاجنيين. أما البرابرة الذين كانوا يعاشون الرومان - هناك - وبقوا بعد ذهابهم، فإن لهم بعض الصناعة الخزفية، بيد أنها يشوبها بعض التقليد لصناعة الرومان. وأعظم البرابرة يقطنون ضواحي مدينة وهران، بدليل وجود بعض الانقاض دون انقطاع

على مقربة من المدينة عند ملتقى نهري «شعبة الحران» و «شعبة الحمام». فهي ليست من آثار الرومان، وإنما من آثار البرابرة الذين عايشوا الرومان وبقوا بعد ذهابهم^(١).

د - أن «بتوليمي» (Ptolemee) الجغرافي الاسكندري قد رسم لنا وصفاً دقيقاً لمكان يقع بين مينا ارزيو، ومينا المرسى الكبير. وأسمى هذا المكان بـ «كويزا» (Qouiza)، أو «كيزا» (Quiza) وهذا الوصف لا ينطبق إلا على مدينة وهران الحالية. ويستحيل أن ينطبق على ما سواها^(٢). ولا يلتفت إلى رأي من جعل «كويزا» بمقاطعة «مادور» (Madaure) في الجنوب الشرقي من مدينة قالمة^(٣) وبعد سوق هذه الأدلة العقلية والنقلية، تبين لنا أن مدينة وهران ليست ابنة عصر معين من عصور التاريخ، أو مسكن جيل خاص من أجيال البشر. بل هي مكان صالح لاستقرار أي جيل كان منذ خلق الله الأرض ومن عليها. أما تحديد تاريخ أول عصر لتعميرها، وضبط أول جيل قد حل بأرضها، فهذا شيء من مخبات التاريخ التي ما زالت تحت ستار أسرار الكون.

اسباب التعمير لمدينة وهران

يمكن لنا أن نختصر هذه الأسباب في سبين اثنين سبب طبيعي

١ Paul Pallary. Les Origines de la ville d'Oran. P. 5-6.

٢ Henri von Foy. Histoire d'Oran. P. 30.

٣ م. م. م. ص: ٣١.

بالنسبة إلى المكان، وسبب غريزي بالنسبة إلى ساكن المكان. فالسبب الطبيعي يعود إلى الموقع الجغرافي لهذا المكان، من حيث اعتدال طقسه، وعذب مائه، وخصب أرضه، وأمن حوضه من عواصف الرياح، وخلو شاطئه من الصخور والاجرأف العائقة لارساء سفن التجارة والصيد، ووفر الأسماك الطريئة بهذا الحوض. قال أبو اسماعيل المزري - نقلا عن كتاب (دليل الحيران وأنيس السهران، في أخبار مدينة وهران) - : « اعلم أن وهران ... هي مدينة من مدن المغرب الأوسط، بساحل البحر الرومي عظيمة، ذات مساحة وفخامة جسيمة، وبساتين وأشجار، ومياه عذبة، وأطيار وحبوب عديدة وفواكه وخضر جديدة... »^(١).

وقال ابن حوقل: « ولمدينة وهران مرسى في غاية السلامة والصون من كل ريح، وما أظن له مثلاً في جميع نواحي البربر - سوى مرسى موسى - فقد كنفته الجبال، وله مدخل آمن، وعليها سور، وماؤها من خارجها جار عليها في واد عليه بساتين وأجنة كثيرة، فيها من جميع الفواكه، وفي حاضرتها دهقنة وحذق، وفيهم حمية مع الغريب، وهي فرضة الأندلس إليها ترد السلاح، ومنها يحملون الغلال... »^(٢).

أما السبب الغريزي فهو ميل جميع الجنس البشري بالطبع إلى الاستقرار في كل مكان اتصف بمثل ما اتصفت به مدينة وهران، من توفر أسباب المعاش فيها وصلاح موقعها لتمرکز التجار فيها مدى الأجيال. ولهذا نجد

١ كتاب سعد السعود، في أخبار وهران ومخزنها الأسود. (مخطوط خاص).

٢ كتاب صورة الأرض. الطبعة الثانية. لندن: مطبعة بريل، ١٩٣٨ م.

معظم شواطئ القطر الجزائري أهلة بالسكان منذ أقدم العصور. وسنزيد ذلك توضيحاً عند كلامنا عن الاتجاه الثاني لتأسيس مدينة وهران .

ب - الاتجاه الثاني

لا خلاف بين أصحاب هذا الاتجاه^(١) في تأسيس مدينة وهران في القرن الثالث الهجري، على أيدي المسلمين. وإنما الخلاف بينهم في تحديد السنة التي أسست هذه المدينة خلالها، وفي الخليفة الذي أمر بتأسيسها وفيمن باشر تأسيسها وبناءها من الذين كانوا في المغرب الأوسط حلفاء للأمراء الأمويين بالأندلس .

تحديد تاريخ تأسيسها: اتفقت أقوال جميع المؤرخين الذين تمكنا من الاطلاع على مؤلفاتهم في هذا الموضوع، على أن مدينة وهران قد أسست سنة ٢٩٠ هـ (٩٠٣ م) ما عدا قولين ذكرهما أبو راس العسكري، ومفادهما أن مدينة وهران أسست سنة ٢٩١ هـ (٩٠٣ - ٩٠٤ م) أو سنة ٢٩٢ هـ (٩٠٤ - ٩٠٥ م). ولم يذكر أبو راس صاحبي هذين القولين^(٢) .

ونحن نرجح ما ذهب إليه جلّ المؤرخين، لسببين اثنين: أحدهما كون قائل هذين القولين مجهولاً، ثانيهما لم يحكما أحد من المؤرخين

١ أصحاب هذا الاتجاه: هم المؤرخون والجغرافيون من علماء المسلمين. أمّا المؤرخون والجغرافيون من الافرنج فكلهم مقلدون لما جاء به المسلمون، في هذا التأسيس الأخير. فلم يأتوا بشيء جديد من عندهم .

٢ أبو راس، محمد. عجائب الاسفار، ولطائف الأخبار ١٢٢٠. المكتبة الوطنية. الجزائر (العاصمة)

- فيما علمنا - سوى أبي راس العسكري، بعدما ذهب - هو أيضاً - مذهب جلّ المؤرخين .

الخليفة الذي أمر بتأسيسها: اضطربت أقوال أبي راس العسكري في تعيين هذا الخليفة، فقال في كتابه «عجائب الاسفار، ولطائف الاخبار» - : ان الخليفة الذي أمر ببنائها هو عبد الرحمن بن الحكم، ابن هشام، بن عبد الرحمن الداخل، الأموي. وقال - في كتابه عجائب الأخبار، في لطائف الاسفار^(١) - : «أنها أسست بأمر من محمد بن عبد الرحمن، بن الحكم، بن هشام، بن عبد الرحمن الداخل، الأموي. وحكى له المزري بن عودة - في كتابه: «طلوع سعد السعود ...» - قولاً ثالثاً وجده في كتاب «الخبر المغرب» لأبي راس أيضاً، ومضمونه أن الذي أمر بتأسيسها وبنائها هو أبو محمد عبد الله، بن محمد بن عبد الرحمن، ابن الحكم، بن هشام، بن عبد الرحمن الداخل، الأموي. وارتضى المزري بن عودة في كتابه «سعد السعود ...» ومحمد بن يوسف في كتابه «دليل الحيران وأنيس السهران ...» القول الثالث والأخير من أقوال أبي راس. ونحن - كذلك - ننضم إلى رأي المزري وابن يوسف، ونجزم بأن مدينة وهران قد أسست على عهد أبي محمد عبد الله بن محمد بن عبد الرحمن بن الحكم، بن هشام، بن عبد الرحمن الداخل الأموي. والدليل على ذلك أن هذا الخليفة كان جالساً على عرشه يوم أسست مدينة وهران، وقد ولي الخلافة بعد وفاة أخيه المنذر بن محمد سنة ٢٧٥ هـ

١ هو مختصر كتابه «عجائب الاسفار، ولطائف الاخبار» المتقدم الذكر .

(٨٨٨ م). وتوفي سنة ٣٠٠ هـ (٩١٢ م)^(١) ، أي: كانت وفاته بعد عشر سنوات منذ تأسيس هذه المدينة. أما عبد الرحمن بن الحكم فقد توفي آخر صفر من سنة ٢٣٨ هـ (٨٥٢ م) ، وأما ابنه محمد بن عبد الرحمن فقد كانت وفاته آخر صفر - أيضاً - سنة ٢٧٣ هـ (٨٨٦ م) .

فلا يمكن - بحال - أن يأمر أحدهما بتأسيس مدينة وهران في سنة ٢٩٠ هـ (٩٠٣ م)^(٢) . إذ كل منهما كان في قبره أبان تأسيسها .

اسمها

قبل أن نشرع في تحقيق لفظة «وهران» ينبغي لنا أن نعود أدراجنا إلى بعض الأسماء التي اعتنقتها هذه المدينة قبل اعتناقها للاسم الحالي . وكل منا يعلم أن أسماء الأماكن والبلدان متولدة عن لغات الأمم والشعوب التي حلت بها وكانت السبب في تعميرها ، وبما أن مدينة وهران قد تداولتها أمم مختلفة في جنسها ولسانها ، فما من بد أن تعتق عدة أسماء حسب لغات الشعوب التي أسستها واتخذتها سكناً .

وقد تقدم لنا أن التاريخ امتنع أن يكشف لنا عن تحديد تاريخ الأجيال والأجناس التي مرت بهذه المدينة ، وأن أقصى ما وصلنا إليه أن الرومان هم آخر جنس سكن هذه المدينة قبل أن يحلّ العرب بها ويعيدوا تأسيسها .

١ - الضبي، أحمد. بغية المنتس، في تاريخ رجال الأندلس. مجريط: مطبعة روكس ١٨٨٤ م . ص:

١٦ - ١٧ .

٢ - أبو القداء، اسماعيل. كتاب المختصر، في أخبار البشر. بيروت: مطبعة صادر . ج: ٣ ص:

٣٧ . - الضبي، أحمد. بغية المنتس، ... ص: ١٦ - ١٧ .

وقد وصلنا - أيضاً - إلى شيء ذي أهمية كبرى، وذلك أن هذه المدينة قد اعتنقت ثلاثة أسماء متتابعة على عهد الرومان .

الاسم الأول: « كوزا » (Kouiza) ، وذلك ما أنبأنا به « بوتوليمي » (Ptolemee) الجغرافي الاسكندري الشهير^(١) .

الاسم الثاني: « كيزا كسينيتانا » (Quiza Xenitana) وهذا ما أخبرنا به « قديس هيبون » (l'Evêque d'Hippon) في رسالته إلى البابا « سيلستين » (Le pape Celestin)^(٢) .

الاسم الثالث: « كيدا » (Quida) ، وهو الذي كان يسميها به القديس « هونوراتيس » (l'Evêque Honoratus)^(٣) .

الاسم الرابع: وبعد ذهاب الرومان بقيت مدينة وهران يرتادها قبائل البربر ، وهي - لا شك - أنقاض وأطلال ، وكان البربر يسميها « افري » أي الكهوف .

لفظة « وهران »

ضبط حروفها: اتفق أغلب المؤرخين والرحالين - من العرب والمسلمين - على أن « وهران » بفتح الواو ، وسكون الهاء ، وفتح الراء بعدها ألف ساكنة ،

(١) Henri Léon Féy. Histoire d'Oran. Oran, Typographie Adolphe Perrier. Editeur, 1858. P. 30-31.

٢ م . س . ص : ٣٢ .

٣ م . س . ص : ٣٣ .

ثم نون في الأخير ، وقد نبه بعضهم أن كسر الواو من أولها غلط^(٧) .
والظاهر أنهم اعتمدوا في ضبط حروفها على نطق سكانها آنذاك .

مدلولها وأسباب تسمية المدينة بها

رأي بعض الافرنج

ذهب بعض المؤرخين من الافرنج^(٨) إلى أن لفظة «وهران» معناها :
المكان الصعب المنال (Lieu d'accès difficile) ، ولهذا السبب سميت
المدينة بـ «وهران» . وقالوا : ان لفظة «وهران» عربية صميّة ، وهي مشتقة
من لفظة «وعر» ، وقال آخر^(٩) منهم : ان لفظة «وهران» مأخوذة من
لفظة «هواره» التي كانت تسكن مدينة «وهران» . وهذان القولان - في
نظرنا - كلاهما باطل ، فدليل بطلان القول الأول بعد اشتقاق لفظة
«وهران» من لفظة «وعر» لفظاً ومعنى ، فاللفظ ظاهر . والمعنى أن كلمة
«الوهران» تدل - في اللغة العربية - على الرجل الخائف^(١٠) ، وكلمة «وعر»
عكس ذلك . وأما دليل بطلان القول الثاني - وزيادة على بعد الاشتقاق

١ - الزباني ، محمد بن يوسف . دليل الحيران وأنيس السهران في أخبار مدينة وهران . مكتبة الشيخ البدوي
(مفني سيدي بلعباس) . ج : ١ ، مخ .

- المزري ، بن عودة . طلوع سعد السعود . في أخبار وهران ومخزنها الأسود . خاص . مخ .

٢ A- Henri-Léon Fey. Histoire d'Oran, avant, pendant et après la domination espagnole
Page 37.

B- Léepe. Oran, ville et port avant l'Occupation française (1831) P. 2.

٣ نقل هذا القول بكاره . بلهاشمي عن أحد المستشرقين ولم يذكر اسمه . انظر كتابه : تاريخ الجزائر القديم
والحاضر ... ج : ١ ، ص : ١٧٠ . مكتبة المؤلف . مخ .

٤ البستاني ، الشيخ عبد الله . البستان في اللغة . بيروت : المطبعة الاميركانية ، ١٩٣٠ م . ص : ١٦٦٩ .

بين اللفظتين - فإن مدينة « وهران » بنيت وسميت بهذا الاسم قبل أن تسكنها « هواره » بأمد بعيد .

رأي بعض المسلمين

اختلف بعض المؤرخين من علماء المسلمين - في مدلول لفظة « وهران » وأسباب تسمية المدينة بها - على سبعة أقوال ، حسب الروايات والأخبار .

القول الأول : ان لفظة « وهران » - في لغة زناتة - تدل على الحيوان المشهور بالتحويل والروغان ، وهو الثعلب . وسبب تسمية المدينة به أن رجال مغراوة^(١) لما شرعوا في حفر أساسها وجدوا غاراً فيه ثعلب ، فقالوا : هذه مدينة « وهران » ، وبقي هذا الاسم عنواناً لهذه المدينة منذ ذلك الحين حتى الآن . وهذا القول هو أشهر الأقوال السبعة الآتي ذكرها .

القول الثاني : ان خزر المغراوي الذي اختط المدينة كان يلقب بـ « وهران » ، فسميت به .

القول الثالث : ان الرجل الذي كان يبنى فيها اسمه « وهران » ، فسميت به^(٢) .

١ هذا القول يؤيد مذهب من قال بتأسيس مدينة وهران على أيدي رجال مغراوة . وسيأتي تفصيل ذلك في صلب صفحات البحث ، عند الكلام عن مؤسس المدينة .

٢ هذا القول والذي قبله قد يكون لهما نصيب من الصحة ، لأن كلمة « وهران » في اللغة العربية قد تكون علماً للأشخاص . قال ابن منظور : « وهران اسم رجل وهو أبو بطن ، (لسان العرب القاهرة : طبعة مصورة عن طبعة بولاق . ج : ٧ ، ص : ١٥٦ .

القول الرابع: ان لفظة «وهران» مأخوذة من التوهر، وهو التعب والهلاك ومغراوة الذين كانوا هناك في تعب وهلاك من جراء الحروب التي كانت بينهم وبين بني يفرن وعمال الشيعة، من صنهاجة وغيرهم وكذا مع ازديجة وعجيسة، فسميت المدينة بما كانوا يقاسونه من تعب وهلاك.

القول الخامس: ان لفظة «وهران» مركبة تركيباً مزجياً من كلمتين اثنتين أولاهما «وه»، ومعناها الضعف، وثانيتها «ران»، ومعناها الغلق فمدينة «وهران» ضعيفة الران أي: الغلق الذي يكون على قلوب الناس لأن خزر الذي اختطها كان سُنْياً، وكانت عقيدته سليمة متينة، فلذلك ضعف رانه، وسميت المدينة بمقتضى هذا المعنى.

القول السادس: ان لفظة «وهران» مأخوذة من كلمتين مركبتين تركيباً مزجياً، لغتها عامية. فالكلمة الأولى «واه» بمعنى: نعم. والكلمة الثانية «رانا» بمعنى: ها نحن. فحذفت الألف التي بعد الواو من «واه» والألف التي بعد النون من «رانا»، فأصبحت الكلمتان - بعد الحذف والمزج - «وهران» ثم سميت بها المدينة. وسبب هذه التسمية أن بني يفرن غزوا هذه المدينة أثر بنائها فلم يهتدوا إلى موقعها، لكونها كانت محفوفة بالأشجار الكثيفة، والاغياض الملتفة، وبينما هم كذلك إذ وجدوا رجلاً يقربها خرج منها لقضاء بعض مآربه، فقبضوا عليه، وطلبوا منه أن يدلهم عليها فأبى وامتنع، فشددوا عليه، فجعل عصاه صوبها، فقالوا له: أهي صوب عصاك؟ فقال: «واه» أي: نعم. ثم سمعوا آخر هناك ينادي «رانا» أي: ها نحن. فقصدوا المدينة على أثر هذا الصوت، فعثروا عليها

وأخذوها بعدما سبوا أهلها ثم قالوا: هذه غنيمة «واه رانا»، فسميت بهذا اللفظ المدينة بعدما أجرى عليه الحذف والمزج المذكور أعلاه .^١

القول السابع: ان لفظة «وهران» مقلوبة عن كلمتي «نار هو» وهما كلمتان مركبتان مزجياً، كل كلمة منهما تدل على معنى مستقل. فالكلمة الأولى «نار» بمعنى: ظهر، والكلمة الثانية «هو» بمعنى: الضمير المنفصل الذي يعد على خزر المغراوي. ومعناها معاً: ظهر أمر خزر. وقد سميت هذه المدينة بهذا الاسم مراعاة للمعنى الأول قبل القلب^(٢).

وفي نظرنا أن الأقوال الأربعة الأخيرة ما هي إلا فلسفة لفظية لا طائل تحتها. أما الأقوال الثلاثة الأولى فلها نصيب من الصحة، ولا سيما القول الأول منها كما قدمنا^(٣). ورغم ذلك كله، فإن ما ذهب إليه المؤرخون المسلمون في تعليل تسمية هذه المدينة بـ «وهران» أقرب إلى الصحة مما ذهب إليه بعض المؤرخين من الافرنج. والسبب في ذلك أن الافرنج قد اعتمدوا على التخمين والحدس، بخلاف المسلمين الذين كان أكثر اعتمادهم على النقل المتواتر. وان كان يشوبه شيء من الغرابة في بعض الأحيان.

١ ابن زرقه، مصطفى بن عبد الله. الرحلة القصرية، في الأخبار الحمديدية. مكتبة المهدي البر عبدلي. بطية (عمالة وهران). ج: ١، مخ.

- الزباني، محمد بن يوسف. دليل الحيران، وأنيس السهران، في أخبار مدينة وهران. مكتبة الشيخ البدوي (مفتي بسبيدي بلعباس). ج: ١، مخ.

- بكاره، بلهاشمي. تاريخ الجزائر القديم والحاضر. وكفاح ثورته الكبرى على الاستعمار الفرنسي في أخبار أواخر القرن الرابع عشر. مكتبة بكاره، بلهاشمي. معسكر (عمالة وهران). القسم الأول من الجزء الأول. ص: ١٧٠، مخ.

٢ قد أشرنا إلى شهرة القول الأول في صلب صفحة هذا البحث وأما الثاني والثالث فقد نبهنا عن امكان صحتها في حاشية الصفحة أيضاً.

مؤسسها

انقسم المؤرخون المسلمون - فيمن أسس مدينة وهران - إلى قسمين اثنين :

القسم الأول :

قد عزا أصحاب هذا القسم تأسيسها إلى محمد بن أبي عون ومحمد ابن عبدون^(١) ، وجماعة من بحارة الأندلس الذين كانوا ينتجعون مرسى وهران باتفاق منهم مع قبيلتي « نفزة » و « مسقن »^(٢) . وقد بنوا هذه المدينة سنة ٢٩٠ هـ - ٩٠٣ م - كما تقدم لنا تاريخ التأسيس والبناء. ونذكر من أصحاب هذا القسم : ياقوت الحموي^(٣) ، عبد الله البكري^(٤) ، محمد ابن خلكان^(٥) ، محمد فريد وجدي^(٦) ، عبد الرحمن بن خلدون^(٧) . صاحب كتاب الاستبصار^(٨) . محمد بن يوسف القيرواني^(٩) . الرشاطي^(١٠) ،

١ قد كان هذان الرجلان يرأسان الجماعة .

٢ ويقال لها - أيضاً - « مسرفين » وهم قبيلة من ازديجة أو ازداجة .

٣ معجم البلدان. ج: ٤ ، ص: ٩٤٣ .

٤ المغرب في ذكر بلاد افريقية والمغرب. ص: ٧٠ .

٥ وفيات الأعيان. ج: ٤ ، ص: ١٩ .

٦ دائرة المعارف. ج: ١٠ ، ص: ٨٧٧ .

١ كتاب العبر. ج: ٦ ، ص: ٢٩٣ .

٨ الاستبصار، في عجائب الامصار. المكتبة الوطنية. الجزائر. ص: ٧٥ . مخ .

٩ عن طلوع سعد السعود، في أخبار وهران ومخزنها الأسود. خاص . مخ .

١٠ م. س.

والصفدي^(١) وغيرهم. وقد انضم لأصحاب هذا القسم - أيضاً - جلّ المؤرخين من الافرنج، ان لم نقل كلهم .

القسم الثاني :

ان أصحاب هذا القسم قد عزوا تأسيسها إلى خزر بن حفص بن صولات، بن وزمار، بن صقلاب، بن مغراو المغراوي. نزولا عند رغبة أمراء الأمويين الذين كانوا بالأندلس، وقد كانت قبيلة مغراوة حليفة لهم بالمغرب الأوسط. ونذكر من أصحاب هذا القسم: محمد أبا راس^(٢)، أحمد الشقراني^(٣)، محمد بن يوسف الزباني^(٤)، المزري بن عودة^(٥)، مصطفى بن زرقة^(٦)، وعبد القادر المشرفي^(٧)، وغيرهم .

سبب ولاء مغراوة لبني أمية

ان هذا الولاء سببه إسلام وزمار بن صقلاب، بن مغراو المغراوي على يد عبد الله بن سعد بن أبي سرح عندما غزا إفريقية الشمالية. ثم ذهب وزمار هذا إلى المدينة المنورة، ليجدد إسلامه على يد ثالث الخلفاء الراشدين عثمان بن عفان - رضي الله عنه - فجدد إسلامه، وعقد له

١ عن طلوع سعد السعود. ص: ١١ .

٢ عجائب الاسعار . لطائف الأخبار . ١٢٢٠ . المكتبة الوطنية . الجزائر . ص: ٢٥ . مخ .

٣ القول الأوسط، في أخبار من حل بالمغرب الأوسط خاص . مخ .

٤ دليل الحيران وأنيس السهران في أخبار مدينة وهران . مكتبة الشيخ البدوي . سيدي بلعباس ج: ١ . مخ .

٥ طلوع سعد السعود، في أخبار وهران ومخزنها الأسود . خاص . مخ .

٦ الرحلة القمرية في الأخبار الحمديّة . مكتبة المهدي البر عبدلي . ج: ١ . مخ .

٧ بهجة الناظر، في أخبار الداخلين تحت ولاية الاسبانيين بوهران من الاعراب بني عامر . خاص . مخ .

البيعة على قومه مغراوة. ثم عاد أدراجه ليخبر قبيلته. ومنذ ذلك الحين أصبحت مغراوة حليفة لبني أمية، بيد أن ابن خلدون قد قال: «لا أدري سبب هذا الولاء»^(١). وعندنا جواز رواية الولاء، لأن قول الحافظ حجة على من ليس بحافظ.

أسباب تأسيسها

يمكن لنا أن نجمل أسباب هذا التأسيس في ثلاثة أغراض رئيسية: غرض أوحى به الطبيعة، بالنسبة إلى موقعها، غرض اقتصادي بالنسبة إلى من يريد أن يسكنها وغرض سياسي بالنسبة إلى من أمر بتأسيسها.

أ - الغرض الذي أوحى به الطبيعة: ان الطبيعة وضعت الشاطئ الوهراني في مأمن من عواصف الرياح الذاهبة بالسفن التجارية، وجردته - أيضاً - من الصخور والاجراف التي تعوق تلك السفن عن الارساء، كما وصلته بعدة سهول واسعة خصبة وزودته بماء عذب نير. قال البكري: «ومدينة وهران حصينة ذات مياه سائحة وأرجاء ماء، وبساتين...»^(٢).

وقال صاحب الاستبصار: «... وهذه المدينة كثيرة البساتين والثمار، ولها ماء سائح، وأنهار كثيرة، وأرجاء وعيون، وهي من غرر البلاد...»^(٣).

وقال ابن حوقل: «... ولمدينة وهران مرسى في غاية السلامة والصون من

١ البكري، عبد الله. المغرب في ذكر بلاد إفريقية والمغرب. الجزائر: مطبعة الحكومة، ١٨٥٧ م. ص: ٧٠.

٢ م. س. ن. ص.

٣ م. س. ص.

كل ربح. وما أظن له مثلاً في جميع نواحي البربر - سوى مرسى موسى - فقد اكتنفته الجبال وله مدخل أمن...^(١). وقال الادريسي: «... وشرب أهلها من واد يجري إليها من البر، وعليه بساتين وجنات، وبها فواكه ممكنة، وأهلها في خصب، والعسل بها موجود...»^(٢). ولعل هذه الميزات التي حظي بها هذا الشاطئ الجميل هي التي دفعت بمن أسس مدينة وهران أن يؤسسها هناك. سواء كان هذا التأسيس قبل الإسلام أو بعده.

ب - الغرض الاقتصادي :

لا ارتياب في أن الغرض الرئيسي لتأسيس هذه المدينة في موقعها الحالي هو غرض تجاري بالدرجة الأولى. فقد أصبحت هذه المدينة - منذ يوم تأسيسها - مركزاً هاماً بالنسبة إلى السلع الواردة عليها من خارج القطر الجزائري، لتوزيعها على مدنه وقراه وصحرائه، كما أصبحت - أيضاً - نقطة انطلاق للسلع الصادرة من هناك إلى خارج القطر. قال ابن حوقل: «... وهي (وهران) فرضة^(٣) الأندلس، إليها ترد السلع، ومنها يحملون الغلال...»^(٤). وقال أبو الفداء: «... وذكر من رآها (أي: وهران) أن عندها فرضة تلمسان...»^(٥). وقال الادريسي:

١ ابن حوقل، أبو القاسم النسبي. صورة الأرض. ليدن: مطبعة بريل ١٩٣٨ م. القسم الأول. ص: ٧٧
٢ الادريسي، الشريف. وصف إفريقية الشمالية والصحراوية (مأخوذ من كتاب نزعة المشتاق، في اختلاف الآفاق). تحقيق ونصحيح هنري بيريس. الجزائر: مطبعة دار الكتب. ١٩٥٧ م. ص: ٥٧.
٣ فرضة: محط السفن.

٤ م. ص. ن. ص.

٥ أبو الفداء، اسماعيل. تقويم البلدان. باريس: مطبعة دار الطباعة، ١٨٤٠ ل. ص: ١٢٤.

«... وبها (أي: وهران) أسواق مقدرة وصنائع كثيرة، وتجارة نافقة، وهي تقابل مدينة «المرية» من ساحل بر الأندلس، وسعة البحر بينهما مجريان، ومنها أكثر ميرة ساحل الأندلس... ومراكب الأندلس إليها مختلفة...»^(١). وهكذا استمرت هذه المدينة - إلى الآن - محط تجارة رائجة، ومستودعاً لمختلف السلع والبضائع ومرفأً للسفن البحرية، ومقصداً للقوافل البرية. وفي استطاعتنا أن نقوه - بدون تحفظ - بأن مدينة وهران كانت ولا زالت عاصمة الاقتصاد بالقطر الجزائري. وهذا هو الغرض الأساسي في تأسيسها قبل الإسلام وبعده .

ج - الغرض السياسي :

كانت - قبل تأسيس مدينة وهران - ثلاثة مذاهب سياسية تتعاور شعوب المغرب الأوسط (القطر الجزائري) بواسطة عمال هناك لأصحاب هذه المذاهب، الذين يتبغي كل منهم أن ييث سياسته في هذه الشعوب، ليضمهم إلى امارته، وكانت قبائل مغراوة البربرية تمت إلى الأمويين بالولاء والحلف - كما تقدم لنا تفصيل ذلك - فاستعان بهم أمراء بني أمية في الأندلس على تأسيس هذه المدينة كي تكون لهم بمثابة حجر عثرة في طريق من عداهم من أمراء الشيعة بافريقية، والادارة بالمغرب الأقصى، وتقطع نياط اتصال كل منهما بشعوب المغرب الأوسط، فلبت رجال مغراوة طلب حلفائها الأمويين واستعانت ببعض القبائل التي كانت مجاورة لها بضواحي الساحل الوهراني. وما عتَم أن تم بناء مدينة وهران - لهذا

الغرض السياسي - على أيدي رجال مغراوة وبعض القبائل المجاورين لهم، وقد شاركهم في هذا البناء جماعة من بحارة الأندلس الذين يرأسهم رجلان منهم وهما: محمد بن أبي عون، ومحمد بن عبدون .

واستوطن الجميع المدينة مدة سبع سنوات وفي سنة ٢٩٧ هـ - ٩١٠ م - تمكنت دعوة الشيعة من بعض قبائل البربر فأوعز إليهم دواس بن صولات اللهبصي عامل « تاهرت » بحصار مدينة وهران، فحاصروها مطالبين بثار كان بينهم وبين بني مسقن، فامتنع من كان فيها من الأندلسيين وقبائل ازديجة أن يسلموا بني مسقن لخصومهم، فجر ذلك إلى اشتعال نار الحرب بين الفريقين وفر محمد بن أبي عون الأندلسي وانضم لدواس، وهرب بنو مسقن ليلاً من وهران، مخذولين، وتم النصر لأعوان الشيعة فدخلوا البلاد وأعملوا السيف في رقاب من تبقى من أنصار بني أمية. ثم حطموا المدينة وأضرموها ناراً. وذلك في ذي الحجة من سنة ٢٩٨ هـ - ٩١١ م - . ثم عاد أهل وهران إليها في شهر شعبان من نفس السنة، وجددوا بناءها تحت إمارة دواس الذي أمر عليهم محمد بن أبي عون الأندلسي المتشيع، وعادت المدينة أحسن مما كانت عليه^(١) .

١ - البكري، عبد الله. م. س. ن. ص. - أبو راس، محمد. م. س. ن. ص.

- المزري، بن عودة. م. س. د - صاحب الاستبصار. م. س. ن. ص.

الدول التي حكمت وهران

حكم مدينة وهران - منذ أن أسسها المسلمون حتى الآن - عشرة دول: دولة الأمويين بالأندلس، دولة الشيعة^(١)، دولة المرابطين^(٢)، دولة الموحدين، دولة الزيانيين^(٣)، دولة المرينيين^(٤)، دولة الزيانيين للمرة الثانية، دولة الاسبانين، دولة الأتراك، دولة الفرنسيين، ودولة الجزائريين. ولم تباشر من هذه الدول الحكم في هذه المدينة بنفسها سوى الدول الأربع الأخيرة. وأما الدول الست الأولى، فقد كانت تحكمها بواسطة عمالها وحلفائها، الذين راحوا يمثلونها في المغرب الأوسط عن طواعية منهم، وانقياداً لأمرائهم.

محمد بن عبد الكريم

١ ويقال لهم - أيضاً - العبيديون .

٢ ويقال لهم - أيضاً - الملتمون .

٣ ويقال لهم - أيضاً - بنو عبد الواد .

٤ ويقال لهم - أيضاً - بنو حمامة .

فهرس المصادر والمراجع أ - باللغة العربية

ابن بكار ، بلهاسمي - تاريخ الجزائر القديم والحاضر ، وكفاح ثورثه الكبرى على الاستعمار الفرنسي في أواخر القرن الرابع عشر . مكتبة ابن بكار الهاشمي . معسكر (عمالة وهران) . ج : ١ . مخ .

ابن حوقل ، أبو القاسم النصيبي - كتاب صورة الأرض . ليدن : مطبعة بريل ١٩٣٨ م القسم الأول .

ابن خلدون ، عبد الرحمن - كتاب العبر - بيروت : دار الكتاب ١٩٥٩ م . ج : ١ .
ابن خلكان ، محمد - وفيات الأعيان ، وأنباء أبناء الزمان . تحقيق محمد محي الدين عبد الحميد . القاهرة : مطبعة السعادة . ج : ٤ .

أبو راس ، محمد - عجائب الأخبار ، في لطائف الاسفار . خاص . مخ .
أبو راس ، محمد - عجائب الاسفار ، ولطائف الاخبار . ١٢٢٠ . المكتبة الوطنية . الجزائر . مخ .

أبو الفداء ، اسماعيل - تقويم البلدان . باريز : دار الطباعة ١٨٤٠ م .
أبو الفداء ، اسماعيل - كتاب المختصر في أخبار السير . بيروت ج : ٣ .
الادريسي ، الشريف - نزهة المشتاق ، في اختراق الآفاق (وصف افريقية الشمالية والصحراوية) . تصحيح هنري بيراس . الجزائر : مطبعة دار الكتب ، ١٣٧٦ هـ - ١٩٥٧ م .

البستاني ، عبد الله - البستان . بيروت : المطبعة الاميركانية ١٩٣٠ م . ج : ٢ .
البستاني ، عبد الله - فاكهة البستان . بيروت : المطبعة الميركانية ١٩٣٠ م .

البكري، عبد الله أبو عبيد - كتاب المغرب. في ذكر بلاد افريقية والمغرب .
الجزائر : مطبعة الحكومة ١٨٧٥ م .

البوعبدلي، المهدي - رحلة ابن زرقه. مكتبة ابو عبدلي المهدي. بطبوة (عمالة
وهران) ج : ١ . مخ .

الزباني، محمد بن يوسف - دليل الحيران، وأنيس السهران في أخبار مدينة
وهران. مكتبة الشيخ البدوي. سيدي بلعباس (عمالة وهران) مخ .

الشقراني، أحمد - القول الاوسط، في أخبار بعض من حل بالمغرب الاوسط .
خاص . مخ .

المزري، بن عودة - طلوع سعد السعود. في أخبار وهران ومخزنها الأسود . خاص . مخ
مجهول المؤلف - الاستبصار في عجائب الأمصار. ١٥٦٠ المكتبة الوطنية الجزائرية -
العاصمة - مخ .

الورثلاني، الحسين - نزهة الانظار، في فضل علم التاريخ والأخبار. تحقيق
محمد بن شنب - الجزائر : مطبعة بير فونتانا الشرقية، ١٣٢٦ هـ -
١٩٠٨ م .

ياقوت الحموي - معجم البلدان. بيروت : مطبعة دار صادر، ٣٧٤ هـ -
١٩٥٥ م . ج : ٤ .

ب - باللغة الأجنبية

Général G. Faure — Biguet. Histoire de l'Afrique Septentrionale Sous la Domination Musulmane. Paris-Imprimerie Militaire

Henri-Léon Fey. Histoire d'Oran, avant, pendant et après la Domination Espagnole. Oran Typographie Adolphe Perrier, Editeur, Boulevard Oudinot, 9 - 1858

Jean-Léon L'Africain. Description de l'Afrique traduite de l'Italien par A. Epaulard (1er volume) Paris (VIe) - Librairie d'Amérique et d'Orient 1956

LESPEL. Oran, ville et Port avant l'Occupation Française - Alger.-Imp. la Typo-Litho et Jules Carbonel réunies

LEON Galibert. L'Algerie Ancienne et Moderne Paris - Librairie Furne Jouvot et Cie, Editeurs - 1884

M.T.H. Houtsma, A.J. Wensinck E. Lévi - Provençal, H.A.R. Gibb et W. Heffening Encyclopédie Islamique. Leiden E.J. Brill 1936 Tome III

Paul Pallary. Les Origines de la ville d'Oran (Bulletin de la Société Archéologique de Sousse) Sousse-Imprimerie Française, Boulevard Pichon - 1904

René Basset. Fastes chronologiques de la ville d'Oran pendant la période Arabe Oran - Paul Perrier, Imprimeur - 1892

الملحق الثالث

« عبد الرحمن الثعالبي وضريحه »

مقدمة

هذه دراسة موجزة قصدنا بها لقاء بعض الضوء على شخصية الثعالبي - أيام أن كان في قيد الحياة - وأيضاً على ضريحه المزار بعد الممات .

وقد تصدى - قبلنا - كثير من العلماء والمؤرخين لترجمة هذه الشخصية العلمية، بيد أنهم لم يوفوها حقها، فقد أفرطوا في الإيجاز المخل، ولم يراعوا الترتيب المنطقي، من حيث الزمان والمكان لمراحل حياة الثعالبي التي قطعها تدريجياً أيام أن كان حياً .

ولعل ذلك راجع إلى سببين اثنين - حسبنا نظن - !

أولهما: كون الرجل لم نخصّص له دراسة تحليل وتعليل . يُستقصى فيها جميع الجوانب الضرورية من حياته المباركة. وإنما ذكر بإيجاز مفرط ضمن بعض مؤلفات التاريخ الخاصة بالقطر الجزائري، أو كتب التراجم العامة .

ثانيهما: الاعتماد على شهرته التي أغنت سواد الناس عن طلب المزيد من معرفة شخصيته، ولا سيما في الأوساط المغربية التي نال لديها سمعة طيبة أفقت بهم أن يضيفوا مدينة الجزائر إلى اسمه، فقد قالوا: «جزائر سيدي عبد الرحمن»، وربما أطلقوا هذا التركيب المزجي على القطر الجزائري

بأجمعه. ولعل ذلك عائد - أيضاً - إلى اعتماد الناس على ما قيده الثعالبي عن حياته ضمن بعض مؤلفاته، بل قد أفرد كتاباً خاصاً يتعلق بمراحل حياته العلمية. من حيث الافادة والاستفادة، والأخذ والعطاء .

أما ضريحه: فقد أهمل جميع علماء المسلمين الكلام عنه، ما عدا بعض المتأخرين منهم. إذ أشاروا إليه في سطور قليلة لا تسمن ولا تغني من جوع. ولولا بعض المؤرخين من الافرنج الذين اهتموا ببيان هذا الضريح، ولولا - أيضاً - بعض النقوش والخطوط التي ما زالت رهن جدران هذا المزار والتي أعانتنا على هذه الدراسة، ما عرفنا عنه شيئاً .

وهذا ما دفع بنا إلى الحديث عن هذا الضريح المبارك وصاحبه المرحوم. أما صاحبه فقد تناولنا الحديث عنه من حيث تحديد النسب والمولد والنشأة - بما في ذلك رحلته التي استغرقت زهاء عشرين سنة قضّاها كلها في اغتراف العلوم واكتساب المعارف. ثم عاد إلى الجزائر العاصمة حيث اشتغل بالفتوى والتدريس إلى أن لقي ربه وهو عنه راض. ثم ذكرنا معظم شيوخه الذين تلقى عنهم دروسه في كل بلدة قد حلّ بها أثناء رحلته التي خصصها لتعلمه وتثقيف نفسه. ولم نغفل ذكر بعض التلامذة الذين تتلمذوا له في الجزائر عند أوبته من رحلته العلمية. واستطعنا أن نسرد بعض مؤلفاته في شتى الفنون وقد نبهنا إلى ما هو مطبوع منها. ثم ختمنا ترجمته بذكر بنيه وبناته من صلبه وعمّه وابن عمه . وأما ضريحه فقد حصرنا الكلام عنه في نقطتين :

أولاهما: طراز بنيانه وتاريخ تشييده .

ثانتهما: بيان أنواع الكتابة الموجودة ضمن زخرفة ذلك البنيان، وتحديد أشكال خطوطها. وقد انطلقنا من هاتين النقطتين إلى سرد بعض الأدلة العقلية والنقلية لتاريخ بنيان الضريح وطرازه الفني، ثم قسمنا خطوط هذه الكتابة إلى خمسة أنواع، خط كوفي، خط فارسي، خط شرقي، خط أندلسي، وخط مغربي .

ولم نتلكأ عن تفهم مضمون كل خط، ووصف مكانه الذي نقش فيه. ثم كتبناه حرفياً على صفحات دراستنا، ونبهنا إلى شكله الذي أخذناه بواسطة التصوير الفوتوغرافي .

ولعلنا قد وفقنا - في هذه الدراسة المستعجلة - إلى إبراز بعض الحقائق التاريخية، التي تكون لنا بمثابة نقطة انطلاق إلى دراسات أخرى، رائدها النزاهة العلمية والانصاف التريه. والله ولي التوفيق فيما كان وسيكون !

ترجمة

عبد الرحمن الثعالبي^(١)

نسبه: هو أبو زيد عبد الرحمن، بن محمد، بن مخلوف بن طلحة ابن عمر، بن نوفل، بن عامر^(٢)، بن منصور، بن محمد، بن سباع، ابن مكّي بن ثعلبة، بن موسى، بن سعيد، بن مفضل^(٣) بن عبد البر، ابن قيس بن هلال، بن عامر، بن حسان^(٤)، بن محمد، بن جعفر، ابن أبي طالب^(٥).

مولده ونشأته: ولد الثعالبي سنة ٧٨٥ هـ (١٣٨٤ م)^(٦) بواد «يسر» على بعد ٨٦ كلم بالجنوب الشرقي من عاصمة الجزائر. ونشأ - هناك بين

١ الثعالبي: نسبه إلى الثعالبة رؤساء متبعة. وقد اندثر ملكهم على يد السلطان أبي حنّو الثاني سنة ٧٨٠ هـ (١٣٧٨ م). انظر كتاب العبر، ج ٨، ص ٦٥، القاهرة، مطبعة بولاق ١٣٨ هـ.

٢ في اللوحة التي بجانب قبر صاحب الترجمة: «عمار».

٣ في اللوحة: «مفضل».

٤ في اللوحة: «حسن».

٥ أبو راس، أحمد، عجائب الاسفار، ولطائف الأخبار، ١٢٢٠، المكتبة الوطنية، ورقة ٢٥، مخ.

٦ ذكر الثعالبي - عن نفسه - أنه في عام ٨٤١ كان ابن ٥٥ أو ٥٦ سنة. (الحفناوي، محمد، تعريف الخلف برجال السلف، الجزائر مطبعة بيار فونتانة الشرقية، ١٣٢٤ هـ - ١٩٠٦ م، ج: ١، ص: ٦٦).

أحضان أبويه - نشأة علم وصلاح وأخلاق مرضية، وقد تلقى مبادئ قراءته وتعلمه بالجزائر العاصمة وضواحيها. وقد كان حاضراً يوم غزا الاسبان «تدلس»، في دولة بني عبد الواد، وأخوتهم من بني مزين. ودخلها بعسكره ضحوة يوم الاثنين ١٢ من ذي الحجة سنة ٨٠٠ هـ - ١٣٩٨ م - وكان عمره حوالي خمس عشرة سنة^(١).

رحلته لطلب العلم: نزع الثعالي من مسقط رأسه صحبة والده محمد ابن مخلوف في أواخر القرن الثامن الهجري وأواخر القرن الرابع عشر الميلادي، طالباً المزيد من العلوم والعرفان باحثاً عن مظانها في مناكب الأرض، وقصد تلمسان، حيث اجتمع ببعض علمائه الفطاحل وأخذ عنهم ما تيسر له أخذه، وقد سمع وروى هناك عن عالم الدنيا محمد بن أحمد بن محمد بن مرزوق العجيسي التلمساني، المعروف بالحفيد. وكان الثعالي - إذ ذاك - يناهز البلوغ ثم يتم شطر بجاية،

١ - الجبلاي، عبد الرحمن. تاريخ الجزائر العام. الطبعة الثانية. بيروت: منشورات دار مكتبة الحياة ١٣٨٥ هـ - ١٩٦٥ م. ج: ٢، ص: ٢٨٠.

- نور الدين، عبد القادر. صفحات من تاريخ مدينة الجزائر. قسنطينة: مطبعة البعث. ١٩٦٥ م. ص: ٦٧.

- الحفاني، محمد. م. س. ن. ص.

- الثعالي، عبد الرحمن. العلوم الفاخرة، في النظر في أمور الآخرة. القاهرة: المطبعة الحامدية، ١٣١٧ هـ، ج: ١، ص: ١ - ٢.

Georges MARCAIS. Melong d'Histoire et d'Archéologie de l'occident Musulman. Alger. Imp. Officiell. 1957. T. I. P. 196.

و - علي بن الحاج موسى. أنباء أبناء الزمان، في النصح برشفة من يم ترجمة الشيخ سيدي عبد الرحمن. مكتبة عبد الرحمن الجبلاي. الجزائر. ص: ١. مخ.

فدخلها - صحبة والده أيضاً - سنة ٨٠٢ هـ - ١٣٩٩ م، فكث بها زهاء سنة، ثم توفي والده، ودفن هناك، وعلى أثر وفاة الوالد عاد إلى الجزائر قصد الزيارة لأقاربه. ثم رجع إلى بجاية - أيضاً - حيث قضى ما يقرب من سبع سنوات تلقى خلالها دروساً شتى في مختلف الفنون عن زمرة من فطاحل العلماء^(١). وفي سنة ٨٠٩ هـ - ١٤٠٦ م - انتقل إلى تونس حيث مكث حوالي ثمان سنوات انتفع خلالها بمعظم علمائها وأجازوه فيما هو هو أهل أن يجاز فيه. وفي سنة ٨١٧ هـ - ١٤١٤ م - توجه إلى القاهرة، حيث أفاد واستفاد وأجازوه بعض علمائها^(٢) ولم يلبث هناك طويلاً، بل يتم شطر «برصة» حيث استقبل استقبالاً كريماً. ومن هناك توجه صوب الحرمين الشريفين حيث أدى فريضة الحج، واغتتم الفرصة، فأخذ عن بعض علماء الحجاز وأجازوه في فنون شتى. ثم عاد إلى مصر، وفي سنة ٨١٩ هـ (١٤١٦ م) رجع إلى تونس، فوجد بعض شيوخه قد توفي، ومكث هناك حوالي سنة ملازماً خلالها حلقات جامع الزيتونة. وفي أواخر سنة ٨٢٠ هـ (١٤١٧ م) عاد أدراجه إلى بلده المحبوب بعدما غاب عنه حوالي عشرين سنة قضّاها كلها في اكتناز المعارف واغتراف العلوم، أنى كانت وحيث بانت .

١ - الثعالبي، عبد الرحمن. الجواهر الحسان في تفسير القرآن، ج: ٤، ص: ١١٩ .

ب - علي بن الحاج ماسي. أنباء أبناء الزمان. ص: ٣ .

٢ - قد عقدنا - في هذا البحث - عنواناً خاصاً لمشائخه .

وهكذا استقر بمدينة الجزائر، حيث راح يشتغل بعبادة ربه، وبث العلوم الشريفة بين أبناء ملته، وتحرير المؤلفات المفيدة، والمصنفات العديدة في شتى الفنون إلى أن ناداه أجله المحتوم صبيحة يوم الجمعة ٢٣ من شهر رمضان المعظم سنة ٨٧٥ هـ (١٥ مارس ١٤٧٩ م)^(١) بعد أن قضى تسعين خريفاً كانت كلها طوعاً لمرضاة الله، ووفقاً على مصالح العباد.

ثم نقلت جثته الكريمة من منزله^(٢) إلى مكان يقع على ربوة خارج «باب الواد» يعرف - آنذاك - بـ «جبانة الطلبة». ودفن هناك، ومنذ ذلك الحين أصبح ضريحه مزاراً يتبرك به، ولم يزل الزائرون يقصدونه ذكرانا وإناثاً يومياً وطوال السنة إلى وقت غير معلوم.

وقد رثاه تلميذه المخلص الأديب، الشيخ أحمد بن عبد الله الجزائري. ثم الزواوي. بقصيدة من بحر الطويل، فقال في مطلعها :

لقد بان أهل العلم عنا وأقبرت	منازلهم انا إلى الله نرجع
كما بان عنا شهمننا العالم الذي	سناه بأنوار الحقيقة يستطعم
أبو زيد المشهور بالعلم والتقى	له الفضل فينا والمقام المرفع
هو العالم الموصوف بالنفع للورى	به عنهم خطب الحوادث يرفع

١ كادت جميع المصادر التي ترجمت للثعالبي أن تتفق على هذا التاريخ، ولا يلتفت إلى ما وجد منفوشاً في لوحة يجنب قبر الثعالبي: أنه توفي سنة ٨٧٣ هـ وقد حذا حذو هذه اللوحة بعض المؤرخين الأجانب،

منهم «البيرت دوفولكس» (Albert de VOULX) في كتابه: (Edifices religieux)

٢ يوجد هذا المنزل بنهج قريب من المسجد الأعظم. ولما احتلت فرنسا الجزائر أخذ هذا النهج اسم «نهج الشارث» (Rue de la Chartre) رقم (٢) وذلك سنة ١٨٥٤ م بعدما كان يحمل رقمي: (٥٤) و (٦٠).

وقد هدم هذا المنزل وادخلت مساحته ضمن فندق الكتابة العامة للحكومة: «دار العمالة» القديمة.

لقد جزعت نفسي لفقدني أحبتي وحق لها من مثل ذلك تجزع
 ألم بنا ما لا نطبق دفاعه وليس لأمر قدر الله مرجع
 إلى أن يقول :

أعزى أبا عبد الإله محمداً^(١) ومن بحمیل الصبر نرجو سيجمع
 ونحن وان كنا جميعاً نجه فقلبك أشجى للفراق وأوجع
 أصبنا به فالله يعظم أجرنا ويلهمنا الصبر الجمیل ويوسع
 رحم الله الثعالبي وصب شآبيب الرضوان على مثواه !

شيوخه

قبل أن نشرع في سرد شيوخه النصحاء، ينبغي لنا أن نقسمهم إلى
 فئات حسب الأماكن والبلدان التي حل بها الثعالبي وتلمذ فيها لعلمائها،
 حتى يتسنى للقراء أن يميزوا بين هؤلاء العلماء، من حيث المكان والزمان .

شيوخه ببجاية :

- ١ - أبو الحسن علي بن عثمان المانجلاتي الزواوي^(٢) . أخذ عنه
 بمسجد عين البربر .
- ٢ - أبو الربيع سليمان بن الحسن^(٣) .
- ٣ - أبو الحسن علي بن محمد البيلتي .

١ هو نجل سيدي عبد الرحمن المعروف بمحمد الكبير .

٢ قال الثعالبي: وعليه كانت عمدة قرامتي (نور الدين، عبد القادر. صفحات في تاريخ مدينة الجزائر
 ص: ١٦٧ ، نقلا عن كتاب الجامع للثعالبي) .

٣ قال الثعالبي: وعليه كانت عمدة مجوبدي (م. س. ص: ١٦٨) .

- ٤ - علي بن موسى .
- ٥ - أبو العباس أحمد النقاسي .
- ٦ - أبو القاسم محمد المشدالي وغيرهم ...

شيوخه بتونس :

- ١ - أبو مهدي عيسى الغبريني .
- ٢ - أبو القاسم بن أحمد البرزلي القيرواني^(١) .
- ٣ - أبو عبد الله محمد بن خلف الأبي الوشتاني^(٢) .
- ٤ - أبو يوسف يعقوب الزغبى .
- ٥ - أبو عبد الله القلشاني .
- ٦ - ابن مرزوق الحفيد^(٣) . وهذان الأخيران أخذ عنهما بعد عودته إلى تونس من المشرق للمرة الثانية .

شيوخه بمصر :

- ١ - البلالي^(٤) .
- ٢ - أبو عبد الله البساطي .

١ قال الثعالبي: وأخذت البخاري الايسراً عن البرزلي. (م. س. ص: ١٦٨) .

٢ قال الثعالبي: وأكثر علمني على الأبي. (م. س. ص: ١٦٨) .

٣ قال الثعالبي: ثم قدم تونس شيخنا ابن مرزوق عام ٨١٩ هـ، فأقام بها نحو سنة، فأخذت عنه كثيراً، وسمعت عليه الموطأ. (م. س. ن. ص.) .

٤ قال الثعالبي: ثم رحلت إلى المشرق ودخلت مصر، فسمعت البخاري على البلالي وكثيراً من اختصار الاحياء له (م. س. ن. ص) .

- ٣ - ولي الدين العراقي^(٥) .
- ٤ - المعمر أبو عبد الواحد بن اسماعيل الغرياني .
- ٥ - أبو القسم الحافظ العبدوسي .
- ٦ - أبو محمد عبد الله بن مسعود بن علي القرشي الشهير بـ « ابن القرشية » .

تلامذته

- لقد كان للثعالبي تلامذة كثيرون، نذكر منهم بعض من عثرنا عليه في كتب التراجم الموثوق بها :
- ١ - عيسى بن سلامة البسكري .
 - ٢ - محمد بن مرزوق الكفيف .
 - ٣ - محمد السنوسي الإمام .
 - ٤ - علي بن محمد التالوتي أخو الإمام السنوسي لأمه .
 - ٥ - محمد بن عبد الكريم المغيلي .
 - ٦ - أحمد زروق الفاسي .
 - ٧ - أحمد بن عبد الله الجزائر الزواوي .

مؤلفاته

يعدّ الثعالبي أخصب نتاجاً من علماء قطره ومتصوفيه. وذلك راجع

• قال الثعالبي: وحضرت كثيراً عند شيخ الهدّين بها (بمصر) ولي الدين العراقي، وأخذت عنه علماً جمة، معظمها علم الحديث (م. س. ن. ص) .

- فيما نظن - إلى اعتزاله عن سواد الناس ، وملازمته لمهنة التدريس في شتى الفنون المتداولة بين علماء ذلك العصر . وقد نيفت مؤلفاته على التسعين ، أكثرها ما تزال مخطوطة ، وجلها يوجد بأرض السودان^(١) ، نذكر منا ما يلي :

- ١ - الجواهر الحسان ، في تفسير القرآن^(٢) .
- ٢ - تحفة الاخوان ، في اعراب آي القرآن .
- ٣ - الذهب الابريز ، في غريب القرآن العزيز .
- ٤ - العلوم الفاخرة ، في النظر في أمور الآخرة^(٣) .
- ٥ - كتاب المرائي^(٤) .
- ٦ - روضة الأنوار ، ونزهة الاخيار .
- ٦ - رياض الصالحين .
- ٨ - الأنوار ، في معجزات المختار .
- ٩ - الجامع الفرعي .
- ١٠ - شرح على مختصر خليل بن اسحاق المالكي .
- ١١ - شرح على ابن هرون .
- ١٢ - شرح على غرر ابن عرفة .
- ١٣ - شرح عيون مسائل المدونة .

١ - مقدمة العلوم الفاخرة ، في النظر في أمور الآخرة ، ص : ١ .
 - الجليلي ، عبد الرحمن . تاريخ الجزائر العام . ج : ٢ . ص ٢٨٢ .
 ٢ - طبع بمصبعة الثعالبية بالجزائر العاصمة سنة ١٣٢٧ هـ في أربعة أجزاء .
 ٣ - طبع بالمطبعة الحامدية المصرية سنة ١٣١٧ هـ ، في جزأين .
 ٤ - طبع عدة طبعات بالمطبعة الثعالبية بعاصمة الجزائر .

- ١٤ - جامع الأمهات، في أحكام العبادات .
- ١٥ - الجامع الكبير .
- ١٦ - ارشاد السالك . .
- ١٧ - الأربعون حديثاً في الوعظ والرقائق .
- ١٨ - الدرّ الفائق .
- ١٩ - شرح المختار من الجوامع، في محاذات الدرر اللوامع^(١) .
- ٢٠ - الفهرسة . .
- ٢١ - مختصر الفهرسة .
- ٢٢ - الرحلة .
- ٢٣ - جامع الفوائد .
- ٢٤ - كتاب النصائح .
- ٢٥ - العقد النفيس .
- ٢٦ - كتاب الارشاد، في صالح العباد .
- ٢٧ - جامع الخيرات .
- ٢٨ - التقاط الدرر .
- ٢٩ - المختار من الجوامع .
- ٣٠ - جامع المهم، في أخبار الأمم .
- ٣١ - نور الأنوار، ومصباح الظلام .
- ٣٢ - الأنوار المضيئة، في الجمع بين الشريعة والحقيقة .
- ٣٣ - كتاب النصائح. وغير ذلك .

وللثعالي قصائد وقطع من الشعر متفرقة هنا وهناك، فمنها قوله - يحذر
من الدار الفانية، ويدعو إلى الدار الباقية - :

وإن امرؤ أدنى بسبعين حجة جدير بأن يسمى معداً جهازه
وأن لا تهز القلب منه حوادث ولكن يرى للباقيات اهتزازه
وأن يسمع المصغي إليه لصدده أزيزاً كصوت القدر يدي ابتزازه
فما بعد هذا العمر ينتظر الذي يعمره في الدهر إلا اغتراره
وليس بدار الذل يرضى أخو حجي ولكن يرى أن بالعزير اعتزازه

أولاده

أنجب الثعالي ثمانية أولاد، كلهم من بطن أم واحدة اسمها «مريم»^(١)،
واسم قابلتها - عند وضع جميع أولادها - «تلاتيماش» ولا نشك في بربرية
هذا الاسم، بيد أننا نجهل - حتى الآن - تاريخ وفاة كل منهما. وهؤلاء
الأولاد فمنهم الذكور، ومنهم الإناث فالذكور أربعة، وهم:

١ - محمد الصغير، وقد توفي شهيداً بالطاعون في أوائل سنة ٨٤٦هـ
(١٤٤٢ م).

٢ - محمد الملقب بـ «ابن الصالحيت»، وقد توفي سنة ٨٥١هـ
(١٤٤٧ م).

١ قال علي بن الحاج موسى: «ولم أقف على اسم أبيها صهر الشيخ (سبيدي عبد الرحمن) وإنما وقفت على
تاريخ وفاته بالجزائر من غير وجود نصريح باسمه بأوائل ربيع الثاني عام ٨٤١هـ، وأنه دفن بمقبرة آل
صهر الشيخ المذكور الآتي ذكرها (مقبرة الطلبة).

(ابناء أبناء الزمان، في النصيح برشفة من يمّ ترجمة الشيخ سبيدي عبد الرحمن. مكتبة عبد الرحمن الجبلالي.
الجزائر. ص: ٢. مخ).

٣ - محمد الكبير ، وقد كان في قيد الحياة يوم وفاة أبيه الشيخ عبد الرحمن ، بدليل أن أبا العباس أحمد بن عبد الله الزواوي قد أشار إليه وصرح باسمه في مراثيه لأبيه ، إذ يقول :

أعزى أبا عبد الله محمداً ومن يجميل الصبر نرجو سيرجع
فإننا وإن كنا جميعاً نحبه فقلبك أشجى للفراق وأوجع

٤ - يحيى وبه كان يكنى الشيخ عبد الرحمن تكنية رسمية ، بيد أنه اشتهرت تكنيته بـ «أبي زيد» ، وهي تكنية اصطلاحية عند علماء النسب الذين تقرر لديهم بأن كل من اسمه عبد الرحمن يكنى بـ «أبي زيد» . وكان الثعالبي يكنى - أيضاً - بأبي محمد ، تكنية بأحد أولاده الثلاثة المتقدمي الذكر . ولم نعلم تاريخ وفاة يحيى هذا ، أمي قبل وفاة أبيه ، أم بعدها ؟ وكلهم دفنوا بـ «مقبرة الطلبة» حيث دفن أبوهم وأجدادهم . ولم يترك أحدهم وارثاً ، ما عدا أبا عبد الله محمداً الكبير ، فقد ترك بنتاً اسمها «كلأ» (بفتح الكاف واللام المشددة) وبموتها انقطع نسل الشيخ عبد الرحمن الثعالبي من صلبه .

أما الاناث فهن أربع أيضاً ، وهن :

١ - فاطمة ، ٢ - رقية ، ٣ - محجوبة . وقد توفين كلهن في سنة واحدة وهي سنة ٨٤١ هـ (١٤٣٧ م) ، وفي نفس السنة توفي جدهن لأمهن مريم ، وكلهن توفين صغيرات . ٤ - السيدة عائشة ، وتاريخ وفاتها مجهول وقد حقق الشيخ علي بن الحاج موسى بأنها كانت في قيد الحياة سنة ٨٥١ هـ

(١٤٤٧ م)، وهي السنة التي توفي فيها أخوها محمد الملقب بـ «ابن الصالحيت». وكلهن دفنَ بـ «مقبرة الطلبة» حيث مدفن أبيهن وأخوتهن وأجدادهن، وكان للشيخ الثعالبي عمّ اسمه عمر بن مخلوف الذي خلف ابناً اسمه عامر بن عمر بن مخلوف^(١). وإلى هنا تنتهي ترجمة الثعالبي بإيجاز غير مخل، على أمل العودة إليه في دراسة ضافية التحليل والتعليل «ولكل أجل كتاب».

١ علي بن الحاج موسى. م. س. ص: ٣.

ضريح عبد الرحمن الثعالبي

لقد أسمى ضريح الثعالبي يتمتع باحترام تام لدى الخاص والعام من سواد الناس، مثلما كان يتمتع به صاحبه أبان حياته المباركة .

وقد دفع بهم هذا الاحترام إلى الاعتناء بهذا الضريح اعتناء أدى بهم إلى تشييد بنيان حوله، وزخرفة جدرانه، حتى يصبح حجاً يومياً، ومزاراً مباركاً يتوسل به عند نزول الملهمات .

وقد أوجب علينا عملنا أن نتحدث عن هذا البنيان وهذه الزخرفة من حيث نقطتان اثنتان تقتضيهما دراستنا المتممة لرسالتنا . أولاهما: تاريخ البنيان وطراز هندسته . ثانيتهما: أنواع الكتابة الموجودة ضمن الزخرفة، وشكل حروفها .

وقد أهمل جميع المسلمين الذين اشتغلوا بترجمتهم للثعالبي هاتين النقطتين، ولم يثيروا إليهما بأدنى إشارة. والسبب في ذلك واضح جداً. ذلك أن علماءنا لم يتخصصوا في الفن المعماري وهندسته، حتى يعتنوا بأشكاله ويتذوقوا طرازه، فيدسروهم ذلك إلى الكتابة فيه. أما الافرنج فانهم

- بعد بحثهم الدقيق - لم يتوصلوا إلى ضبط تاريخ البنيان الأول الذي أقيم حول هذا الضريح المزار. والسبب في ذلك « كئار على علم »، ذلك أن المؤرخين من الافرنج يعتمدون - غالباً - في تدوين تاريخ المسلمين على الوثائق الإسلامية التي جاء بها علماء الإسلام، لأن « أهل مكة أدرى بشعابها »، فاذا لم يجدوا الوثائق خمنوا أشياء واستنبطوها من مقارنتهم إياها بما يماثلها في الشكل والنوع، وان كانت تخالفه في الزمان والمكان .

وهذه الطريقة بالذات هي التي سار عليها بعض علماء التاريخ من الفرنسيين عندما تصدوا في دراساتهم لبنيان ضريح الشيخ الثعالبي، فقد توصل « جورج مارساي » (Georges Marçais) إلى نتيجة مضمونها أن بنيان هذا الضريح مغربي في هندسته، وأنه من طراز أبنية السعديين؛ من حيث شكل السقف ولون القرميد الأخضر، وهندسة اسطواناته واستدل على ذلك بدراسة قد قام بها لأبنية مساجد السعديين بالمغرب الأقصى وقصورهم هناك، مثل قصر « البديع » بمراكش الذي زينه مولاي زيدان السعدي بقاعة تحتوي على اثني عشرة سارية، جاءت هندستها على طراز هندسة ساريات ضريح الشيخ الثعالبي. كما أنه قد قارن بين قبب تلك القصور والمساجد وبين قبة الثعالبي فوجد وجه الشبه يئناً للغاية ، فحكم بما حكم^(١) . وهذا كله ما قبل تاريخ سنة ١٠٣٠ هـ - ١٦١١ م. أما بعد هذا التاريخ فان بنيان الضريح قد تغيرت هندسته وأصبح تركي التزعة. كما سيأتي تفصيل ذلك قريباً .

(١) Georges MARCAIS. Melanges d'Histoire et d'Archéologie de l'Occident Musulman. T. 1, P. 196-201.

١ - تاريخ البنيان :

بعد البحث الدقيق في المظان التي تتعلق بموضوعنا، لم نتوصل إلى تحديد زمان البنيان الذي أقيم حول ضريح الثعالبي - رحمه الله - ونحن لا نرتاب في أن تاريخ هذا البنيان كان مرافقاً لزمان وفاة صاحبه، أو بعد أيام قلائل منذ سكونه في ضريحه على الأكثر. والسبب في ذلك أن صاحب هذا الضريح قد كان - لدى جميع الناس، لا سيما وجهائهم - محترماً، معظماً، مبجلاً، يلتصقون منه الدعاء الصالح، ويقتدون به في دينهم ودنياهم .

وقد بنوا له مسجداً قرب منزله زمان حياته وأسموه باسمه، فعرف منذ ذلك الحين إلى ما بعد الاحتلال، بـ «مسجد سيدي عبد الرحمن الثعالبي»^(١). فأحرى بهم - بعد موت عالمهم النصوح، ووليهم الصالح - أن يبنوا حول ضريحه المبارك مقاماً يكون لهم بمثابة تعبير صادق عن شعورهم الخالص واحساسهم الروحي نحو طاعة شيخهم الموقر حياً وميتاً .

ويبدو أن الضريح كان - في السنين الأولى - يتوسط المقام، وبعد تجديد بنيان المقام على عهد الأتراك زيد في مساحته من ناحية الشرق، فأصبح الضريح جانباً كما هو الآن في الوقت الحاضر. يجده الزائر عن يمينه عند دخوله المقام. وغموض تاريخ بنيان مقام الثعالبي قبل زمان الأتراك بالجزائر لا يشمل تاريخ تجديد هذا المقام على عهدهم هناك؛ بل توجد

(١) Albert Devoulx. Les Edifices Religieux de l'Ancien Alger. Alger. Alger. Typographie Bastide 1870. P. 36-39.

لدينا أدلة قاطعة تثبت لنا تحديد زمان التجديد لهذا البنيان حسب السنوات .
فنها أدلة نقلتها لنا الكتب الموثوق بها ، ومنها أدلة شاهدناها وعثرنا عليها
بواسطة النقوش التي ما زالت عالقة بجدران بنيان المقام .

أدلة نقلتها لنا الكتب :

يحدثنا بعض المؤرخين الفرنسيين^(١) أن أول تجديد لبنيان هذا المقام
وقع سنة ١٠٢٠ هـ - ١٦١١ م . على عهد مصطفى باشا ، أي : بعد ١٤٥
سنة من وفاة صاحب المقام ، ثم وقع تجديد ثان على يد الوكيل عبد القادر
سنة ١٠٣٧ هـ - ١٦٢٧ م . أي على عهد حسين باشا . ثم تجديد ثالث
على يد الداوي الحاج أحمد سنة ١١٠٨ هـ - ١٦٩٦ م . ثم تجديد رابع
على يد الوكيل محمد بن الواضح سنة ١٣٤٢ هـ - ١٧٣٠ م . على عهد
عبدي باشا ويبدو أن هذا التجديد خاص بداخل المقام ، أو زيد في مساحته
بعض الشيء ، لأن التجديد الذي قبل هذا - وهو الأساسي - ما زالت
كتابة تاريخه منقوشة فوق الباب الخارجي للمقام .

أدلة شاهدناها :

يوجد فوق الباب الخارجي للمقام نقش خطه كوفي يضم أربعة أبيات
من منظوم الرجز ، جاء في الشطر الأخير من البيت الأخير تاريخ تجديد
بناء المقام على طريق حساب الجمل . ونص البيت الأخير ما يلي :

(١) A-Georges Marçais. Melanges d'Histoire et d'Archéologie de l'Occident Musulman,
T. 1, P. 196-201.

B- Klein Henri. Feuilles d'El-Djazair, Alger, choix, 1937. P. 157-158.

تاريخه يا سائلا بصدق في النظم قد جعلته « بشوق »

فكلمة « بشوق » تحتوي على تاريخ اتمام البناء. فالبناء تعد بـ (٢)
والشين بـ (١٠٠٠) والواو بـ (٦) والقاف بـ (١٠٠) فمجموع هذه الأرقام
١١٠٨ هـ ثم ختمت هذه الأبيات الأربعة بفقرة باللغة الدارجة كتابة
ونطقاً، وهذا نصها: « عام ثمني وميا وألف » .

وفي جوف المقام يوجد بالجدار الأيمن بجانب الساعة نقش خطه شرقي
خالص، يحتوي - بعد الحمدلة والصلاة والتسليم - على ستة أبيات.
نذكر منها الأربعة الأولى، لتعلقها بذكر تاريخ بناء المقام حسب الشهر
والسنة، وذكر اسم الوكيل محمد بن الواضح الذي سعى في تجديد هذا
البناء، وذكر حاكم وقته عبدي باشا. ونص الأبيات كما يلي :

كمل البنا [هـ]	بمحمد رب فاتح	بمحرم يسمو بحسن واضح
سنة اثنتين وأربعين	تعقبت	مائة وألفا أسرع كالجامع
في مدة الاحظى الأمين	المرتضى	عبدي وقاه الله كل طوالح
ولقد سعى فيه الوكيل	محمد	الفاضل المشهور بابن الواضح

ويبدو لنا أن تجديد هذا البناء يعد الأخير من نوعه على عهد حكام
الأتراك، الذين كانوا يهتمون كثيراً بأضرحة العلماء العاملين ومزارات الأولياء
والصالحين من أبناء ملة الإسلام. والسبب في ذلك أنهم يميلون إلى الدين
ورجاله بالقلب والقالب، لا سيما مذهب التصوف الذي أصبح راسخا في
قلوب جل سلاطين الأتراك وولاتهم. ولا يعتد برأي جل الكتاب الأجانب
وبعض كتاب المسلمين المتأخرين، من أن الدافع الأساسي على احترام

أضرحه الأولياء والصالحين والعلماء العاملين هو هدف سياسي بحت، يراد به ارضاء الجمهور المحكوم فيه. واطفاء جذوة ثورات الشعب على الأوضاع السياسية آنذاك .

وقبل أن ننهي الكلام عن النقطة الأولى لتاريخ بنيان الضريح، نود أن نذكر القراء بأن هندسة البنيان الحالي هندسة قد جاء بها الأتراك إلى الجزائر، ولم تكن قبل مجيئهم موجودة هناك. ويظهر ذلك جلياً في شكل القبة التي تحم على قاعة الضريح، فهي تتألف من ثمان زوايا متحدة المسافة وفي داخل القاعة نلاحظ محراباً مزخرفاً بين ساريتين رخاميتين، كما نلاحظ أيضاً جدراناً مزينة بأرقى أنواع الزليج الملون المجلوب من آسيا الصغرى تتخلله عدة خطوط كتابية عربية الشكل بنوعيه الشرقي والفارسي. وسنبين أنواعه - إن شاء الله - في النقطة الثانية عند كلامنا عن زخرفة الكتابة الموجودة ضمن هذا البنيان .

وبناء القبة والمحراب وزخرفة القاعة على الطراز الشرقي يعد من عمل الداوي الحاج أحمد بن الحاج مصلى وإلى زمانه يعود. أما ما قبل ذلك فلا قبة ولا محراب ولا زخرفة شرقية .

وتضم هذه القاعة ضريح سيدي عبد الرحمن المغطى بتابوت خشبي وعند قدميه يوجد قبر سيدي أبي جمعة بن حسين المكناسي، وعند شمال المحراب يوجد قبر السيدة روضة بنت محمد الخزناجي زوجة يحيى آغة. وعند منتهى الشمال الشرقي يوجد قبر الشيخ علي بن الحفاف. وتوجد قبور أخرى هناك، منها قبر لحسن باشا، وقبر لمصطفى باشا، وقبر لعمر باشا،

وقبر للحاج أحمد داي. وقد نقلنا بعضا من كتابة مشاهد هذه القبور بواسطة التصوير الفوتوغرافي، وسيجد القارئ عبارات هذه الكتابة عندما نتناول كلامنا عن النقطة الثانية من نوع الكتابة الموجودة ضمن زخرفة البنيان.

٢ - أنواع الكتابة :

يمكن لنا أن نحصر أنواع الكتابة التي جاءت ضمن زخرفة هذا البنيان في خمسة خطوط عربية رئيسية : خط كوفي، خط فارسي، خط شرقي، خط أندلسي، وخط مغربي .

١ - الخط الكوفي : يوجد نقش من هذا النوع - من منظوم الرجز - فوق الباب الخارجي لبنيان حرم سيدي عبد الرحمن، وهذا نصه :
(شكل - ١ -) :

تمّ البنا حقاً بعون الله	على يد أميرنا ذي الجاه
من فاق أرباب السخا والفضل	الحاج أحمد بن الحاج مصلی
أرشده الله إلى التوفيق	بحرمة الفاروق والصدیق
تاريخه يا سائلا بصدق	في النظم قد جعلته « بشوق »
« عام ثمني وميا وألف » .	

٢ - الخط الفارسي : توجد كتابة من نوع هذا الخط في عدة أماكن ضمن زخرفة الجدران الأربعة لقاعة الضريح .

أ - خطوط على الجدار الجنوبي، وهذا نصها (شكل - ٢ -) :
« الدنيا كلها غرور، كل نعيم دون الجنة فان » .

(شكل - ٣ -) : « لا زاد خير من التقوى ، لا شرف أعلى من الإسلام »
 ب - خطوط على الجدار الشرقي وهذا نصها (شكل - ٤ -) :
 « لا تحزن على كل مفقود ، وذاكر المعبود موجود . من يكن في خدمة
 الله يجعل الله الاشياء في خدمته » .

(شكل - ٥ -) : « ابشر يا فتى ان الفرج قد أتى » . (أربع مرات
 عن يسار المحراب) .

(شكل - ٥ -) : « ابشر يا فتى ان الفرج قد أتى » . (ثلاث مرات
 عن يمين المحراب) .

(شكل - ٦ -) : « ابشر يا فتى ان الفرج قد أتى ، الفرج ... منازل
 البركة ، الصبر سلامة ، الفرج ان ... العجلة ندامة
 الصبر سلامة ، العج ... ابشر يا فتى ان الفرج
 قد أتى يا فتى » .

(شكل - ٧ -) : « ابشر يا فتى ان الفرج قد أتى ، الصبر سلامة ،
 العجلة ندامة ، منازل البركة ، منازل البركة » .

٣ - الخط الشرقي : يكاد لا يخلو جدار من الجدران الأربعة
 لقاعة الضريح من هذا الخط ، وكذلك معظم مشاهد القبور قد جاءت
 مكتوبة به .

أ - على الجدار الغربي للقاعة بعد بابها الأول عن يمين الزائر ،
 وقبالة الباب الثاني لها يوجد هناك خط شرقي متكون من سطرين اثنين ،

نص السطر الأول (شكل - ٨ -) :

« لا إله إلا الله الملك المبین . »

ونصّ السطر الثاني (شكل - ٨ -) :

« محمد رسول الله الصادق الوعد الأمين . »

ب - وجاء على الجدار الجنوبي ، تحت الخط الفارسي البيت الأول

والثامن من بردة الشيخ محمد البوصيري ونصهما (شكل - ٢ -) :

« أمن تذكر جيران بذى سلم مزجت دمعا جرى من مقلة بدم
نعم سرى طيف من أهوى فأرقني والحب يعترض اللذات بالالم »

ثم تحت هذين البيتين أربع كلمات مكررة مرتين ونصها (شكل - ٢ -)

« الله . محمد . أبو بكر . عمر . الله . محمد . أبو بكر . عمر . »

ثم يليه على نفس الجدار فوق الخط الفارسي نقش في سبعة سطور ،

السطر الأول يتضمن الحمدلة والصلاة والتسليم ، والباقي نظم من بحر

الكامل الصحيح العروض والضرب ، والبيت الأخير مطموس لم تتمكن

من قراءته أما الأبيات الخمسة ، فهذا نصها (شكل - ٩ -) :

كمل البناء بحمد رب فاتح بمحرم يسمو بحسن واضح

« سنة اثنتين وأربعين تعقبت مائة وألفا أسرع كالجامع

في مدة الاحظى الأمين المرتضى عبدي وقاه الله كل طوالع

ولقد سعى فيه الوكيل محمد الفاضل المشهور بابن الواضع

الله يعطينا وأياه الرضى ويقبلنا من كل ذنب فاضح »

وتحت هذه الأبيات خط فارسي - وقد تقدم الكلام عنه - ثم
تحت الخط الفارسي البيت الثالث عشر من قصيدة البردة، وهذا نصه
(شكل - ٣ -) :

فان أمارني بالسوء ما اتعظت من جهلها بنذير الشيب والمهرم
ج - وجاء على الجدار الشرقي - فوق الخط الفارسي - ما نصه
(شكل - ١٠ -) :

« لا إله إلا الله محمد رسول الله » .

ثم تحته البيتان: الرابع والخامس من قصيدة البردة، هذا نصهما
(شكل - ١٠ -) :

« ابحسب الصب أن الحب منكم ما بين منسجم منه ومضطرم
لولا الهوى لم ترق دمعاً على طلل ولا آرت لذكر البان والعلم^(٧) »

ثم يلي هذين البيتين - عن يمين المحراب - نصف البيت الثالث
من قصيدة البردة أيضاً، وهذا نصه (شكل - ١١ -) :

وما لقلبك ان قلت استفق بهم

وتحته نقش على رخام، هذا نصه (شكل - ١١ -) :

« وما ينسب للخلفاء الراشدين الأربعة: أبي بكر وعمر، وعثمان،
وعلي - رضي الله عنهم ! - :

١ في الجدار تقديم البيت الثاني على الأول وقد تصرفنا فيه نزولاً عند رغبة أصل النص .

الموت باب وكل الناس داخله يا ليت شعري بعد الباب ما الدار
الدار دار نعيم ان عملت بما يرضي الإله وان خالفت فالنار
هما محلان ما للمرء منزلة سواهما فاختر لنفسك الدار تختار
ما للعبيد سوى الفردوس منزلة وان هفوا هفوة فالرب غفار^(١)

كتب بتاريخ ٣٥ في قعدة سنة ١٢٨٢ وافق ١١ في ابريل سنة ١٨٦٦ .

ثم يأتي - في نهاية يسار المحراب - البيتان: السادس والسابع من قصيدة البردة، وهذا نصهما (شكل - ٦ -) :

« فكيف تنكر حبا بعد ما شهدت به عليك عدول الدمع والسقم
وأثبت الوجد خطي عبرة وضنى مثل البهار على خديك والغم »
وفي أسفل يسار المحراب يوجد نقش على رخام. هذا نصه (شكل - ١٣ -) :

« سبحان الحي الذي لا يموت ! هذا قبر المرحومة الولية روضة بنت محمد بن الخزناجي ، زوجة المرحوم المنعم يحيى آغة ، توفيت ليلة الخميس الذي هو في قعدة سنة ١٢٨٢ . الموافق لليوم الحادي عشر من أبريل سنة ١٨٦٦ . »

د - وفي أسفل الجدار اليساري يوجد نقش على رخام هذا نصه (شكل - ١٤ -) :

١ لعل الأبيات تنسب للامام علي وحده ؟.

« ما شاء الله كان ! الله حي ، باق ، أزلي » .

لا إله إلا الله ! من علامة سعادة الإنسان ، اقباره في ضريح سيدي عبد الرحمن ، يا خير بني عدنان ، أنا في حماك وحمى القرآن .

من يتشفع بك يا خير الوري شرف فالله حافظه من كل منتقم^(١)

قد توفي وسار^(٢) إلى رحمة خفي اللطاف ، عبده الراجي منه الأمن مما يخاف . العلامة الشيخ علي ابن الخطيب الفقيه السيد عبد الرحمن ابن العلامة الكبير الشيخ محمد بن الحفاف ، مفتي المالكية هو وكذا جد المذكور بالجزائر رحمهم الله بتاريخ اليوم ٢١ من صفر الخير سنة ١٣٠٧ هـ .

٤ - الخط الأندلسي : بنجب التابوت قبالة الجدار الشرقي ، يوجد نقش في ثمانية سطور بخط أندلسي ، كتبه علي بن محمد بن جعدون الجزائري . وهذا نصه (شكل - ١٥ -) :

« بسم الله الرحمن الرحيم وصلى الله على سيدنا محمد وآله وسلم هذا قبر الولي الصالح الأستاذ أبي جمعة بن حسين المكناسي رحمه الله تعالى ورضي عنه ونفعنا به ، آمين ! وما وجد مكتوب بخط يده المباركة على ظهر كتاب الجواهر الحسان ، في تفسير القرآن ، هذا النسب المذكور . وهذا الكتاب هو لتلميذه الشيخ الرباني أبي زيد سيدي عبد الرحمن بن محمد الثعالبي ، رحمه الله تعالى ورضي عنه ، ونفعنا ببركاته ، آمين ! » .

١ هذا بيت من قصيدة البردة للبوصيري ، وفي رواية :

ولن يضيق رسول الله جاهدك لي إذا الكريم تجلّى باسم منتقم

٢ في الأصل : « وسار » بالصاد المهملة .

٥ - الخط المغربي : بجانب التابوت تجاه المحراب يوجد نقش على رخام في عشرة سطور محفوظة في واجهة زجاجية، هذا نصه (شكل - ١٦ -) :

« بسم الله الرحمن الرحيم وصلى الله على سيدنا محمد وعلى آله .

الحمد لله ! وما وجد بخط الشيخ الإمام الولي الصالح أبي زيد سيدي عبد الرحمن الثعالبي رضي الله عنه، ما نصه : الثعالبي عبد الرحمن، بن محمد، بن مخلوف، بن طلحة، بن عمر، بن نوفل، بن عمار، بن منصور، بن محمد، بن سباع، بن مكّي، بن ثعلب، بن موسى، بن سعيد، بن معضل^(١)، بن عبد البر، بن قيس، بن هلال، بن عامر، بن حسن، بن محمد، بن جعفر، بن أبي طالب عم رسول الله صلى الله عليه وسلم، ومن ذريته عبد العزيز، بن محمد، بن مخلوف الثعالبي، توفي الشيخ - رضي الله عنه - سنة ثلاث وسبعين وثمانمائة^(٢) .

وبهذا النص تنتهي النصوص بأنواع خطوطها الخمسة، كما نقلناها بواسطة التصوير الفوتوغرافي. وقد اقتصرنا على ما هو مكتوب ومنقوش بقاعة الضريح وبأعلى بابها الخارجي، ولم نتعرض لما دون ذلك من بيان

١ لعله «مفضل» .

١ هذا التاريخ يخالف ما ذهبنا إليه : من أن الثعالبي توفي سنة ٨٧٥ هـ - ١٤٧٩ م . وهو الصحيح عند جلّ من ترجم للثعالبي من العلماء الثقات، كما تقدم لنا في ترجمة حياته .

حرم سيدي عبد الرحمن ، سواء بالدرس ، أو بالتصوير خوفاً من الاطالة المؤدية إلى الخروج عن الموضوع ، الذي رسمناه لهذا البحث الصغير المتم لرسالتنا. ولعل الله يتيح لنا الفرصة في المستقبل ، فتناول - بالدرس والتصوير - ما لم نتناوله في الوقت الحاضر .

محمد بن عبد الكريم

فهرس المصادر والمراجع

أ - باللغة العربية

- أبو راس، محمد. عجائب الاسفار، ولطائف الاخبار، ١٢٢٠ المكتبة الوطنية.
الجزائر (العاصمة). مخ .
- البغدادي، اسماعيل باشا. هدية العارفين اسماء المؤلفين، وآثار المصنفين. اسطنبول:
مطبعة البهية ١٩٥١ م. ج: ١ .
- الثعالبي، عبد الرحمن. جواهر الحسان، في تفسير القرآن. الجزائر: المطبعة الثعالبية
١٣٢٧ هـ . ج: ٤ .
- الثعالبي، عبد الرحمن. العلوم الفاخرة، في النظر في أمور الآخرة. القاهرة: المطبعة
الحامدية المصرية ١٣١٧ هـ . ج: ١-٢ .
- الجلالي، عبد الرحمن. تاريخ الجزائر العام. بيروت: مطابع بيلوس الحديثة.
١٣٨٣ هـ - ١٩٦٥ م. ج: ٢ .
- الحفناوي، محمد. تعريف الخلف برجال السلف. الجزائر: مطبعة بير فونتانة.
١٣٢٥ هـ - ١٩٠٧ م. ج: ١ .
- الزركلي، خير الدين. الاعلام. طبعة ثانية. القاهرة: مطبعة كوستانتوماس، بدون
تاريخ . ج: ٤ .
- السخاوي، عبد الرحمن. الضوء اللامع لأهل القرن التاسع. بيروت: منشورات
مكتبة الحياة . ج: ٤ .
- علي بن الحاج موسى. أنباء أبناء الزمان، في النضح برشفة من يمّ ، ترجمة الشيخ
سيدي عبد الرحمن. مكتبة عبد الرحمن الجلالي. الجزائر. مخ .

الكتاني . محمد الحسني الادريسي . فهرس الفهارس والاثبات . ومعجم المعاجم
والمشيخات والمسلسلات . فاس : المطبعة الجديدة ١٣٤٧ هـ . ج : ٢ .
مخلوف . محمد . شجرة النور الزكية . في طبقات المالكية . القاهرة : المطبعة
السلفية ١٣٥٢ هـ .

نور الدين ، عبد القادر . صفحات في تاريخ مدينة الجزائر . الجزائر - قسنطينة
مطبعة البعث ١٩٦٥ م .

ب - باللغة الأجنبية

Albert Devoulx. Les Edifices Religieux de l'Ancien Alger. ALGER: Typographie Bastide 1870

Georges Marçais. Mélanges d'Histoire et d'Archéologie de l'Occident Musulman (Tom 1) Alger - Imprimerie officielle du gouvernement Général de l'Algérie 1957

Hyacinthe Béraud. La Mosquée de Sidi Abder-Rahman - ALGER. J. GERVAIS-Courtelemont et Cie Editeurs - 1892

KLEIN Henri. Feuilletts d'El Djazair ALGER, chaix, 1937

الفهارس الخاصة بكتاب التحفة المرضية

- ١ - الاعلام والكنى
- ٢ - الالقاب
- ٣ - الانساب
- ٤ - القوافي
- ٥ - آي الذكر الحكيم
- ٦ - الاحاديث النبوية
- ٧ - الامكنة والبلدان

١ - فهرس الأعلام والكنى

الاسم	الصفحة	السطر
- أ -		
ابراهيم بن سنان	١١٨	٥
ابراهيم القنيلي	١٦١	٣
ابن آقليل (احمد)	١٤٦	٧
ابن آقوجيل (محمد)	١٤٨ - ٢٠٤	١٦-١٦
ابن أبي الخصال (محمد)	١٥٠	١١
ابن عبد الله محمد = ابن آقوجيل		
أبو الحسن نور الدين علي	١١٤	١١
أبو حفص عمر التونسي	١٤٩	٤
أبو زيد عبد الرحمن الثعالبي	٢٣٥	١٢
أبو زيد عبد الرحمن الجامعي	١٨٤	١٥
أبو زيد عبد الرحمن الشريف	١٤٨	٤
أبو زيد أبو عبد الله محمد القرومي	٢٢٩	٧
أبو العباس أحمد بن ساسي البوني	١٢٧ - ١٧٤	٨
أبو عبد الله محمد البونصي	١٥٤	١٠
أبو عبد الله محمد البوني	١٧٤	٦
أبو عبد الله التونسي	١٤٩	٥
أبو عبد الله محمد الثغيري	٢٣٣	٣
أبو عبد الله محمد الحلفاوي	٢٤٩	٥

الاسم	الصفحة	السطر
أبو عبد الله محمد القالي	١٧٠ - ١٧٣	١٥-١
أبو عبد الله محمد المستغاني	١٨٠	٩
أبو عبد الله محمد المغربي	١٥٢ - ٢٥٩	١٤-١٠
أبو عبد الله محمد بن علي بكداش	١٩٧ - ١٩٩	١-٢
أبو عبد الله محمد بن يوسف (الجزائري)	١٧٧	٧-٦
أبو علي حسين	١٤٦	٨
أبو الفتوح الأمير حسن	١٤٠ - ١٤٤	٩-٥
أبو الوفاء مصطفى البوني	١٤٥	١١
أحمد = ابن آقليل		
أحمد = أبو العباس البوني		
أحمد البدوي	١١٥	١٠
- ب -		
بوران	٢٣٣	١
- ج -		
	٢٠٩	١١
- ح -		
حاتم (الطائي)	١٨١	١
حسن الأمير = أبو الفتوح الأمير حسن		
حسن كفيلة = أبو الفتوح الأمير حسن		
حسن أوزن = أبو الفتوح الأمير حسن		
حسن خليفتك = أبو الفتوح الأمير حسن		
حسن صهره = أبو الفتوح الأمير حسن		
حسين = أبو علي (حسين)		
- ش -		
شعبان (باي)	٢٥٦	٢

الاسم	الصفحة	السطر
- ع -		
عبد الرحمن = أبو زيد ...		
علي = نور الدين أبو الحسن		
عمر = أبو حفص عمر التونسي		
- ف -		
القرزوق	٢٠٧	١١
- م -		
المجنون (مجنون ليل)	١١٤	٣
محمد بكداش = أبو عبد الله بن علي ...		
محمد بن سعيد	١٣٧	٤
محمد بن علي = أبو عبد الله بكداش		
محمد خوجة = محمد بكداش		
محمد عبد الرحمن = أبو زيد الجامعي		
محمد الغالي	١٧٦	٥
محمود (الحاج)	١٤٠	١٢
مسعود (سيدي)	١٥٢	٧
مصطفى (باي)	٢٥٣	١
- ن -		
نور الدين علي أبو الحسن	١١٤	١١
- و -		
والي دادا	١٤١	١٠
- ي -		
يحيى بن أحمد بن أبي راشد	١٥٢	٤
يزد شير	٢٣٣	١

٢ - فهرس الالقاب^(١) حسب الحروف الهجائية

- أ -	أوزن ٢١٢ - ٢٥٢ .
- ب -	باي ١٢٨ - ٢٥٣ .
- ج -	بكداش ١١٢ - ١٢٤ - ١٣٣ - ١٤٥ .
- د -	١٤٦ - ١٩٩ - ٢١٠ - ٢٣٧ .
- هـ -	تفتر دار ١٢٧ .
- و -	الحاج ١٤٠ .
- ز -	خوجة ١٧١ .
- ح -	الداي ١٩٧ - ٢٢٩ .
- ط -	الدوتلي ١٧١ .
- ق -	ساجاق دار ١١٩ .
- ك -	الشريف ١٢٤ - ١٤١ - ١٤٣ .
- ل -	الشواش ١٢٤ .
- م -	ضاي ١٩٧ .
- ن -	فايق ٢٥٣ .
- ي -	الواثق بالله ١٤٦ .
- ر -	يزدشير ٢٣٣ .
- س -	يومشق ٢٠١ .

٣ - فهرس الانساب حسب الحروف الهجائية

- غ -

المغربي ١٥٢ - ٢٥٩ .

- ف -

الفاسي ١٨٤ .

- ق -

القلي ١٧٠ - ١٧٣ .

القرومي ١٤٩ .

القرشي ١١٤ .

القنيلي ١٦١ .

- ك -

الكرخي ١٧٦ .

- م -

المستغانيمي ١٨٠ .

- ن -

النكداني ١١٤ - ١٤٣ .

- هـ -

الهاشمي ٢٣٧ .

- ب -

البدوي ١١٥ .

البكداشي ١١٣ .

البكداشية ١١٣ .

البونصي ١٥٤ .

البوني ١٢٧ - ١٧٤ .

- ت -

التونسي ١٤٩ .

- ث -

الثعالي ٢٣٥ .

الثغيري ٢٣٣ .

- ج -

الجامعي ١٨٤ .

الجزائري ١١١ - ١٧٧ - ١٨٤ .

الجيلاني ١٧٦ .

- ح -

الحسني ١٤٣ .

الحلفاوي ٢٤٩ - ٢٥٩ .

- ز -

الزمخشري ١٤٦ .

٧ - فهرس الامكنة والبلدان حسب الحروف الهجائية

اسم البلد أو المكان:	الصفحة:	اسم البلد أو المكان:	الصفحة:
- أ -		- د -	
اطرابلس ١٣٧ .		دلس ١٤٢ .	
أعرض ١٣٧ .		- ش -	
أم القرى ٢٣٦ .		الشام ٢٥٨ .	
- ب -		شنيل ١٩١ .	
باب الجديد ١٣٨ .		- ع -	
برج الأحمر ٢٣٨ - ٢٥٦ .		العراق ٢٥٨ .	
برج الجديد ٢٣٨ - ٢٥٦ .		- ق -	
برج العيون ٢٥٥ .		القلعة ١٢٦ .	
برج اليهودي ٢٢٢ .		- غ -	
بونة ١١٦ .		غرناطة ١٩١ .	
- ت -		- ك -	
تونس ١٣٧ .		كندة ١٣٥ .	
- ج -		- م -	
الجزائري ١١١ - ١١٣ - ١١٦ - ١٢٤ -		مرسي ٢٥٧ .	
١٢٩ - ١٣٣ - ١٤٥ - ١٤٦ -		المنشبة ١٣٧ .	
١٩٩ - ٢١٠ - ٢٣٧ - ٢٦١ .		- و -	
- ح -		وهران ١٩٥ - ١٧٩ - ٢٠٢ - ٢٠٧ -	
حصن (برج) ابن زهوه ٢٢١ - ٢٥٥ .		٢١٩ - ٢٢٥ - ٢٣٤ - ٢٤٩ -	
حصن الجبل ٢١٦ .		٢٥٦ - ٢٦٠ - ٢٦٢ .	
حصن العيون ٢١٢ .		وادي الخميس ١٢٤ .	
حصن المرسى ٢٤٥ .			

المحتوى

المحتوى

الموضوع:	ص:
توطئة	٧
مقدمة	١١
أ - نسب المؤلف	١١
ب - ثقافته	١٣
عصره السياسي:	١٤
أ - هجومان فرنسيان على الجزائر	١٦
ب - اضطرابات داخلية وهجومان انجليزيان على الجزائر وبجاية	١٧
ج - هجومان فرنسيان على الجزائر	١٩
د - محاربة الجزائريين لمدينة تونس	٢٠
هـ - غزو الجزائريين لمدينة تونس	٢١
و - هجوم فرنسا على الجزائر	٢٢
ز - محاربة بين الجزائريين والمغاربة	٢٣
ح - استيلاء الجزائريين على تونس وبعدها اضطرابات داخلية	٢٤
ط - محاربة بين الجزائريين مع التونسيين والمغاربة	٢٦
ي - ابرام صلح بين الجزائريين وانجلترا وتونس	٢٧
ك - اضطرابات داخلية وتجدد الحرب مع تونس	٢٨

الموضوع:	ص:
ل - فتح مدينة وهران عنوة	٣٠
التنظيم الإداري في الجزائر على عهد الأتراك:	٣٣
أ - الإدارة المركزية	٣٣
ب - تقسيم الإدارة	٣٥
ج - نظام الجيش	٣٦
د - ميزانية الدولة	٣٩
هـ - كيفية جمع الضرائب	٤١
و - طائفة الرياس	٤٢
ز - حكام أتراك الجزائر ابان عصر المؤلف	٤٣
عصره الثقافي:	٤٥
أ - مدلول الثقافة	٤٦
ب - مراكز الثقافة	٥٨
ج - النتاج الثقافي	٦١
د - رجال الثقافة	٦٨
دراسات تحليلية للكتاب:	٨١
أ - مؤلفه	٨١
ب - عنوانه	٨٣
ج - موضوعه	٨٣
د - هدفه	٨٤
هـ - منهج التأليف	٨٤
و - أسلوبه	٨٤
ز - قيمته التاريخية	٨٥
ح - قيمته الأدبية	٨٥

الموضوع:	ص:
ط - محتواه	٨٦
مزايا الكتاب	٩٢
خاتمة المطاف	٩٧
الباعث والمنهاج	٩٩
مقدمة النشر	١٠٥
النسخ المعتمدة في تحقيق الكتاب	١٠٧
التحفة المرضية	١٠٩
مقدمة المؤلف	١١١
المقامة الأولى	١١٤
» الثانية	١١٩
» الثالثة	١٢٣
» الرابعة	١٢٧
» الخامسة	١٣٦
» السادسة	١٣٩
» السابعة	١٤٣
» الثامنة	١٥٢
» التاسعة	٢٠٣
» العاشرة	٢١٢
» الحادية عشر	٢١٦
» الثانية عشر	٢٢١
» الثالثة عشر	٢٢٥
» الرابعة عشر	٢٣٨
» الخامسة عشر	٢٤٥
» السادسة عشر	٢٦٢

الموضوع:	ص:
مصادر ومراجع «التحفة المرضية»	٢٦٥
أ - المصادر والمراجع العربية	٢٦٧
ب - المصادر والمراجع الأجنبية	٢٧٢
ملاحق:	٢٧٥
الملحق الأول: بعض الأشعار التي قيلت في مدينة وهران	٢٧٧
الملحق الثاني: مدينة وهران وتأسيسها	٣٠٥
أ - مقدمة	٣٠٥
ب - موقعها: تاريخ تأسيسها	٣٠٧
ج - اسمها	٣١٥
د - رأي بعض الافرنج فيها	٣١٧
هـ - رأي بعض المسلمين فيها	٣١٨
و - مؤسسها	٣٢١
ز - سبب ولاء مفراوة لبني أمية	٣٢٢
ح - أسباب تأسيسها	٣٢٣
ط - الدول التي حكمت وهران	٣٢٧
مصادر ومراجع «الملحق الثاني»	
أ - باللغة العربية	٣٢٨
ب - باللغة الأجنبية	٣٣٠
الملحق الثالث: عبد الرحمن الثعالبي وضريحه	٣٣١
أ - مقدمة	٣٣١
ب - ترجمة عبد الرحمن الثعالبي	٣٣٤

الموضوع:	ص:
ج - رحلته لطلب العلم	٣٣٥
د - شيوخه	٣٣٨
هـ - تلامذته	٣٤٠
و - مؤلفاته	٣٤٠
ز - أولاده	٣٤٤
ج - ضريح عبد الرحمن الثعالبي	٣٤٦
ط - تاريخ البنيان	٣٤٨
ي - أنواع الكتابة (الموجودة على جدران الضريح)	٣٥٢
مصادر ومراجع «الملحق الثالث»	
أ - باللغة العربية	٣٦٠
ب - باللغة الأجنبية	٣٦٢
المحتوى	٤٠٧

بسم الله الرحمن الرحيم وصلّى الله على سيدنا محمد

محمد وعلينا وسلم
الركعة العجوة
محمداً وآله

خبر يا من جعل قلبه رهاقاً
للمشقة وفلذ النعامة فلما بدا العفیان في المشقة
والنخمة **وفكر** غير ما أوليها من المني
وعلى ما كان منها فابغى **و** استلها وتفرغ
عن عيني الحكمة **و** تشبه على عيني الحكمة
وتجعلني مشغولاً بالعلماء **و** الذين أشرفوا
كواكبهم لا تنزاج الخلق **و** وساروا

وجرى محض خط وسع كنهض نحو العرطود ليلتر كما فرام
 ثم وقعت له ميع مشهور في الفجر العرا في ذكرها والشام
 في موضع مبه كلاسنة والصلح في موضع العلة يله
 والضرب في موضع النصول كانه ينشئ عن زهر الشيفو تمام
 باعنا منية كخاير متايد جيت برجة شانه كلافلا
 والبرودي واختط طي سابق يحلو من در الخلال نضال
 الخ وان خلقت كمنه لم يزل منه البه تحية وسالاع

كتاب النحل في النحل



وكل من الراج من نسخة من نسخة مؤلفه في اواخر جاري كالحري على
 لحد وعينه وطلوع واهب راجع الفسوف على طبع (بطلان) مسب

113174

MOUHAMED BEN MAYMOUNI
AL - JAZAÏRI

ATTOUHFA EL 'MARDIYA
FI EL 'DAOULA EL 'BAKDACHIYA
FI BILAD EL 'DJAZAÏR
EL ' MAHMIYA

السعر في الجزائر : 46,50 د.ج